مرام القلب

فاطمه طلال

مرام القلب
فاطمه طلال
الغلاف: إسلام ناجي
رقم الإيداع :٢٠١٥/١٥٣٥٦
ترقيم دولي: ٥-٠٠- ٨٥٢٢٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨

دار فصلة للنشر و التوزيع
٥٧ حي الزهور الزقازيق - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
www.fasla.org

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه
الطبعه الأولي ديسمبر ٢٠١٥

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

مرام القلب

فاطمه طلال

دار فصلة للنشر و التوزيع

إهداء

إلى والديّ ..,

إلى أحبتي : نورة ، صفا ، هبة ، بسنت ، أسماء ، سارة ، و أية

و إلى لألىء نقية ، قابلتني في قارعة طريقي الحالك المظلم ، بطهارتهم أناروا لي الكثير ، وأناروا لي بصيرتي :- محمود ناصر، فرح حافظ ، مريم النني ، دينا أشرف ، ومنه حسام ، منه اشرف ، وبولا وجيه.,

إلى أعضاء منتدى شبابيك أوائل من شهدوا مولد موهبتي.,

وأعضاء صفحتي الخاصة «قلم فاطمة طلال» الذين لولا تشجيعهم بعد الله سبحانه و تعالى لما وصلت لما انا عليه.,

و إلى قلوبٍ غرقت في وحل الفراق حتى الشبع

إلى أعين بكت ضناء وتعب

إلى روح عشقت حتى الثمل

وإليك أيها المجهول

حين تحاصرك الماضي بين أزقته ، عليك مواجهته لتنجو

الفصل الأول

اليونان ـ ٢٠١٥

لم أكن ذاك الرجل العادي حين ولدت، على الرغم من عدم امتلاكي لأي قوة خارقة ! ولكن عقلي لم يكن كسائر عقول البشر.. كالصندوق الأسود مميز أنا .. لم أترك أي تفصيلة حزن تقع خارج مجرة حياتي.. مثل مصاصي الدماء شربت الكثير من دماء الوحدة حتى كبرت الفجوة بيني وبين الآخرين .. شردت كعادتي بمخيلتي في السماء ، حاولت ان أعانقها عناق الأحبة ! أن أتوصل معها لحل يرضي كلانا .. يرضي جميع الأطراف التي ما زالت تنتظر مني الأمل .. ولكن أي أمل ينتظر هؤلاء ؟! من رجل كان بئراً لليأس! هُلاميّ الهوى كنت ومازلت و سأظل ! وطرقي كلها ترتاع في وحل السواد ، فعلام أصحو يوما لأتغير؟! أنا من هؤلاء البشر وُلدت من أجل العيش في الدرك الأسفل من العبث الدنيويّ.. انتظرتني أُمي عشرة أعوام .. عشرة أعوام وهي تركض من طبيب إلى آخر لتقتنص أي فرصة لإنجابي .. عشرة أعوام وهي تناجي ربها ليحيني من رميم!! وها الله استجاب صرخة ندائك يا أماه وأتيت لهذا العبث.. وُلدت في دُرة من دُرر البحرين " الرفاع" تلك الدُرة التي تنبع بعراقة البحرين .. والتي شهدت منذ القدم أصالة وعرابة البحرين.. تلك "الديرة" التي أشعر داخل أزقتها بعرق حنين الوطن.. تلك

البقعة التي تستهوى وتستحوذ كل مشاعري.. والتي شهدت أجمل أيام طفولتي.. الأيام التي ولت وولت معها راحة البال.. لم أكن قديما طفل ناقم على الحياة بشتى أثوابها.. ولكن ما إن بدأ عقلي في الإستدراك ، حتى أدركت انني لم أنشأ في منزل عاديّ.. فأنا ماجد يوسف ((العنيري)) من أكبر العائلات في البحرين .. والدي رجل أعمال له شأن وأهمية وسط رجال "الديرة" .. ووالدتي إمرأة حنونة وربة منزل .. كنت أظن أن تلك المرأة التي ظلت تركض أعواما لتنجبني هي أسعد زوجة في العالم!! ولكن أي عبث هذا الذي جعل منطق ضعيف الهوان يأتي ليتخلل داخل أوتار عقلي الراكد في الظلام!! فأظن ويضيع سبات عمري في الظنون.. إتضح لي في كل يوم كنت أشُب فيه بأنها كانت تركض لإنجابي حتى تصنع رجلا يحميها من ذاك الوحش الذي أحتفظ بإسمه خلف إسمي.. رجلا لا يعرف للمشاعر أي درب .. إتخذ من المال والعمل والمصالح ومن إسمه دربا يخلو منا ويخلو من أي عاطفة قد تبتزه فيلتفت خلفه في ندم!! كان دوما يقتلع أي ذرة حنان تنبت داخل قلبه من أجلي.. لا أعلم لماذا؟! وكأنه يعاقبنا على قدرٍ جمعنا به.. الحسنة الوحيدة الذي قدمها لي يوما من الايام ، هي .. آآآخ يا ماجد أبعدك لم تنسى ذاك اليوم؟!! أبعدك مازلت تصر على الحمق والهوان؟!! أي رجل هذا الذي صنعته أمي!! وأي فخ هذا الذي نصبه والدي لي دون أن يدري؟! وكأنه كان ينقصه سبب آخر او علة ثانية لأمقته.. تحولت في هذا اليوم !! تحولت وأصبحت غير مرئي للأبد ..

*****

تكبلت عيناي ماجد بالدماء وكأنه يكظم غيظ أعوام طويلة أو إنتقام دهر !! أخرج علبة سجائره وفتح جهاز حاسوبه الشخصي وبدأ يضغط بعصبية

فوق كل حرف على لوحة مفاتيح الحاسوب .. صفحات وحروف هائجة تتطاير على الشاشة دون حسيب او رقيب ومع كل حرف يتطاير أو رقم يخرج من العدم كانت دقات ماجد تعلو وتهبط بإستسلام.. وكأنه بتلك الطريقة يخرج مكبوت الماضي !! أو ينفس عن غضب عارم يحرقه بنيران وألهبة وحمم بركانية مشتعلة قد تقتلع العمر كله ولا تترك قلب ماجد إلا بعد ان يتحلل بعفن وبجدارة.. حاول أن يطرد أشباح الماضي من خياله الذي بات في الأعوام الأخيرة مريض ولكنه فشل .. صراع داخلي كوحش كسير يريد أن يهاجم من أي ثقب ليعود بماجد إلى الماضي ولكن بكل ما أوتي من قوة حاول أن يصد جميع ركلات الماضي.. ولكن هيهات هيهات .. فمن منا في أوج ضعفه يستطيع صد ركلة جبارة من ماضيه؟! من منا يستطيع أن يلوح بسعادة في قمة هوانه ويخرج لسانه كالأطفال ليشتطاط الحزن غيظا وخيبة؟! قليل جداا من يستطيع وبالطبع ماجد ليس من هؤلاء الأقوياء

****

البحرين ـ ١٩٩٨

عادت الصفحات تجر عقل ماجد إلى الماضي .. إلى ذاك اليوم المشوؤم حين كان لديه عشرة أعوام فوجد والده يعود من العمل غاضب ناقم على صفقة حمقاء شردت من بين يديه وذهبت إلى رجل أعمال آخر .. ويالها من مسكينة ، والدته حين استقبلت تلك الموجة الساخطة من رجل لا يأبه إلى أي مشاعر في الوقت الراهن سوى مشاعره هو!! أناني نعم هو كذلك .. وكانت تلك بداية الصدمة.. ركضت "شيـــخة" والدة ماجد بهلع تتساءل:
- ماذا حدث لك يا يوسف؟ تصرخ وكأن القيامة قد قامت؟!

- اغربي عن وجهي الآن
- هل لك أن تحادثني كما يحادث البشر بعضهم البعض !!
ثم نظرت بلوم على ماجد وكأنها تريد أن تنبه يوسف لوجوده بينهما !! ولكنه كالعادة لم يأبه سوى بخسارته الفادحة ونطق مرة آخرى بلسان الأموال قائلا:
- قلت لك اغربي عن وجهي!! لقد خسرت لتوي صفقة تُقدر بألاف الدنانير وانتِ تحدثيني عن طلبات تافهه وعديمة مثلك!!
اقتربت منه وهمست بصوت منخفض:
- انتبه ماجد هنا ويرى ما تفعل ! فحبا لله تحدث معي بطريقة جيدة
وكأن جملة شيخة كانت بمثابة المطرقة التي طرقت بها على الحديد الساخن فهب كالشرير يبرحها بكل قسوة و دون رحمة ضربا و سباباً.. لم يتحمل ماجد ذاك المنظر كطفل عمره عشرة أعوام فقط !! ركض بكل قوته الصغيرة و أخذ يركله بضربات "بعدها لم تقسو بشكلا جيد" فركله والده بعيدا عنه حتى اصطدمت رأس الصغير في إحدى زوايا الحائط وامتلأت الأرض بدمائه..

******

اليونان - ٢٠١٥

إنتهى ماجد من بعض ما كان يفعله بحاسوبه الشخصي حين سمع طرقات يعلم صاحبها جيدا .. وماهي إلا ثوان معدودة حتى دخلت مرام بابتسامة باهتة وبعينان كعيون المها ، وشعر غجري أسود يضاهي سواد الليل وحلكتُه .. قوامها الرشيق القصير كان دوما محل إفتتان لماجد .. ونظرات عيناها الواسعتان كانتا دوما قادرتان على خوض أشرس المعارك مع عيناه ليقع أسير

عيناها في نهاية كل معركة بلا منازع!! أما شفتاها المكتنزتان فدائما ما كانا يشعلا اللهب في قلبه !! حتى أنفها المستقيم الحاد يعشق أن يقبله ويلتهمه بلثمات حارة وسريعة.. كل شيء فيها يأسره دوما وسيظل يأسره إلى نهاية العمر..

- هل مازلت تعمل يا ماجد ؟

قالتها بنبرة بائسة .. مما جعله ينهض بكل حب وإقترب منها بحنان ووضع يده على أسفل ضهرها وضمها بجنون ثم غاب في راحة حضنها .. شعر بأنه يستمد من هنا عالمه .. عالمه الذي بات يبنيه قرابة العام و نصف ، ويشعر بأنه دوما مهدد في بقائه..

- كدت انتهي حبيبتي

لم تحتضنه هي الآخرى ولكن بقيت مستسلمة كعادتها معه !! فقالت بضجر:

- حسنا ، أنا تعبة سوف أذهب لأنام

أمسك كفها الصغير وقبله وهو ينظر لها بولهٍ شديد:

- ابقي في أحضاني قليلا

شردت إلى عالم لا تعرف أين وِصاله وهمست بإنهاك:

- أنا متعبة يا ماجد

فحملها بدلال كفارس يحمل أميرته وذهب بها إلى الحجرة ، أغمضت عيناها بتعب وضناء ، يركض بوحشية ليفترس المتبقي منها .. لا تريد قربه إلى هذا الحد .. هناك خلل ما أصبح موجود!! ما هو لا تعلم !؟ تريد أن تصرخ في وجهه وتركله كالطفلة الصغيرة التي لا تفهم شيئا في هذه الدنيا وتسأله ألاف الأسئلة !! الكثير من الأسئلة التي تحاصرها يوميا وتتخبط بها وتتعثر

وتحاول أن تهرب ولكن بلا أمل!! تبقى هي كما هي جثة أمام كل ما يحدث .,, جثة هامدة متعبة من كل شيء .,,
وضعها برفق على الفراش وأخذ يلعب بخصلات شعرها الأسود ويتنفس عبق رائحته .,, ترتسم إبتسامة بلهاء فوق محياه فيما يهمس بجنون وهو يكاد يلتهمها بقبلاته:
- أحبك ، أحبك و كأن الحياة فانية ! أحبك يا مرام وكأن لا غاية لي هنا في هذا العالم سوى عشقك !! أحبك لأني رجلا بكِ و طفلا دونك !!
شعرت بالغثيان ! لماذا لا تدري !! يا الله ماذا يحدث لها ؟! تشعر بالغثيان كلما حاول أن يقترب ويجني من بستان أنوثتها !! وكأنها فاكهة مُحرمة عليه.,, لماذا؟ وهم زوجان أمام الله و أمام مرأى البشر؟! قامت سريعا من جانبه وركضت إلى الحمام وهناك تركت العنان لأحشائها .,, فلفظت كل شيء !! لفظت حتى روحٍ قاتلة تقبع بالداخل.,,

******

تركتُهُ بالخارج ، أعلم بأنني لست على ما يرام ! عام ونصف وأنا لا أشعر بذاتي معه!! صراع خفي يجول ويدب وصاله كل ليلة ويهيج عند إكتمال القمر ومازلت لا أعلم ماذا بي؟! ما العلل في ماجد ؟؟ ما الذي يجعلني أنفر منه وهو يقدم لي كل هذا الحب!! أي مجنونٍ هذا الذي إمتلكني فجعل مني إنسانة بلا قلب.,, مشاعر باردة وروح منعدمة.,, أنفاسه تلاحقني ونظراته أيضا .,, منامي تشبع بهِ وعقلي الباطن حوله إلى وحش!! أي قسوة تلك التي أمارسها عليه كل يوم وهو كما هو ، يقدم لي الحب و العون دون ملل أو كلل؟! لماذا يصر دوما على نهشي!! لا ليس هو من ينهشني ، ذاك الفراغ الحائل بيني و بينه هو الذي ينهشنا سويا !! يرانا مُعذبين فيضحك

بكل سعادة .. ذاك الفراغ البارد وحده من يقتُلنا .. إني زوجته ، ولكن أشعر بأنه مجرد لقب يكبلني .. يغتالني .. حين أخرج إلى العالم أرى نظراتهم تلتهم عشقه لي بحسرة وحقد!! فليأخذوا هذا العشق ويردوا لي كياني التائهِ في غابة المحرمات!! فليردوا لي كياني الشارد في غياهب الظلمات.. فقط ردوا لي كياني حتى أشعر بأني على قيد الحياة .. ولا تتركوني مع هذا الرجل الملقب بزوجي وأنا فاقدة كل شيء.. كل شيء ..

كلما إقترب مني أهرب ، لا ييأس ، يحاول مرة و ثلاث و عشرة و أنا اكره لمسه لي .. أتعلل دوما بالتعب ، بالإنهاك ، بالمرض ولكن تلك ليست علة!! إنها الحقيقة السوداء !! حين يهمس لي بأنه يود الهروب معي إلى بعيد أشعر و كأن السبع سموات طبقت فوق جيدي.. تخنقني همساته الحانية .. كله يخنقني.. هناك علل ما أرجو من الله أن يدلني إليه ؟؟ لماذا تزوجته ؟ لا أعلم ؟؟ أنا أبحث عن ذاتي وعن سبب زواجي بماجد ؟؟

******

شعر ماجد بأن مرام كالعادة تهرب كلما حاول لمسها ، كلما حاول أن يجني ثمارا يراها بين راحة كفيه ولا يستطيع إلتهامها .. جوع قارص يعتصر قلبه وعشقه كل ليلة .. ولكن هو وحده يعلم لماذا .. هو وحده يعلم السر لذا سيصبر .. سيصبر حتى يقتل هذا السر في نهاية المطاف .. سيشن عليه حربا ويسفك دماؤه .. لن يستسلم ولن يتركه يسرق منه حلم عُمره .. لن يترك هذا السر يأخذ مرام ويسافر بها إلى بعيد.. لو فقط توافقه على الهروب؟! ولكن إلى أين؟! فها هو ترك وطنه ، ترك بحرينه وهاجر خلفها إلى اليونان.. وعلى الرغم من ذلك مازال يشعر بأثير الماضي من حوله

حين يُردف العشق قتيلا!!

الفصل الثاني

مَرام القلب ، تلك الحورية التي أحببتها .. لم تكن فتاة عادية بالنسبة لي ! كانت أثير الحياة الذي من بعده تصدع كل شيء بداخلي.. يقولون لنا دوما ان العشق معركته رائعة إن إنتصرت !! ولكنه يُردفك قتيلا إن خسرت .. وأنا خسرت مرام قلبي .. لقد كانت أمام نصب أعيني منذ سنين كثيرة .. تحديدا منذ إن إلتقيتها أول مرة بالجامعة .. تلك القبة التي تكسر كل القيود .. تلك القبة التي يتقابل تحت مسماها العلمي الكثير من الأعراق والألوان ولكن لا أحد ينظر لك على حسب عرقك!! الكل يجتمع تحت مسمى وهدف واحد .. وأنا ومرام إجتمعنا هناك .. إجتمعنا لتخلق لي العذاب الناعم.. ذاك العذاب الذي يأتيك من قلبٍ رقيق ، قلب أُنثى كاملة والكمال لله وحده .. قلب طاهر بريء لا تظن يوما بأنه سيخدعك يوما ما !! قلب قادر على الاحتواء وقادر أيضا على إحراقك .. فيولد منه العذاب الناعم!! كنت شاباً في مقتبل العمر يتعذب من أجلي قلوب الكثير من الفتيات ولكنهن كلهن عندي سواء !! هي فقط الأنثى الوحيدة في عيناي .. رأيتها تضحك في أول يوم لنا في الجامعة وشعرها الغجري يلعب مع نسمات الهواء فيدغدغ بداخلك شعور خفي بأنك تريد أن تقتحم أسوارها .. وعبائتها السوداء ذات النقش الذهبي المرصع بالأحجار الثمينة ، التي ما كانت ترفرف حتى يرفرف معها رائحة عطر شهيّ .. يدها الناعمتين المنقوش فوقها الحناء و التي كانت

تحمل الكتب وفي اليد الآخرى كوب من القهوة إبتاعته من «ستار باكس».
وما إن ترى أناملها حتى تذوب في غرام طولهما !! لا اعلم كيف تركت العالم من حولي وهاجرت معها إلى البعيد؟! ذهبت إليها وألقيت السلام :

- كيف حالك

نظرت لي بنظرات قاسية متعجبة مني فأردفت سريعا أكمل :

- أوليس انتِ مرام بنت عبد الله العاني ؟
- نعم؟!
- أنا نبراس من عائلة الحائلي

قسمات وجهها تحولت لأكثر صرامة وكأن لدغة عقرب أصابتها فأصابت ملامحها بالوجوم :

- وماذا تريد يا هذا ؟
- أردت فقط أن ألقي السلام .. هل أنتِ ناكرة سلام؟
- لست ناكرة ولكنك لستَ مرحبٌ بك أيضا !!

تركتني بعد أن أصيب بسهم اهدابها الرقيقة قلبي !! وأوقعتني في شراكها ورحلت .. رحلت وكأن شيئا لم يحدث .. ولكنني تحديت نفسي بأن يوما ما سأصل لمرام قلبي!! حتى لو تطلب الأمر مني بأن أهدم العالم كله من أجل نظرة من عيناها ..

مرت الأيام وحمدت الله على تلك الصدفة التي جعلتني انا ومرام في نفس التخصص على الرغم من أنها تكبرني بثلاثة أعوام ، إذا لا مفر يا محبوبتي مني .. لا مفر من الحب .. ومن يحاول الفرار يقتله الجُبن!! في أول محاضرة جمعتنا سويا تعمدت أن اجلس بخلفها .. وحمداً لله أن الجامعة نظام موادها يعتمد على نظام الساعات فهناك مواد كانت يجب أن تدرسها

مرام في عامها الأول ولكن القدر جعلها لا تأخذها إلا في عامها الثالث لتصبح معي في بعض المواد..و على الرغم من إمكانية جلوسي بالقرب منها ، لكنني فضلت بقائي في الخلف .. أريد أن أراها انا فقط .. أن استمتع بها وحدي .. وما إن جلست خلفها ، حتى شعرت بتوترها .. لا أعلم لماذا ؟ نظراتها الزائغة من الجانب علها تراني كانت تحدثني بتوترها .. كدت اسمع دقات قلبها المتوجسة خيفة .. ولكنني حقا كنت استمتع بشدة .. أراقب كل حركاتها ، نقش عبائتها باهظة الثمن وكيف لا وهي إبنة أحد كبار الشخصيات في بحريننا ، عطرها الفواح ، أناملها وهي تمسك القلم ، شرودها أثناء المحاضرة فترسم الكثير من التصاميم و الكثير من المربعات بلا ملل و لا كلل في حواشي دفترها .. ((قرأت سابقا في علم النفس أن الانسان الذي يميل إلى رسم المربعات بكثرة فهو غامض ومحدود في تعامله مع الاخرين و يشعر بالملل و الوحدة و حذر و متوتر من شيئا ما بالداخل)) وعلى الرغم من كل تفصيلة كانت تؤكد لي صعوبة التعامل مع مرام إلا إنه جعلني في قمة سعادتي .. وما إن إنتهت المحاضرة وغادر الجميع و لم يبقى إلا انا و هي حتى إلتفت بكل عصبية و عبوس :

- انت يا هذا لما تعمدت الجلوس خلفي؟!
- هل الجلوس هنا محدد؟! - جاوبتها باستنكار شديد -
- ليس محدد ولكن أعلم جيدا محاولتك في القرب مني!
- ولما ؟! هل لانك بنت العاني أنا أيضا إبن الحائلي
- وهذه هي المشكلة إنك إبن الحائلي !! فأرجوك إبقى بعيدا عني ! لا ينقصنا المتاعب ..

رجفة عيناها التي حدثتني بها و هي تحاول أن تذكرني بالمتاعب ، أصابتني

مرة أخرى عاشقا لها .. لم آبه لسفه معاتبتها و وجدتني أبتسم بهدوء :
- ولما لا نحاول أن نذيب جليد البغض ؟
- ولما نحاول و البغض سيبقى حائل بيننا ؟!
- لأني اريد الغوص في عالمك ، أريد أن أرتشف ولو كوبا واحد من دنياكِ
ارتجفت مرة أخرى ونهضت وجلة وملمت اغراضها بعجل شديد:
- مجنون لا يتفوه سوى بالعبث!
ورحلت على عجل ، حتى إنها لم تأبه لتلك الأوراق الملونة الصغيرة التي سقطت من دفترها .. ولكن حمدا لله على سقوطها .. أخذتها من على الارض فأذ بي أقرأ أجمل ما نثرت محبوبتي
العمر يركض بنا إلى الغيبِ وأبقى أنا بلا محبوب »
والرمد يأكل دربي والوله يحرق قلبي ..
» فلا أنا أجدهُ ولا لطريقه باب مرغوب
وشعرت بغبطة آسرة لكل شيء جميل في الوجود ، محبوبتي قلبها خالي .. مرام لي !! نعم أعلم إنها لي .. لم تأسرني عيون من قبل ، كعيونها ! عيون المها العسليتان التي تمتاز بها .. ولكن ماذا عن البغض الذي تحدثت عنه ؟ ماذا عن العوائق ؟ ألقيت سريعا أي هاجس سلبي بعيداً عني وظللت أقرأ نثرها وأحفظه عن ظهر قلب..

******

عدت إلى المنزل أريد أن أُقبل كل من فيه حتى خادمتنا الفلبينية أردت أن أُقبلها ولولا خوفي من إساءة الظن بي وإعتباري أحد المتحرشين لكنت ركضت وقبلتُها !! قبلت يد والدي الذي يعتبر من أهم تجار العطور في البحرين وقبلت يد والدتي .. لم أكن سعيداً من قبل ، كيوم عرفت أن قلب

محبوبتي خالي .. نظرت لي والدتي بحب :
- كيف كان يومك الجامعي يا صغيري
- حمد لله يا أمي
نظر لي والدي وتسائل :
- هل معك أحداً نعرفه ؟
فأردت أن ألقى القنبلة لأرى وضعها ماذا على مسامعهم:
- نعم نعم معي جعفر ولد الغريري و شيخة بنت آل وضحان وزينب بنت الحداد
كل هذا ووالدي يستمع بكل هدوء ثم أكملت :
- و مرام عبد الله العاني
احتقنت عروق والدي ونظرت والدتي لي برعب وعتاب لذكر اسم عائلتها فقال لي بجزم:
- لا تقترب من الاسوار الشائكة يا نبراس ..
عاندته باستفساري:
- أي أسوار تلك التي تتحدث عنها يا والدي!
- تعلم بأنني لا اتدخل أبدا في حياتك ولكن هناك خطوط حمراء لا أريدك أن تتعداها ، صادق من تصادق ولكن تلك العائلة ابتعد عنها .. يكفينا ما جاء منهم ..
- ولكن ..
تدخلت امي سريعا لتلحق الطوفان قبل قدومه :
- هيا صغيري إنهض واغتسل وصلي الظهر والعصر ..
ونهض والدي وعروقه مازالت واجمة وتلابيب قلبي تريد ان تصرخ بـ :

قفوا هنا واسمعوني .، مرام خارج تلك الحسابات ، خارج كل الاسوار ، مرام» لي ! شئتم أم أبيتم بأذن الله ستكون لي .، كفى القلب ضنين و تعب .، كفى «، لا أريد أن أدخل أنا وهي في دنياكم وتصيبنا اللعنة

******

ولدت لأجدني في عائلة يعتبر مؤسسها من أكبر تجار العطور في البحرين ، ودوما ما يجلس في مجالس كبار رجال الدولة .، يُعرف عنه حسن السيرة وطيبة قلبه وتدينه وورعه .، ليس له خلافات مع أحدٍ قط .، فهو دائماً ما يحب أن يبني علاقات حسنة مع الجميع حتى لو اختلف معهم في الدين أو في أمور معترك الحياة ولكن يبقى دوما الاحترام سائد العُرف بينه وبين الجميع .، لم يهنه قط أحدا سوى «عبد الله العاني» والذي يعتبر أيضا من أهم رجال الدولة سيطرة ونفوذاً !! وعلى الرغم من أن أبي علاقته جيدة جدا مع الصديق المفضل لعبد الله العاني إلا أن عبد الله دوما ما يحاول إشعال الفتن والحرائق بين والدي والجميع حين يراه في أحد مجالس الدولة .، حتى أصبح أبي يتلاشى أي مجلس قد يحضره «العاني» .، مازلت أذكر ذاك اليوم الذي عاد فيه أبي من الخارج ووجه مكفهر وعيناه ممتلئة بدموع الضيق والحرقة .، كان شارداً فلم يأبه لإلقاء السلام عليّ أنا وإختي .، ولكن ما إن رأته والدتي بهذا الشكل هرولت سريعا خلفه إلى حجرتهم .، فضول قوي جبار جعلني أذهب خلفهم واسترق السمع فكان الحوار كالآتي:

- ما بك يا حسن؟
- عدت للتو من المجلس
- هل حدث شيء؟
- آتى العاني وتعمد إحراجي أمام الجميع

- وماذا فعلت؟
- تعلمين أن وضعه في الدولة أقوى من وضعي
فجاوبته والدتي بغضب شديد:
- لا تستهين بمركزك يا حسن ، أنت أفضل منه ولكنك تعلم بأن غروره وتسلطه يجعله يتمادى لا أكثر
- تركته وتركت المجلس بعد ما حدث ، ركض خلفي يوسف الغريري ، صديق عمره ليعتذر لي عما بدر عن صديقه من مضايقات لي ! فقبلت إعتذراه هو ووعدت نفسي بأن تلك العائلة لا وفاق لنا معها ليوم الدين !
- لم أرى قط رجلا مثله استبدادي ! كيف تجرأ على إهانتك؟! ولماذا ؟ هل لأنك تختلف معه في دينك وأفكارك!! هل لأنك شيعي وهو سني!!
- تعلمين بأن لا أحد يفكر هكذا الآن
- ولكنه رجعيّ ومتكبر وسيريه الله شر أعماله !! أتعجب كثيرا من صديقه يوسف فعلى الرغم من أنه أيضا مثله سُّني ولكنه لا يسيء أبدا لك.,
- الموضوع يا فاطمة ليس إختلاف مذاهب ! الموضوع يعود إلى التربية والنشأة ، أن نربي أولادنا على الحب والتسامح ، أن نربيهم على التفاهم .,
نربيهم على تقبل الإختلاف واحترامه !! وإن كنت معترضا على أفكار غيرك فهذا من حقك ولكن ليس من حقك أن تتعدى على حريته .. أن نربيهم على كلام الله الذي قال في سورة الكافرون « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ».,
تركت أبي لوالدتي لتضمد جِراح إهانته وخرجت لإختي حوراء التي كانت جالسة بالحديقة تتحدث في الهاتف مع صديقتها ., وما إن أنهت مكالمتها حتى نظرت لي بتعجب:
- نبراس؟

- نعم - بكل شرود -
- ماذا بك؟
- هل تشعرين بمضايقات من أصدقائك لإختلاف مذهبنا؟
- لم أشعر بهذا قط ! أنت تعلم أن جميع أصدقائي المقربين مذهبهم مختلف تماما عني!! حمد لله بأننا هنا في البحرين إنتمائنا الأول والأخير يبقى للبحرين وليس لطوائفنا! .,
- ليس الجميع ، لدينا بعضا من الأفراد من يحاولون الخروج عن السيطرة
- هؤلاء باعوا الوطن يا نبراس من أجل مصالحهم هم.,, هم لا يفكرون أبدا في الدين أو المجتمع أو الوطن هم دوما يفكرون في تشتييت أبناء الوطن الواحد لغرض دنيء في أنفُسهم.,
- نعم يتحدثون بإسم الدين دوما من أجل مطالبهم هُم .,
- ولكن لما السؤال؟
- لا شيء .,

وقبلت رأسها ونهضت .,, كان يوما عصيب ومازالت ذكراه محفورة في أزقة الذاكرة .,, وكيف لا وهو اليوم الذي مازال يقف عائقا بيني وبين مرام .,

*****

شتات الهوى من شتات العقل يأخذ الروح ويهجرك
بلا شيء

الفصل الثالث

كانت مرام نائمة في حجرتها المظلمة وأنفاسها تعلو وتهبط بإنتظام ثم فجأة بدأت أنفاسها تصبح سريعة بشكل متلاحق وبدأت تشعر مرام و كأن روحها تنسحب للأعلى .. شيء ما يجثو بكل ثقله فوق صدرها ليجعل نبضات قلبها سريعة ومتلاحقة بينما يسحب روحها بكل خبث وبُطىء مميت إلى الأعلى ، حاولت مرام أن تفتح عيناها وتنهض ولكنها لم تستطع .. عقلها في وعيه لكن جسدها خارج السيطرة .. قيود من اللامنطق تُكبلها فلا تستطيع السيطرة على نفسها .. أرادت أن تصرخ ، تنادي ماجد ليأتي وينقذها ولكن دون جدوى.. لا يد باستطاعتها تحريكها ولا عينان قادرة على فتحهما .. تشعر وكأن سفينة رست وأطبقت فوقها وشلت حركتها .. لم تكن تعلم هل هذا كابوس يرافقها وستصحو منه ؟! أم أنها شُلت في الواقع ؟! دقيقة، دقيقتان حتى استطاعت مرام أن تفك نفسها من تلك الحالة الغريبة .. شعرت وكأن أحداً ما حاول أن يمزق جسدها وهي نائمة ، أو كان يحاول كسر ضلوعها .. ألم غير عادي خرج يصرخ من بين جنباتها ، كل هذا وهي مازالت في حالة صدمة وغير وعي .. نهضت فزعة من حولها وظلت تبكي بحرقة وبصمت .. مازالت غير قادرة على إخراج صوتها من الداخل .. حشرجة غير عادية خرجت قليلا بقليل حتى إنتهت بصرخة مدوية أتى ماجد مسرعاً حين سمعها ..

ماذا بكِ يا مرام؟! هل أنتِ بخير؟ -
كانت مرام في إنهيار تام من البكاء،لا تعرف ماذا أصابها ؟! وما هذه الحالة التي مرت بها .,, نظرت بفزع لماجد وظلت تشير بيدها على فراشها وصياحها في تهدج شديد:
- لا أعلم لا لا أعلم ماذا حدث لقد كدت أموت !
- بسم الله ، إهدئي يا مرام إهدئي كل شيء على ما يرام
- لم ترى يا ماجد ماذا حدث لي
ربت فوق ظهرها بحنان وحب متوهج وقال :
- حسنا ستحدثيني بكل شيء ولكن اهدئي وتنفسي بعمق
ذهب إلى المطبخ سريعا وعاد بكوب من الماء وجعلها تشرب ثم ابتسم برضا وهدوء وقبل جبينها بوله عارم وقال:
- حسنا يا حبيبتي الآن يمكنك أن تحدثيني .,, ماذا حدث
نظرت مرام إلى الفراغ وقالت بشرود:
- وكأن الموت كان يستدرجني يا ماجد!!
- ماذا ؟ كيف؟
- لا أعلم ولكن شعرت بروحي تصعد للأعلى يا ماجد وكنت لا أفقه ماذا يحدث.
وبدأت نظرات عيناها تزوغ يميناً ويساراً ويدها ترتعشان وشفتاها الممتلئتان يتحول لونهما إلى الأزرق من برودة جسدها ، فهلع ماجد لمنظرها وقام بإحتضانها وظل ينفث بأنفاسه الحارة المولعه بعشقه حتى تدفأ .,, أغمضت مرام عيناها من جديد بهدوء وإستسلام فجلس ماجد بجانبها يلعب بخصلات شعرها بحنان وهدوء .,,

******

صحت مرام في اليوم التالي ونظرت بجانبها فرأت ماجد نائم على وضعه من الأمس ، تنهدت بعياء وجعلته ينام بشكلٍ مريح وخرجت إلى الشرفة المطلة على البحر .. قال لها ماجد في السابق حين أتوا ليعيشوا في اليونان أنه تعمد بإختيار شقة تطل على البحر ، لعلمه بعشقها لمنظر أمواج البحر.. اليونان !! قدمت لها منذ عام ونصف هاربة من البحرين ومن كل شيء .. تركت كل ما تركت خلفها وأتت هاربة هنا .. هنا لا أحد يعرفها .. هنا يعاملها الجميع معاملة عادية .. لا زيف ولا خداع ولا كذب ودون نفاق.. الحياة هنا بلا عقد وبلا تكتُلات .. الحياة هنا نمطها أسهل بكثير على الرغم من إنهم دول "الكُفر" كما يدعوناها ، في أي درك أسفل يعيشوا هؤلاء من لقبوهم "بالكُفر" !! فليأتوا ويروا معاملة الاسلام من غير المسلمين وليحكموا من منهم كافر.. تعلم أنها هربت في القدم من شيئا ما ولكن الآن ما هو ؟! لا تدري!! كيف؟ لا تعلم؟! شرود يأخذها دوما في أغوار سُفلية وكلما صعدت كلما هبطت أكثر!! صحت من شرودها على رنين هاتفها الخلويّ .. نظرت إلى الشاشة فوجدت اسم "صهيب" يتوسط الشاشة .. بابتسامة مقبلة على الحياة وبلهفة جاوبت:

- إشتقت إليك كثيرا يا أخي ، حقا إشتقت إليك

- وأنــ وأنا أيضا أُختاه ، كيف حالك حبيبتي؟ ألن تعودي إلى بحرينك يا مرام؟

لا تعلم ماذا حدث حين ذكرها أخيها بالوطن! وكأن عقلها كاد أن ينشق !! كاد أن يقتلع لُبه إلى الخارج.. حرارة تدفقت وبراكين نيران متوهجة تلتهم كل من يأتي ويقف أمامها الآن.. دقات قلبها أخذت تتسارع وتتخبط بين

كلمات رثة حاولت أن تُخرجها إلى أخيها ..,

- مرام؟ هل أنتِ بخير؟

- نــ عــ م يا صُهيب

أتى صوتها من بعيد وكأنها تحارب من أجل إخراجه ..,

- ماذا بكِ يا عزيزتي؟

- لا شيء ، أرجوك يا صهيب لا تذكر الوطن أمامي مرة آخرى

كاد أن يسألها هل مازالت تحترق على جمر الماضي ؟! ولكن خشى ، خشى أن تزداد حالتها سوء وتذكر رجاء ماجد " أرجوك يا صهيب قل لعائلتك حين تتحدثوا مع مرام لا تنبشوا في الماضي ، يكفي سوء حالتها .., صهيب إن كنت تحب مرام فحباً لله لا تضايقوها "

فاق من نوبة ذكرياتٍ اجتاحته وأردف قائلا:

- كيف حالك ؟ وكيف اليونان معك؟

- حمداً لله ..,

- وماجد؟

تلعثمت وهي تجاوب:

- هـ و أيضا بـ بخير

- إنه يحبك يا مرام

صمتت لا تعرف بما تجيب ! تكره ذاك الحب بل تمقته .., لماذا ؟! لا تعلم ؟ ربما لا يوجد هناك سبب ، ولكن علة تذبحها كلما همس ماجد او غيره بأنه يحبها..,

*****

أغلقت الهاتف مع صهيب بعدما إطمأنت على أحوال إخوتها جميعا .., هي

الإبنة الأولى لوالدها ، وحين توفيت والدتها كان عمرها خمسة أعوام ، لا تتذكر اللحظات التي جمعتها كثيرا بوالدتها ولكنها تحفظ شكلها عن ظهر قلب وكيف لا وهي التي تزورها في منامها بين الحين والآخر .، ثم تزوج عبد الله العاني بواحدة آخرى وأنجب منها صُهيب الذي يصغرها بخمسة أعوام وخالد أخيه التؤام ثم العنود التي تصغرها بسبعة أعوام وأخيراً أنجب تركي والذي كان عمره عامين قبل هجرة مرام من البحرين .،

كانت مرام خمسة أعوام حين آتى والدها يوما وفي يده إمرأة صاحبة نظرات متعالية ، سمراء البشرة و شعرها أحمر ، حاجباها مرفوعان إلى الأعلى ، أنفها به إعوجاج وترسم إبتسامة ماكرة فوق شفتاها القرمزتين .،

- مرام هذه هي نجود ، والدتك الجديدة

نظرت مرام بكل براءة وسذاجة وشعرت برجفة خوف تعتري أوصالها فقالت بكل سذاجة:

- تشبه الساحرة الشريرة "مانويلا" تلك التي أراها في الرسوم المتحركة

زمجر عبد الله :

- ويحك يا مرام !!

قالت نجود بمكر ورقة كاذبة:

- اتركها حبيبي فبعدها صغيرة لا تعلم ولا تدرك شيئا .،

- نعم سأتركها لكِ قومي بتعليمها وتهذيبها فأنا يكفيني متاعب العمل ومشاكله ولا ينقصني هراءات تلك الصغيرة.،

نظرت نجود وقتها لمرام بترقب وبإبتسامة لاذعة:

- لا تقلق يا عزيزي !

وبعد دقائق ترك عبد الله المنزل فإلتفتت نجود لمرام واقتربت منها بأنفاس

شريرة وأمسكت ياقتها الصغيرة وقالت:
- من الآن أنا هنا سيدة المنزل! وإن أردت الحياة في سلام فلا تقفي أبدا أمامي أو تعترضي أي أمر أمره هنا !
نظرت لها مرام بوهن وخوف وضعف:
- حسنا يا مـانويلا
كشفت نجود عن أنيابها وبنظرات ملتهبة هجمت على وجنتاي مرام وصفعتهم بيدها الباردة وقالت بكل حقارة:
- إسمي نجود! ولا تحلمي أبدا بأني سأصبح والدتك يوما ما !! ولكن أمام والدك ستقولين لي ماما !! مفهوم ؟! شئتي أم أبيتي فأنا "ماما نجود" .. هيا ، هيا إغربي عن وجهي أيتها الصعلوكة الصغيرة..

*****

لم تكن نجود قاسية القلب والروح مع مرام فقط ، بل كانت إمرأة لا تكترث إلا لذاتها ولمتطلباتها هي .. تصحو في الصباح الباكر تهتم ببشرتها وبرياضتها وبإقتناء أحدث الموديلات العصرية .. تشارك في الكثير من المجالس المهمة كزوجة رجل مهم له شأنه في الدولة وكفتاة عائلة معروفة وثرية في مملكة البحرين ..
حين أنجبت نجود صهيب وخالد إكتشفت أن صهيب وِلِدَ كفيف فتنكرت له وأخذت تصرخ :
- ما هذا ، هذا ليس ابني .. أنا لا أنجب أطفال مشوهين !! لا أنجب أطفال عُميّ !
أخذت تصرخ وتتوعد وتسب وتقذف الجميع حتى ركضت الممرضات ومنحوها حقنة مهدئة فغطت في سبات عميق .. جلس حينها عبد الله

شارد الفكر لا يعلم كيف يتصرف ، ولكنه وجد مشهد جعله يبكي طوال الليل .. وجد مرام تمسك صهيب كهرة صغيرة وتربت فوق ظهره وتقبل عينيه بحنان وحب شديد .. تهدهده وتغني له بصوت طفولي

أهوو وليدي أهوو "

يرقد وليدي وينام

بفضل الله ينام

وبحفظ عيسى وموسى

" والنبي عليه أفضل السلام

نظر لها بعطف وإحترام وقال بوهن:

- من علمكِ يا فتاة تلك الأغنية !

- جدتي كل ليلة تغنيها لي يا أبي حين يفارق النوم جفوني وحين تغنيها لي أشعر بالأمان ثم أنام فأردت أن يشعر صهيب بالأمان حتى لا يحزن مما فعلته ماما نجود به !

قالتها مرام بسذاجة وعفوية ولم تدرك بأنها فتحت الجرح الذي لم يلئم بعده!!

*****

نخلق العجز لأنفسنا فتتسع الهوى بيننا وبين الجميع

الفصل الرابع

كان ماجد يسير في الشقة متوترا ، ينفث دخان سجائرة بعصبية وبنظرات زائغة .. ففي كل مرة يسمع مرام تحادث أخيها ، يرتجف قلبه ذعرا !! يخشى من وقوع شيئ لمرام ، ويهاب أن يحدث لها أي إنتكاسة .. جلس على حاسوبه ، صديقه الوفي الذي لطالما أخرجه من عسرات الضيق .. رفيق وحدته وصديق خياله الجامح .. لا يسأم منه ولا يمل كما مَلهُ الجميع !! حاسوب ماجد يوما عن يوم يثبت وبجدارة أنه الصديق الفاضل الوفي الوحيد في مدينة واقعهُ.. وكعادته يلقي بكل عصبيته وخوفه ومشاعره المُظلمة فوق حروف الحاسوب .. يفتح صفحات زرقاء وسوداء يتحكم بها كملكٍ في الغابة !! هنا داخل الحاسوب له عالمه الخاص ، وهنا أيضا يستطيع السيطرة على كل شيء ! حتى لو حدث خللا ما ، يستطيع في ومضة حلها وبكُفىء !! لا يعلم ماذا حدث ولكن تلك الصفحات تحولت فجأة إلى بؤرة مطلة على الماضي ، سحبَتهُ عِنوة وجرته إلى رذيلة الذكريات ..

*****

بداية الصدمة كانت حين ضرب يوسف إبنه ماجد وبرحه أرضا لما حاول الدفاع عن والدته ، مرت أسابيع وشهور حتى حاول ماجد أن ينسى هول تلك اللحظة .. هوة من الجفاء كبرت وزادت إتساعاً يوما عن يوم بينه وبين

والده .. وكلما تشاجر والده مع والدته ، ذهب غير مباليا في الدفاع عنها لينتهي به المطاف طائحا أرضا من يوسف .. كره ماجد هذا الأب الأناني الذي يضحك مع الجميع في الخارج ويأتي بعبوسه إلى المنزل ويعامل والدته كخادمة إقتناها بحفنة من المال .. وحين وصل إلى سن السادسة عشر استطاع أن يخرج من صمته وقال له في مشادة :

- أمقت اليوم الذي جعل إسمك يلحق إسمي!! وأدعو من الله أن يأتيني اليوم الذي أسمع فيه خبر وفاتك!!

نظرت له والدته بحزن وضعف:

- ماجد!! كيف تجرؤ على قول هذا لوالدك

أكشر يوسف عن أنيابه وقال بوجوم:

- هل رأيتي نتيجة تربيتك أيتها الشمطاء!! لعنة الله عليكِ وعليه!

صرخ به ماجد:

- بل لعنة الله عليك أنت أيها الناكر! والدتي تلك التي من استحملت عبثك وهرائك ! صبرت على مجونك وجنونك ليل نهار !! صمتت عن خيانتك لها ؟!! أو بعدك لم تدرك بأننا نعرف أين تلقي أموالك كل ليلة؟! أو بعدك تظن بأني مازلت ذاك الطفل الذي لا يفهم ولا يعي؟! لماذا تصمتين يا أمي على أفعاله النجسة!!

بكت والدته وبوهن صرخت:

- كفى يا ماجد كفى !! لم أعلمك أن تتحدث هكذا أبدا

هاج ماجد أكثر:

- إلى متى؟! إلى متى سنصمت يا أمي !! إلى متى ستظلين تشاهدين خيانتك بأُم عينك ؟! إلى متى ؟!! قولي لي إلى متى سأظل حبيس جدراني !!! إلى متى

ستتركيني لا أخرج إلى العالم ، لا أتحدث ، لا أرى ، لا أسمع ، لا أعبر عن مشاعري إلا بإحترام ، لا أصارحه بكل ما أعلمه ، لا أخرج إلى قارعة الطريق أتحدث مع الغرباء ، لا أذهب إلى منازل أصدقائي وكأني فتاة ! لا أسافر ، لا أهرب حتى !! إلى متى سأظل حبيس جدران كهفي المظلم وصديقي الحاسوب الذي سرق كل متع الواقع مني !!

- هل أخطأت يا بُني حين حاولت أن أحافظ عليك وعليه وعلى هذا المنزل؟!

- منزلك يا أُماه متصدع ، ألا ترين شقوقه !! أماه منزلك لا يحمل سوى الثقووووب!!

- أحاول أن أغلق عيني يا ماجد ، لتعيش انت وليعيش هو في راحة

بعينان محتقنتان وممتلئتا بالدموع:

- أنا أموت كل يوم يا أمي !! أموت بسببه ، أموت لأجلك ، أموت لأجلي!! أي حياة تلك التي تخشين عليها ؟!

- كبرت يا ماجد وأصبحت تعاتبني !! كبرت يا ماجد !!

هبط ماجد تحت قدم والدته وهو عابس وقال:

- كبرت ورأيت كيف تفنين زهو عمرك تحت مداس قدميه وهو لا يعبأ بما تفعليه من أجله !!

بكت شيخة ولمست وجنتيه بحنان:

- تعلمت كيف أصبح زوجة وفية ومخلصة تفني حياتها كلها من أجل أسرتها ! هكذا نشأت وأنا أرى كيف تحترم أمي والدي وكيف تحترم جدتي جدي !!

قاطعها يوسف بغضب:

- الأن استوعبتي بأنه كبر وأصبح غير مهذب !! هذه ثمار تربيتك !! هذه ثمار تعبي وشقائي من أجل توفير كل رغد الحياة لكم ؟؟

نظر له ماجد بحقد:

- هل تعبت حقا من أجلنا ؟! هه هل تسخر من ذاتك أم تسخر منا ؟!

- ويحك من إبن ضال !! ومالي وجاهي كل هذا لمن سيعود؟! أوليس لك ولتلك المرأة البغيضة!!

- حُبك من جعل منها إمرأة بغيضة !! العيش معك هو من جعل مني ضال وجعلها بغيضة!!

قهقه يوسف ضاحكا :

- هههه أضحكتني حقا أيها المتعجرف!! إنظر لها وإنظر لثيابها الرثة ! إنظر لخصلات شعرها البيضاء التي لم تفكر يوما بإخفائها وكانها تتباهى بهم! إنظر لبشرتها الخالية من الابتسامة ومن مساحيق التجميل !! ماذا تنتظر مني وانا أعود كل يوم منهك من العمل لأرى تلك الملامح !! قل لي هـــــا ؟! ماذا تنتظر !! بالطبع سأخونها ألف مرة في الساعة بل لو كنت قادرا على خيانتها ألف مرة في الدقيقة سأفعلها حتى تتوانى عن ما تفعله بك وبي..

لم يستطع ماجد السماع من أبيه أكثر فهجم عليه وحاول ضربه وركضت والدته كالعادة بينهم ، فالطفل الصغير الآن غدا شابا مراهقا وضرباته أصبحت تحمل قوة وضغينة عن قبل .. وإن تركتهم سيردف أحدهم الآخر قتيلا .. استطاعت بعد دقائق ان تزيل أيديهم عن بعض ودفعت ماجد بعيدا عن يوسف ونظرت بمقت شديد لزوجها :

- لن تلمس ماجد مجددا بعد ذلك !! إنه الشيء الوحيد الذي خرجت به من حياة بائسة معك !! وإن كنت تريد الزواج من غيري فلتتزوج واتركني

أنا وماجد نعيش حياة هادئة مستقرة .,
ذُهل ماجد ونظر لها وفاهه فاغر:
- يتزوج !!
قالت له بوهن:
- نعم يا ماجد ، والدك يريد عائلة أكبر وأنا لا أستطيع الإنجاب ، لدي الكثير من المشاكل وحين أنجبتك ، ولادتك كانت متعسرة جدا كانت ستؤدي إلى حتفي ! لذا أنا أعلم منذ القدم بأنه يريد إنشاء عائلة كبيرة وأبناء كُثر يحملون إسمه .., وظننت أنك وحدك تكفيه كما تكفيني أنا ، ولكن يبدو أن الحلم القديم لا يموت ! وعاد مجددا يصحو .., إجعله يا بُني يتزوج ولكن لا تحلم يا يوسف أن تبخس بحق ماجد في أيٍ من ممتلكاتك !!
ضحك يوسف عاليا بشكل هيستري:
- كم ساذجة أنتِ يا شيخة !! وهل تظنين بأني سأنتظر العمر يضيع هباءا !! كل ما في الأمر كنت أنتظر اليوم الذي أشعر بأنني لن أجرحك فيه لأصارحك بحقيقة بأنني تزوجت منذ أن أردت وأنجبت منذ عدة أعوام ! بل أنجبت بعد عامين من إنجابك لماجد!
لم تحتمل شيخة الخبر فسقطت مغشيا عليها .,

*****

كُنت في أوج المراهقة حين صَعق والدي أمي بخبر زواجه وإخفائه طوال الأعوام الماضية لتلك الحقيقة السرطانية التي أكلت من دهر والدتي سريعا !! لم يكفيه معاملته القاسية معها ، لم يكفيه مغامرتها بحياتها من أجل إنجابي له ، ولا كفاه بأنها ضحت وأمتنعت عن متع الحياة ولم يكفيه بأنها حرمت أنوثتها من حق العيش من أجلنا .., لم يوانيه أي شيء عن رغباته

الدنئية بالزواج من أخرى وإنجابه تلك الإمبراطورية الكاذبة ., وعلى الرغم من رضا والدتي بزواجه من أُخرى ، إلا انها حين علمت صُدمت ., لم تتوقع من زوجها الفاضل كل هذه الأنانية والجشع ., أنجب والدي من تلك الثانية سلطان و ريم و سعود .,وأصبحوا إخوتي ولكنهم إسما فقط!!

رأيتهم في مناسبات عديدة ولكن البغض يحول بيننا ، أعلم بأنهم ليس لهم ذنب في أب قاسي وجشع ولكن هذا هو القدر ., سلطان يصغرني بعامين ولكنه مختال مغرور لا يهمه سوى رغباته فقط ، صورة مصغرى من والدي !! يعشق النساء ويعشق اللهو وغير مبالي وعديم المسوؤلية وريم فتاة رقيقة ، حاولت التقرب كثيرا مني حين كنا صغارا ولكن سلطان لم يدعها وشئنها وبتر كل حب تحمله تلك المسكينة في قلبها لي ! وابتعدت كثيرا عني ، في الحقيقة لم أحاول أنا أبداً في إعادة الوصل بيننا ., أما سعود فمنذ صغره وهو مهتم جدا بدربه العلميّ كان مجتهدا ومازال يحصل على أعلى درجات العلم ويأمل في نيل أعلى الرُتب وكرس حياته كلها للعلم فقط ، كما كرست حياتي كلها لبرمجة الحاسوب .,

كانت والدتي منذ صغري تخشى أن تتركني ألعب في قارعة الطريق ، كانت تخفيني عن جميع الأعين ظناً منها بأن هذه هي الحماية الممتازة لطفلها الوحيد ., ودون أن تعي كانت تغزل لي كهفاً وراء كهف وراء جبال من الجليد و وراء محيطاتٍ من الجُبن ., كنت كلما حاولت أن أطل بنظرة سريعة إلى العالم الخارجي ، كانت أمي تُحكم في غزلها للصمت المطبق من حولي . وسرعان ما استسلمت بل وسرعان ما أحببت ما آلت حياتي إليه !! لم أكون ولا صداقة في مدرستي ولا في جامعتي. وحدها مرام حين إلتقينا في إجتماعات الأهالي والزيارات العائلية لتلك الصداقة القوية التي تربط أبي

يوسف بأبيها عبد الله إستطاعت أن تكسر كل القيود والحواجز العازلة لي.,
نظرات عيناها ، إبتسامتها ، شعرها الغجري حين يتلوى راقصاً مع نسماتِ العليل ، صوتها العذب الذي يعزف لحناً شجياً حين تتحدث ، كل هذا هو من فجر رباط عُزلتي الناسف وهتكت وحدتي بكل شموخ !!
في إحدى الزيارات أتت لي وأنا جالس كعادتي أمارس طقوسي المريبة مع حاسوبي وقالت:
- ما هذا يا ماجد ألا تسأم أبدا من جلوسك وحيدا هكذا
فقاطعتها ريم أختي ببؤس:
- إتركيه على سجيته يا مرام ، هو هكذا منذ الصغر .. تعالي لأريكِ ماذا جلبت أمس من السوق
ورحلت ، رحلت مع أختي التي لولا الرباط الذي يربطنا سويا لقمت بتقطيعها إربا على فعلتها تلك !! كيف تجرؤ وتأخذ ملاكي إلى بعيد .. هي الوحيدة التي لامست بحنانها هذا القلب الهش الضعيف .. هي الوحيدة التي استطاعت وبأقل مجهود أن تلفت أنظاري إليها ..

*****

ربتت مرام بكل هدوء على ظهر ماجد فألتفت لها مذعورا :
- هل أخفتك؟
قال بذعر وضربات قلبه متسارعة:
- لالالا ، كنت كعادتي شاردا في الماضي
ثم نظر لها بدهشة:
- هل ستخرجين؟
- نعم ، أريد أن أتنزه قليلا

- حسنا إمهليني خمس دقائق وسأتي معك
- لا يا ماجد أريد أن أخرج وحدي

شعر بسكين حارق يتغمده بكل برود ، صمت قليلا ثم نظر لها بتوتر وبذل كل مجهوده لتخرج ابتسامة حزينة مجعدة :

- على راحتك ، ولكني .. أردت فقط أن أكون معك

قالت مرام بإعياء وإنهاك:

- أجعل لي متنفسا يا ماجد ! أشعر أحيانا بأنك تحاصرني من كل صوب ! وكأنك تخشى أن أختفي يوما منك !! إتركني أنساب من بين معصميك وفك قيودي !! لا تجعلني أشعر وكأني مقيدة بأغلال خوفك..
- عفوا عفوا يا مرام ! إذهبي وحدك كيفما شئتي ، أنا فقط خائف عليكِ
- هذا هو ما أُشير إليه ! الخوف !! خوفك جعلك تنزوي بذاتك في سحيق الضياع وتريد أن تجرني أيضا معك !!

كظم غيظه ولم ينبت بشفى حرف وتركها ترحل تلعن ذاتها وتلعن شعور غبي أحمق يتحاذق دوما معها ..

*****

العشق دافئ في عينيك ، وسراب يختل توازنه في بُعدك عني

الفصل الخامس

كانت السماء مُلبدة بالغيوم ، والشمس غائبة عن أراضي اليونان ولكن هذا الجو الممطر الغائم كالدُر المرصع في عيناي مرام .. شعرت براحة تعتريها منذ زمناً بعيد .. جلست بثوبها الفضفاض في إحدى المقاهي وطلبت كعادتها فنجان قهوتها المحببة وأخذت تتأمل بهدوء من حولها .. دقائق أو ربما ساعات مرت وهي لا تشعر بكل ما حولها .. عيناها تلتقط كل الأحداث ولكن عقلها مُغيب في النَّوَى ، لحن حزين قادم من رجل فقير يعزف على آلة الكمان أعادها إلى الحاضر ، نظرت بجانبها فإذا بها ترى شاباً يرتدي ثياباً رثة جلس مسندا ظهره إلى حائط المقهى التي تجلس مرام بهِ وأخذ يعزف بشغف شديد .. نوتات حزينة جرفتها إلى محيط غامض فأغمضت عيناها وسافرت إلى سواد العقل الباطن واستسلمت .. وكأن اللحن كان قادر أن ينبش في حقيبة عقلها فأخذ يلقي بأصوات مشوشة وغامضة لا تعي ما هي ولا تفسر حقيقتها .. صوتاً لها وهي تبكي تارة وتصرخ تارة وهناك إسم تنادي به داخل أعماقها ولكنه غير واضح ، وكأن مطرقة تدق عنق عضلات رأسها ، ضغط رهيب يكبل جميع ذرات جسدها.. أرادت أن توقف تلك اللعبة ، صداع رهيب مريع يكاد يوأدها .. فتحت عيناها ونظرت بهلع إلى الشاب ودموعها الحارقة كاللهب تنهمر من عيناها تشعل حرائق العشق المفقود فوق وجنتاها .. أخرجت بعضاً من المال وألقته أمام الشاب

وركضت ذعراً وهي لا تعلم إلى أين ولا إلى متى ستظل تركض .. شيئاً واحداً كانت تدركه جيداً أن هناك وحشاً لا تعلم خطورته يظهر بين الحين والآخر يلاحقها !! وأن قلبها متعطش لعشقٍ لا تعلم أين وصاله .. وإنه أبعد ما يكون من أحضان ماجد زوجها !

*****

أخذت مرام تبكي بقهر وحزن عليل وظلت تمسح دموعها كطفلة تخشى أن يراها والديها تبكي وأخرجت هاتفها وهاتفت خالتها شجون .. وما إن سمعت صوتها حتى بكت أكثر، مما أقلق خالتها :

- مرام «بُنيتي» هل حل بك سوء؟
- لا خالتي ولكني إشتقت لكِ وإشتقت للبحرين جدا
- مرام هل ماجد يعاملك بسوء؟

صمتت مرام ، فماذا عساها تقول ؟ هل تقول بأنه لو إمتلك العالم لقدمه هدية لها ؟! هل تخبر خالتها بأنه لا ينام إن إشتكت من علة ما ؟ بماذا تخبرها ؟ هل تخبرها أن رافعة من الهم كل يوم تطيح فوقها فتقتلها بأبشع الصور .. بما تُجيبها وكيف ستتفهمها خالتها ؟!

- مرام ؟ هل تسمعيني ؟!
- نعم يا خالتي ، ماجد رائعا معي .. ولكن ..
- لكن ماذا يا مرام؟
- أنا لست بخير

توجست الخالة خيفة وقالت:

- لماذا يا صغيرتي ؟ «عسى الله يجيبها فيني ولا فيك «
- لا أعلم خالتي ولكن هل سبق لكِ وشعرتِ بأن جزءا منك مفقود؟ أين ؟

كيف ؟ لماذا ؟ لا أجوبة أبدا لتلك الأسئلة!!

- أنتِ بخير ربما الاشتياق هو ما يجعلك تفتقدين حلاوة مذاق كل شيء من حولك .. مرام هناك شخصا مزعج يريد أن يحادثك ..

لم تكمل شجون جملتها حين أخذت إبنتها «مزنة» الهاتف وتحدثت بشوق ولهفة:

- إشتقت كثيرا لكِ يا مرام كثيرا كثيرا كثيرا
- هههههه كيف أحوالك أيتها الشقية
- أنا بخير وأنتِ كيف أحوالك ؟
- حمد لله ، كيف أحوال البحرين ؟
- «الديرة تجولك بسك عناد وردي « أو ما إشتقتي إلينا؟
- نعم ولكن هكذا أفضل يا مزنة
- صوتك يخبرني بعكس ما تقولينه
- سأحادثك مرة آخرى لأعرف ما هو جديدك ولكن الأن الخط على وشك الإنقطاع
- حسنا سأنتظرك وإلى المرة القادمة إعلمي أن كل مكان في البحرين يصرخ إشتياقا ووجعا لفراقك

ضحكت مرام من قلبها على الرغم من الدموع التي إنهمرت من عيناها الحزينتان وتذكرت حديث خالتها «أنتِ بخير» .. لا تعلم ماذا فعل صوت أحبتها بداخلها ولكن طاقة إيجابية إعترتها فركضت مُقبلة على الحياة كالاطفال الصغار تركض تحت زواخر المطر وشعرها يتطاير ويهفو ورائها كفارسٍ جامح لا يأبه ولا يعبأ بكل الأنظار التي تكاد تلتهمها .. ولكن زوج من الأعين كانت تتربص بها وبشدة وكأنها غير مُصدقه .. زوج من الأعين كاد

صاحبها من فرط الدهشة والفرحة أن يصرخ ويركض اليها ولكن مرام كانت أسرع فأختفت من بين الزحام في الأزقة !

*****

عادت مرام إلى منزلها ومعها الكثير من باقات الورود وجميعهن من البنفسج ، فهي تعشق تلك الوردة بالأخص لا تتذكر لماذا ولكنها كلما قرأت معنى تلك الزهرة تعجبت أكثر فهي ترمز إلى حبٍ صامتٍ متأجج وكانت كثيراً ما تتسائل أي حب صامت هذا ؟! فلا تجد إجابة ولكن الوله بذاك البنفسج يزداد أكثر.. خرج ماجد من حجرته متعجباً من الباقات وقال:

- ما هذا كله ؟ هل سنقيم الأعراسِ هنا في شقتنا ؟

بابتسامة جذابة ركضت إليه مرام وأمسكت يده بدفأ :

- ما رأيك ؟! سأزين منزلنا كله من تلك الزهرة فأنا أحبها كثيرا ولا أعلم لماذا؟!

بُغت ماجد من تقلب مرام !! فهي قبل أن ترحل إلى الخارج كانت حزينة وبائسة وعادت معها زهو الحياة ! فماذا حدث بالخارج ، لا يعلم !؟

- مرام هل أنتِ على ما يرام؟!

- هه هل تسخر مني يا ماجد ؟ أعلم إني حزينة معظم الوقت ولكن لما كل تلك السخرية

- لم أقصد حبيبتي عفوا ولكن ..

نظرت له بوهج وحياة:

- أنا سعيدة هذا كل ما في الأمر وشعرت بأني أريد تغير نظام البيت كله برمته ، فهلا ساعدتني أيها الكسول !

إقترب بحب منها وبدقات قلب ترقص فرحا وإحتضنها ، إحتضنها ليرتشف

عبق سعادتها ثم قبل جبينها وقال:
- أمرك سيدتي ، هيا إعبثي بالمنزل كيفما شئتي
ضحكت مرام من قلبها وقالت:
- هههههه رائع إنك طفلا مهذب
- بل أنتِ طفلتي .. طفلتي أنا وحدي ..
- حسنا هيا بنا أيها البطل
صعق ماجد للكلمة التي تفوهت بها وصعقت في الوقت ذاته مرام !! لا تعلم لماذا تلك الكلمة هزت أرجائها من الداخل ؟! لماذا شعرت بأن السعادة كادت تذوب بؤسا حين تلفظت بتلك الكلمة؟! ولماذا هذه الكلمة أيضا صُعقت ماجد وارتجفت نظراته رعبا !! ولكن سرعان ما أنقذ ماجد الموضوع وهمس وكأنه لم يسمع شيئا :
- هيا حبيبتي

*****

وبعد ساعات من العمل المتواصل في تغيير وإعادة ترتيب نظام المنزل جلست مرام على الأريكة منهكة وجلس ماجد جانبها ، ثم نظر بإنهاك:
- مجنونٌ من يتبعك يا مرام
- لا أعلم ماذا فعلت بأنفسنا ؟، ولكن طاقة مريبة كادت تنفجر بداخلي لو لم أمارسها بشكلها الصحيح
لم يجيبها ماجد بل أخذ يتأمل شعرها المرفوع كعكة تتوسط رأسها من فوق وقميصها ذو الكمين الأبيض المرسوم في وسطه قلب أحمر وبنطالها القصير بكل حب .. أغمض عينه بكل تعب وترك العنان ليتنفس رائحة الشامبو ذو رائحة الفواكهة الإستوائية المُبعثرة من شعرها ..

- هل أتعبتك يا ماجد

فتح عينيه ودار رأسه ببطأ ونظر لها بصمت مما أدهشها فأردفت مجددا:

- لما تتأملني هكذا ؟

- لأني أُحبك

إبتسمت له بإعياء مع وخز صاحب دقات قلبها فأردف قائلاً :

- أُحبك جدا يا مرام وأود لو أركض بكِ إلى بعيد ، أن نهرب سويا ، أن أخطفك من العالم كله

- لماذا يا ماجد ؟

- لا أريد أحدا أن يأخذك مني

- ولِما أؤخذ منك ؟!

إقترب وأحتضنها بعنف ، أراد أن يدخلها قسرا داخل أحضانه ، أن يخفيها حقا عن كل العيون ، تركته يفعل بها ما يشاء باستسلام على الرغم من مقتها لأحضانه ولكنها اليوم شعرت بعجزٍ وفقدان للحب ! اليوم ستفسح له المجال أكثر ، ستقضي على كل المشاعر الغامضة السوداوية التي تبحر بداخلها .. أمسك ماجد يدها وأشار إلى شراييها وهمس:

- «أبي أسري في شراييك بدل دمك»

أغلقت عيناها وقالت:

- ماجد إحملني كطفلة و خذني إلى الفراش

فحملها ماجد بكل رقة ووضعها على فراشها وجلس بجانبها يلعب بخصلات شعرها تارة ويشمها بكل عشق تارة وظل يدندن لها بأغنية عبد المجيد عبد الله :

« ومن حقي اكون الليلة أناني

عساني مانحرم شوفك ولا لحظة عساني
حبيبي سيطر احساسك على كامل كياني
تعاني تشرح أحساس القصايد والأغاني

أبيني لك غرامك فرحك وهمك
ابي اسري في شراييينك بدل دمك
ابيني لك يرحم لي ابوك و أمك
ياغالي تأكد و اجزم انك اغلى غالي
حبالك قيدتها فالهوى قدها حبالي
تعكر كل شى وحدك تراك اللي صفى لي
عشقتك من هنا ومدري وش اللي جرى لي
تركت الكل لعيونك ترى لعلمك
تهمك هالصراحه و لا ما تهمك
غصب أهواك أسمح لي أبي اضمك «

حتى غفت مرام فقبل جبينها ثم لثم شفتاها بقبلة تحمل حرارة أشواقه وتركها ورحل إلى غرفته يبكي !!

*****

في البداية يقتلك الفراق ومع الوقت يحولك إلى مسخ

الفصل السادس

خرج نبراس مع أصدقائه إلى إحدى مطاعم البحرين الشهيرة والمعروفة «بوشيدو» إعترض في بداية الأمر وطلب منهم تغيير المكان ولكن أصدقائه أرادوا الذهاب إليه .. وما إن دخل إلى المكان حتى هاجمته الذكريات كأسد جائع يبحث عن فريسته منذ وقتاً طويل .. رأها طيفا هلامي يأتي من بعيد يقترب رويدا رويدا منه .. إلتفت لأصدقائه يريد أن يحذرهم ، أن يخبرهم بطيفها القاتل ولكن لا أحدا يراها سواه .. ولا أحدا يشعر بما هو قادم إليه !! جلسوا في أحد الأركان وأخذوا يضحكون ويلهون غير مدركين بما يحدث مع رفيقهم .. حرارة الجو كادت أن تخنقه فقال:

- المكان حار جدا!!

نظر له أصدقائه بدهشة:

- أي حر هذا الذي تتحدث عنه يا نبراس ! المكان بارد جدا !!

إحتقنت ملامحه وشعر بالذعر ، إنه لهيب الذكريات وحده يحرقه ! فكيف سيشعرون به !

فغاب عن دنياهم وعالمهم واستسلم بكل هدوء إلى طيفها الذي أخذه إلى عالمها ..

*****

لم ييأس نبراس من معاملتها الجافة له في الجامعة ومحاولتها ردعه وصده دوما ، ظل عاما كاملا يترصد كل حركاتها ، يدرسها جيدا كمادة إضافية من مواده ولكن هذه المادة أهمهم فهي تتعلق بالقلب الحاني لرمق من جوف ولهها .. وذات يوم قرر أن ينتظرها عند سيارتها .. وحين وجدته كعادتها رفعت الحاجب :

- من تظن نفسك بأفعالك الصبيانية تلك !!
- لا أعلم لما تخشين محادثتي !! حادثيني كزميل مثلما تحادثين غيري!
- قلت لك من البداية نحن بيننا الكثير من الأسوار الشائكة
- ألا تريننني أزيلها واحدة تلو الآخرى؟!
- لماذا ؟ لتصدم في النهاية بجدار الخيبة!
- سأكسره أيضا من أجل عيناكِ
- ماذا تريد يا نبراس؟
- أريد شغف القرب منكِ
- حولك الكثير من الفتيات ؟!
- وحدكِ من استطعتي سلب كياني
- نبراس
- عيونه

إبتسمت لأول مرة ! لا تعلم لماذا إبتسمت ولكن تلك الكلمة دغدت مشاعر حية ورقيقة داخلها ، هي تشعر بقربُه منذ عام كامل .. وعلى الرغم من صد محاولاته إلا إنه إستطاع وبجدارة أن يلفت أنظارها إليه .. فأدمنت اللعبة وباتت تنتظر قربه أكثر منه!!

- نبراس يكفي ، أرجوك لا تحاول تخطي المزيد

- ما رأيك أن أدعوكِ للغذاء
- هل جُننت؟!
- سأصبح مجنون إن أضعت تلك الفرصة الذهبية
- نبراس ..,

قاطعها بحزم وناظر داخل أعماق عيناها الساحرتين:

- هل تعرفي مطعم بوشيدو
- بالطبع !
- سأسير خلفك لأتأكد من عدم مراوغتك مني

قالت مرام بخوف وضعف:

- ولكن ..,
- في الأول طلبي كان رجاء والأن أمرك !! هيا يا مرام ..,

*****

كان يوما من أروع أيامي ، كان بداية ملحمة شرسة لم تترك نفوسنا إلا وأطاحتها شهداء الحُب .,, أتعجب أوقاتا كثيرة مننا نحن البشر ؟! لما نخلق لأنفسنا القيود والعراقيل ؟ لما نصر دوما أن نبني سدا وراء سد ؟ لما نصِرُ علي هدم كل ما منحه الله لنا إياه ! لما نخلق السجون لنا وقد خلقنا الله أحرارا ، متساووين ، في ذات الكفة ، لا أحد يتقدم على أحدا عند الله إلا بالتقوى والإيمان !!

ذهبنا إلى المطعم وجلسنا في إحد الطاولات التي كنت حجزتها مسبقا وكأني كنت على يقين بأني سأظفر بالجلوس معها .,, كنت أسمع رجفات قلبها ، كنت أقاوم رغبة جامحة بداخلي أن أحتضنها ، أن أهدأ من روعها ، أن أصرخ في العالم كله وأهددهم :

لن يقترب أحدا من مرام قلبي ، ومن يحاول التعدي على راحة بالها »
«سأسفك دمه ألاآف المرات
- لما تلتفتين كثيرا يا مرام ؟
- لا أعلم ، ولكن قلقة حيال العبث الذي نفعله هذا
- عبث !
نظرت لي بأسف شديد :
- أعتذر لم أقصد إهانتك ولكن هل أنت مدرك يا نبراس لما نحن قادمون عليه ؟ أنت تريد القرب ؟ وقد يحرقنا جمرُه..
لم أتمالك نفسي فأمسكت أناملها الباردة الرقيقة الناعمة وهمست بمقلتي فضَّحتان:
- لا يهمني جمرُه يا «بعد هالدنيا» لن أنتظر أكثر فعامك هذا العام الأخير من الجامعة وأنا ..
قاطعته مرام:
- ألا تخشى فرق العمر بيننا يا نبراس؟ فأنا أكبرك بعدة أعوام ؟!
- العُمر في عُمرك عُمر وعُمرِك في عُمري بحر فلا تخشي مِنُه..
وجدتها كثمرة في أوج فصولها الربيعية ، وجنتا قرمزيتين ولمعة العشق تبحر بلا فارس داخل عيونها «عيون المها» وأهدابها الطويلة الناعمة تتزاخم فوقها نثير حُبي .. إنها مرامي ، الحُب الأول أيّنْ كان تِعداده الحقيقي .. كاذب من يقول الحُب الأول هو أول شخص يدق له القلب ! فحبي الأول هو حُبي الحقيقي الذي يُعمر داخلي ويبقى معي إلى الأبد .. لم آبه معها بفرق العمر ولا فرق الطائفة ، لم آبه بخلافات تسود بين العائلتين ولا بتوتر العلاقات ، لم آبه بالعالم كله حين وقف أمامنا .. كل ما كنت أكترث إليه بأن

حُبنا حلال ، حلله الله لنا .. نعم حلل ربي زواجنا !! هي مسلمة وأنا كذلك ، إذا فهو حلال ثم حلال ثم حلال !! ومن يقول غير ذلك كافر بشرع الله !!
صحوت من جعبة الذكريات على صوت أحد أصدقائي:
- ماذا ستأكل يا نبراس؟
لا أعلم بماذا كنت أفكر حين أجبته:
- زادي حُبها ! فلا تلومنني إن أعرضت عن الزادِ!!
وتركتهم ورحلت .. كل الأماكن في فراقها لعنة!! عام ونصف وأنا أبحث عنها وبلا جدوى.. عاما ونصف وأنا أطرق كل الأبواب الموصدة ، لعل مرامي تختبىء مذعورة خلفها .. هائجاً أنا في البحث خلف أي ثرى لها .. عاما ونصف وأنا كل يوم أعرض ذاتي وأعرض أهلي للمشاكل ولا أيأس ولا أمِل.. عُدت إلى المنزل لأجد حوراء تشاهد التلفاز وما إن رأتني حتى هرعت لي بكل شوق:
- عدت مبكرا اليوم يا نبراس
- نعم
- نبراس ؟
- نعم يا حوراء
- اليوم أول محرم ، هل ستأتي معي إلى المأتم ؟
- سأذهب وحدي
قذفت حوراء بسؤالها ذكرى لم تبرح أبدا من عقلي اللاهث خلف أيامي مع مرام ، كنت جالس معها بإحدى المقاهي وكنت أشبع من عيناها ، أثمل من رحيق نظراتها حتى إلتفتت لي متعجبة:
- نبراس ! كيف نسيت ذلك ! اليوم مُحرم ، ألن تذهب إلى المأتم

إبتسمت إليها بوله شديد ، يا إلهي تلك الإنثى قادرة على جذبي لها بكل الطرق ! تلك الأنثى فوق تقاسيم ملامحها البريئة يرقص عمري طرباً وترقص دقات قلبي فخراً :

- كنت سأذهب بعدما أتركك

نظرت لي بدهاء :

- هيا أيها اللعين ، إذهب

- هل لي بسؤال يا حوراء ولكن جاوبيني بصدق

- ماذا ؟

- ألن ترتعدي يوما إن أصبحوا أطفالك يوما ما على مذهب غير مذهبك ؟ ألن تسئمي من إحترام تُقدمينه لهم ولأفكارهم الدينية ؟!

- الله سبحانه وتعالى واحد لديك ولدي ، هذا ما سأعلمهم يا نبراس ، وإحترامهم من إحترام والدهم ، لا قانون ولا شريعة يحرم إحترام قدسية طقوسكم الدينية .. دين الحق هو إعلاء كلمة الله الواحد الأحد فقط وأنا وأنت متفقين على هذا الشيء !! إذا تنكسر كل قواعد الكره والبغض عند مبدئنا هذا ولا يعلى إلا الإحترام المتبادل لكل منا ..

إبتسمت لها برضا ثم تلاشت تلك الذكرى القديمة وعدت إلى الحاضر وإلى أختي التي تقف كالجلاد أمامي حين قالت:

- متى ستعود أخي الذي عاهدته ؟ متى ستعود إلى ذاتك ؟ ألم تيأس بعدك؟

- حين تعود لي «بعد هالدنيا» سأعود لذاتي

إحتقنت ملامحها وصرخت غاضبة:

- إنها ليس كذلك ! فهي تزوجت غيرك ! يئست ، فملت ، فتزوجت غيرك يا نبراس وأنت مازلت تبكي فوق الأطلال !! إرحم والديك وإشفق على قلبك

الجريح
- لن يهدأ الجرح ولن أصدق تلك الإشاعات السخيفة التي يروجها أهلها عنها حتى أكف عن البحث عنها.,
- حبا لله يا أخي فـ .,
لم أقوى على سماع المزيد فصرخت باكيا وبصوت متحشرج يخرج من أعماقٍ عليلة:
- حُبا لله أنتِ ، إشعري بي! إشعري بصراع يجلجلني في المساء ! إشعري بوحش فراقها كيف يعصف ويزلزل كل ما تبقى بداخلي !!
- أخشى عليك يا نبراس ، لا تلومني ولا تلوم أهلك ولكن تلك الزيجة كانت ستدمر الكثير
إلتفتُ إليها بجنون صارخاً:
- لماذا ؟ لماذا يا حوراء ؟ لماذاا؟
- تعلم كم يمقت أباها طائفتنا ، وكم يمقت والدك ؟! قل لي كيف كنتم ستتزوجان والبغض بذوره منثوره في منزلكم ؟؟ وفارق العمر هذا الذي كان سيهدم الكثير بينكما؟!
- لا يهمني كل ما تتفوهين به ! الأباء وبغضهم سيرحل حين يرحلوا ! لن يبقى سوى الحب بيني وبينها مُذيبا أي جليد كُره والحب لا يدرك عُمرا !! نحن فقط من نعبث بالحب ونحاول غزله كيفما شئنا.,
فقاطعتني والدتي بألم وشجن:
- هل أصبحت تتمنى موتنا يا نبراس من أجل رغباتك القاتلة ؟
نظرت لها وشراييني الحمراء ترتسم بوضوح داخل عيناي البائسة:
- أي موتا تتحدثين عنه يا والدتي؟ الموت جرفنا منذ قديم الأزل ! أنا مجرد

مسخ في هيئة بشر..

*****

في البحرين ، في فيلا عائلة مرام وفي حجرة صهيب بالتحديد ، كان صهيب جالسا يستمع إلى المذياع ، فالمذياع يعتبر بمثابة نافذة من النوافذ القليلة الذي يستطيع من خلالها الوصول إلى العالم الخارجي .. وبينما هو جالس يستمع ، سمع طرقات عرف صاحبها جيدا .. فعبس قليلا:

- نــ نعم

دخلت نجود وتسبقها رائحة المسك والعود ومعها هاتفها التي تعبث بها كعادتها ولا تعير أي إهتمام لإبنها الذي غدى شابا يافعا ولكنه ما زال حبيس الجدران نظرا لظروفه الخاصة ..

- سأسافر اليوم إلى باريس ، أردت التبضع من هناك .. هل أردت أن أجلب لك شيئا معي؟

لم يجيبها صهيب ، فعلى الرغم من عدم قدرته على البصر إلا إن بصيرته قوية جدا ، فهو قادر على الشعور بها والشعور بأنها حتى في سؤالها لا تعيره أياً من الإهتمام..

لم تلاحظ صمته وبعد دقائق رفعت رأسها بكل غطرسة من على الهاتف وقالت بإندهاش:

- لما لا تجيبني؟! قلت لك هل تريد شيئا من باريس؟!
- لا تكترثي بما أريده ، فقط إذهبي لما أنتِ ذاهبة إليه !!
- لما تحدثني بهذا الأسلوب أيها الولد!

صرخ صهيب بحرقة وألم:

- من منا لا يُبصر!! إفتحي عيناكِ فالولد غدى شابا!!

- ويحك ، قليل الأدب

ضحك صهيب بسخرية:

- هه ومن أين سأكتسبها ؟! إن كان الله رزقني بوالدة غير متاحة أبدا لي! رقصت الشياطين أمام وجه نجود ، فلم تتدراك نفسها إلا وهي تصفع صهيب :

- ولادتك كانت لعنة !!

وتركته وخرجت لتصدم بعبد الله الذي سمع الحوار كله ، لم تعره هو الآخر أي إهتمام وحملت

حقائبها وغادرت المنزل ، نظر عبد الله إلى الداخل دون أن يدخل فوجد صهيب يمسك صورة مرام ويحادثها:

- لما غادرتي يا مرام وتركتيني وحدي؟! لما ؟ لما الله رزقني بإنسانة لا تدرك قيمة المشاعر ؟!

مازلت يا مرام أشعر بأنك والدتي ! أنتِ أحق منها بذاك اللقب !! هلا عدتِ يا مرام؟! ولكن لما تعودي؟! هل تعودي للجحيم؟ هل تعودي إلى قصر يسكنه الشيطان!! أنتِ كنتِ على حق حين لملمتِ بعثرتك وهربتِ .. أنتِ نجوتِ يا مرام .. هنيئا لكِ..

*****

ذهب عبد الله إلى مكتبه وأغلق الباب بالمفتاح وأخذ يبكي ، متقاعساً هو في دوره مع أبنائه ! على الرغم من جحوده وسيطرته ونفوذه أمام العالم أجمع إلا أنه يعلم بإخفاقه في تربيته لأولاده! فها هي مرام إبنته الأولى هربت إلى ملاذا بعيدا وإبنه الثاني عاجز والثالث غير مكترث بالحياة من حوله ويركض دوما وراء ملذاته ! والرابعة ، صورة مصغرى من والدتها !! أما الصغير ..

آآآآه من الصغير وما حدث له !! ماذا ستفعل مرام حين تعلم بالفاجعة !! نبههم كثيرا بعدم إخبارها ولكن الحقيقة لا تتوارى أبدا عن شمس المعرفة.. ولابد بيوما وتنجلي !! مرام لم تكن فقط أختا بارة لهم بل حقا كانت بمثابة الأم الحنون ، الأم التي تتعب وتكد من أجل إخوتها .. مازال يذكر حين كان يعود من العمل ويراها تحمل صهيب حين كان صغيرا تهدهده وتجلس فوق فراشها وهو صغير جدا في حجم كف اليد وتقول له:

- هيا حبيبي ، لا تبكي ، يمكنك أن تشرب من حليبي !

مسكينة تلك الصغيرة التي كانت تحمل طفلا صغيراً يصغرها بخمسة أعوام وتظن بإنها قادرة على إطعامه من حليبها الغير موجود !! تظن إنها حقا والدته ولا ينقصها سوى الحليب الذي يخرج من نهديها الصغيرين لتبصم بالعشرة إنه منها هي وليس من نجود !!

مسك عبد الله هاتفه بيدان ترتجفان وحاول أن يهاتف مرام ولكنه سريعا ما تراجع عن الأمر ومسح دموعه وخرج من المنزل برمته !

*****

عادت العنود تترنح من الخارج وتدندن أغنية لأحلام كالعادة ورائحة الخمر تقتل كل زهرة تمر من جانبها في الحديقة :

يقولون الثقل صنعه وانا اقول الثقل بعدين »

انا مافيني اتحمل انا حقي ابيه الحين

» ابيه حاضر بحاضر ولاني منتظر باكر

خرج صُهيب من حجرته منزعجا من رائحة الخمر التي ملأت جميع أرجاء المنزل :

- العنود !

وقفت العنود بكل قوة ورفعت حاجبها مندهشة من عصبية صُهيب:
- هل مازلت مستيقظا ؟!
- ما تلك الرائحة المنبعثة منك!
- دقيقة دقيقة ! من أنت لتحاسبني ! هل نسيت نفسك !
- تحدثي معي جيدا ولا تنسي بأني أخاكِ الأكبر
ضحكت بسخرية وتهكم:
- هههه أضحكتني يا هذا ! أخي الأكبر! وهل نسى أخي بأنه ضرير لا فائدة ولا رجاء فيه ! قف عن تلك المسرحية الهزلية .، أنا متعبة .، هيا هيا إذهب إلى جُحرك ونم فيه .، هيا إذهب يا صُهيب وأحمد الله وأشكره على نعمة عدم رؤية الحياة هذه.،
تركته يقف عاجزا ومتعصبا لا يعلم ماذا يقول وعادت تدندن وهي في طريقها إلى حجرتها:
« تعبت اشيل غلطاته واجملها واعديها
وصرت بكثرها ماعرف ولا ادري وين اوديها
ياكم مره سامحته وعاتبته وصالحته
ولا هي مره او مره ولا هي مره او ثنتين «
صمت صُهيب وكظم حقد دفين بداخله كاد يحرق البحرين بأجمعها ! صمت لأنه يعلم أن والدته السبب في كل هذا .، السبب في ضياع أبنائها واحد تلو الآخر وهو الضعيف العاجز كما يلقبونه دوما عن رد الهوان والضياع اللذان يسبحان فيه! إنه يلقي اللوم أيضا على والده .، والده الذي يظهر كرجل ذو حكمة ونفوذ وسيطرة في مجالس الدولة ، الرجل الذي يقدره الجميع ويحترمه ، الرجل الناجح اللامع الذي ما إن إرتبط إسمك

بإسمه تُفتح لك جميع الأبواب الموصدة في الدولة!! هذا الرجل صفر أمام عائلته ! بل هو أكبر فاشل في تربية العائلة .. ونجود هي الطوفان التي تأكل ريعان كل واحد بداخل العائلة .. هي التي كسرت قلب مرام وأشعلت فتيل النار في قلب والدها تجاهها وهي التي تنكرت من صُهيب وهي التي جعلت خالد يكبر بمجونه وعبثه وهي أيضا الذي أخذت العنود إلى طريق الهلاك بيدها وهي السبب في .. ! يكفي فلم يستطع صُهيب التحمل أكثر فعجزه نخر في قواه فأخذ يكسر كل الأشياء في حجرته وهاج وماج ، حتى أتت خادمته الهندية وحاولت تهدئته.. ولكن أي هدوء هذا يصحب البحر في قمة إضطرابه!

*****

من أجل الحب قد نرتكب الكثير من الجرائم في حق أنفسنا
بل قد نسفك دماؤنا دون أن نشعر..

الفصل السابع

في اليوم التالي صحت مرام من نومها قلقة ومضطربة ، نظرت حولها فوجدت نفسها وحدها في الفراش فتنهدت بِرَاحة .. مؤخرا كلما آتاها هاجس أن ماجد ينام بجانبها تصحو مذعورة ! لا تريده أن يلمسها ، هناك سبب ما يحذرها دوما من محاولته أن يمارس معها حقوقه الزوجية! نذير يهيج ليلا لا يجعلها تنام قريرة العين إلا بتأكدها من إغلاق حجرتها على نفسها .. لكن بالأمس نامت متعبة من دون أن تشعر لذا صحت الآن مرعوبة من أن يكون بقربها .. سارت على أطراف قدميها إلى الحجرة الآخرى لتتأكد من وجوده بها وحين وجدته يغط في سبات عميق ، ركضت فرحة وإنغمست مجددا بين وسائدها الناعمة الضخمة .. وماهي إلا سويعات حتى إنتظمت أنفاسها وعادت مجددا إلى النوم.. وبعد قرابة الساعة شعرت مرام وكأن هناك شيئا ما يقيدها ولكنها مجددا لا تستطيع الحركة أو حتى تطرف عيناها ، أرادت أن تفك حصارها ولكن الوضع إزاداد عن قبل فبدأت تختنق ، تشعر بكل حركة حولها بل إنها تشعر بحركة ماجد الذي استيقظ لتوه ! يا آلهي هل شُلت ؟ هل هي على مشارف الموت مرة آخرى؟! تريد أن تناديه ولكن لسانها معقود إلى الداخل وصوتها متحشرج وهناك مطرقة تفتك بأوصالها ! هناك أحدا خفيا يحاول كسر ضلوعها ! ثم تلاشى كل شيء في ومضة عين فاستيقظت وثوان قليلة حتى هرعت إلى الخارج ولكن صوتها

ما زال حبيسا بالداخل .,, نظر لها ماجد بهلع:

- ماذا بكِ يا مرام؟ لما تركضين مذعورة؟؟

أشارت بيدها إلى الداخل وعيناها تبث الرعب في أرجائه ، فركض إلى الداخل معتقدا بأن هناك لصا ولكنه فوجىء بالغرفة خالية وكما هي على عهدها فأردف:

- ماذا هناك يا مرام؟

هنا استطاعت مرام أن تتفوه برعب:

- هناك يا ماجد ، هناك أحدا خفي يجثم فوقي ويشل حركتي

- هذه ثاني مرة يا مرام ؟!

- لا لا يا ماجد تكررت كثيرا من قبل ولكن الآن باتت ترعبني ، الآن باتت أكثر قوة من قبل !

- منذ متى يا مرام وأنت تعانين من هذا الشيء؟

- منذ قدومي اليونان - قالتها بشرود -

نظر ماجد بتوتر :

- هيا ارتدي ثيابك ، سنذهب إلى الطبيب

استنكرته مرام قائلة:

- أي طبيب هذا الذي سأذهب له؟ وماذا سأقول ؟ هل سأقول أن هناك شخصا يجثم فوقي من فترة إلى الآخرى!! بالله عليك إجلس يا ماجد .,, أنا بخير ، نعم أنا بخير .,, لا ينقصني سوى الجنون !

- حبيبتي أعلم إنك بخير ولكن هذا للإطمئنان عليكِ أكثر

- أريد أن أعمل ! ربما الفراغ الذي أسكن بين خبياه هو من يجعلني متوترة دائما ، فيصيب الخلل نومي

بُغت ماجد لطلب مرام:

- تعملي؟!

- نعم ؟؟ مللت من الجلوس بالمنزل يا ماجد ، خاصة وأنت في عملك .. مللت من تلك الحوائط ! أشعر أحيانا أن هناك الكثير من الأعين تتربص لي من خلفها

- ولكن حبيبتي ..

قاطعته بعصبية:

- لا تقل لي مجددا بأنك تخاف عليّ من الغربة !! فالغربة تسكن هنا بداخلي !!

وأشارت إلى قلبها ، مما جعله يزمجر ويقول بغضب:

- لما دوما تجعليني أشعر بعدم كفأتي كرجل يا مرام؟! لما أفشل دوما في إسعادك ! في تلبية جميع رغباتك؟! مهما فعلت ومهما حاولت تصدميني بجبل إحباطك فأتصدع وأنشق إلى ملايين الذرات وتأتي رياح رفضك وتبعثرني إلى أبعد نقطة عنكِ ؟! لما ؟؟ هيا أجيبيني

اصطكت أسنانها في بعضها البعض ومسحت العرق من فوق جبينها وقالت بإصفرار إصطحب ملامحها والدموع تنهمر من عيناها :

- لا أعلم ! ولكن مؤخرا بت أمقت خوفك وألعنه يا ماجد !

تراجع ماجد عن عصبيته وخشى من أن تنقلب الأمور وتزداد سوءا:

- حسنا ، حسنا يا مرام .. سأتركك تعملين كيفما شئتي

- شكرا

قالتها بعدم رضا وهرعت إلى حجرتها وأغلقت الباب وما إن أغلقته حتى ارتمت باكية على فراشها.. ظلت تبكي بحرقة ، ظلت تبكي وكأن الروح

المشتعلة بالداخل تريد أن تلفظ براكينها على حياتها .. خيباتها المتتالية تجعلها إنسانة فاقدة لطعم الذات ، فاقدة للون الحياة ، ومتعطشة دوما لنقطة الإرتواء .. خنجر الألم يطعن الشجى المتحشرج في غياهيب سكونها وهي غير قادرة على الصراخ ، غير قادرة على التعبير .. تتساءل كثيرا لما كلما أرادت أن تعبر عن ما بداخلها هربت الحروف والمشاعر وبقي الفراغ عدو يترصد لها!!

*****

أخرجت مرام الكثير من رسوماتها من أدراج مكتبها ، كما أخرجت أدوات رسمها وشرعت في تصميم ثوبا جديد .. فكلما ضاقت بها سجونها هربت إلى الرسم أو كتابة بعض من النثر، لا تعلم متى اكتسبت تلك الهواية ؟! هل كانت تقبع في ماضيها أم أنها عادة جديدة وُلدت في غُربتها ؟
عاد ماجد من العمل فوجدها غارقة في الرسم فأبتسم بهدوء وتركها ودخل هو الآخر إلى مكتبه وفتح حاسوبه وشرع في العمل .. يعلم إنها جرحته وكسرت كبرياؤه كرجل ، كثيرا ولكنه كالأب لا يقوى إلا على غفران ذلات وأخطاء إبنته ، ومرام هي إبنته الوحيدة ، إبنته التي مدت له العون كثيرا ..

*****

البحرين ٢٠٠٤

كان ماجد يجلس في حجرته ينتظر على أحر من الجمر قدوم مرام وعائلتها ، وبين الفينة والآخرى يلقي نظرة من النافذة .. وماهي إلا ثوان حتى وجد سيارة تدخل حديقة منزله ولكن لم تكن سيارة أهل مرام بل كانت سيارة إخوته الذين جاؤوا مع السائق .. لم يأبه لوصولهم ولا دلالهم على أبيه ولا

محبة أبيه لهم أكثر منه ! كل ما كان يكترث له هو مجيء محبوبته الصغيرة «هيا يا مرام تعالي ، فأنا أنتظرك على أحر من الجمر ، هيا ، هيا «

حدث نفسه بينما كانت ريم تطرق باب حجرته ..

- مساء الخير يا أخي

- مساء الخير يا ريم - أجابها بإقتضاب شديد -

- لما تجلس وحيدا؟

- لا أريد النزول الآن إلى الأسفل

قاطعه أخيه سلطان بكل غطرسة:

- أووه هل تنتظر مرام عند النافذة كالهرة الصغيرة الجبانة ! يا للمسكين لا يعلم إنها لن تأتي اليوم !

إحتقنت ملامح ماجد و صرخت ريم مستنكرة أفعال أخيها الصبيانية:

- سلطان لماذا أتيت هنا !

صرخ بوجهها:

- أنتِ ماذا تفعلي عند هذا المريض النفسي !! ألم أقل لك بأنه مجنون ولربما آذاكِ

لم يتمالك ماجد نفسه إلا وأنقض فوق سلطان يضربه بكل ما أوتي من قوة ، كان ينفس عن غضب عارم بداخله تجاهه وعن خوف أشد وأقبح من تلك الشائعة التي روّج لها سلطان منذ قليل ولا يعرف مدى صحتها ..

دخلت الأم سريعا تفض العراك بينهم ولامت ماجد كثيرا ، فدافعت ريم:

- لا يا خالة شيخة ، سلطان هو من إفتعل المشكلة

كادت أن تجيبها لولا قدوم مرام :

- مساء الخيـــــر

فقفزت ريم سعيدة وإحتضنتها فرحة:

- مرام أخيراا جئتي لقد مللنا إنتظارك

حيّت شيخة مرام :

- أهلا بُنيتي

ثم نظرت إلى ماجد:

- إكظم غيظك يا ماجد ، سأنزل إلى الأسفل لأرى نجود

وما إن تركتهم الأم حتى قال سلطان:

- هيا إشبع بمرام يا ماجد هههه

عبست مرام :

- ماذا تخال نفسك يا سلطان؟!

إقترب لها سلطان بعينان صقر ونظر لها بحدة:

- أظن نفسي كما أظن ! لا تتدخلي أيتها المتعجرفة بيني وبين أخي

صرخ مجددا ماجد:

- إلى هنا ويكفي

ثم صفع سلطان وطرده خارج الحجرة وأغلق باب الحجرة عليه هو وريم ومرام ..

نظرت مرام بخوف:

- لما فعلت هكذا يا ماجد ، ستدخل نفسك إلى المشاكل

أكدت عليها ريم:

- نعم سوف يذهب الآن إلى أبي يا ماجد

- فليفعل ما يريده ، لكن لن أتحمل أحدا يحادثك بتلك الطريقة السخيفة يا مرام

إقتربت منه مرام بحنان وربتت فوق ظهره:
- لا عليك منه ، أنت تعرف عشقه لإفتعال المشاكل ، وعلينا تجنبه
لم يجيبها لأن الطرقات التي كانت على الباب كادت تسقطه أرضا ، ففتحت ريم سريعا مذعورة فوجدت يوسف والدها يمسك ماجد ويصفعه ويصرخ:
- أيها الحقير ! كيف تجرؤ على إهانة أخيك الولد أمام الفتيات !! من تظن نفسك هاا!!
وقفت مرام بينهم متحدية يوسف:
- لما صفعته يا عمي ! إنه سلطان من بدأ أولا !
تحدث سلطان سريعا مدافعا عن ذاته:
- كاذبة !
- لست كاذبة بل أنت الكاذب حتى إسأل ريم يا عمي
نظر سلطان سريعا إلى ريم بنظرات محترقة وغاضبة وحادة جدا فخافت ريم وطأطأت رأسها حين سألها والدها:
- من يا ريم ؟
صمتت قليلا قبل أن تتفوه بتردد:
- مـــا جـــد
صُعقت مرام وصفع يوسف مجددا ماجد ثم غادر الحجرة ومعه سلطان وريم ..
ركضت مرام إلى ماجد وربتت فوق ظهره مرة آخرى ثم لامست وجنتيه بأسف بالغ وقالت:
- لم أقصد أن أدخلك في مشاكل
نظر ماجد بحب لها:

- خُلقت للمشاكل يا مرام ، لا عليكِ ، بكِ أو من غيرك هي موجودة !
- سألقن ريم درسا لن تنساه ! رباه بعدي لا أصدق كيف إستطاعت ذلك
- لا تلوميها ، بعدها طفلة صغيرة وتخشى سلطان ! لا تنسي إنه أخاها أكثر مني
- ولكن .. على الأقل كانت ..
- صدقيني ، ريم ضعيفة لا تقوى على فعل شيئٍ لسلطان

وسرعان ما نادى عبد الله مرام :

- مـــــــــرام
- إنه والدي يناديني ، هل ستبقى هنا في حجرتك ؟ أم ستأتي معي إلى الأسفل

أومأ ماجد رأسه بالنفي:

- هنا عالمي يا مرام ، لا أخرج منه إلا للضرورة ، إذهبي أنتِ وإستمتعتي بوقتك
- وأنت ؟ - سألته بمقلتا المهى وبكل براءة -
- أنا أبقى أنا ، سجين حاسوبي ، هيا يا مرام لا تتأخري عليهم ، فلا أريد توريطك في المشاكل أكثر

*****

اليونان ٢٠١٥

طرقت مرام الباب ، فوجدت ماجد يمسح دمعته سريعا فلم تتمالك نفسها ولم تتمالك الوهن الذي يصارعها بالداخل وركضت إحتضنته .. بكى أكثر

كالطفل المُعاقب على خطأ لم يقصده ، بكى كالمذنب السجين على ذنب لم يقترفه ، بكى وحيدا ، شريدا وعاجزا ! عاجزاً عن فعل أي شيء وكل شيء ! لم تعي مرام أنها قست كثيراً على ماجد لتلك الدرجة فأخذت تبكي هي الآخرى معه:

- أنا اسفة ، اسفة لم أقصد جرحك
- أنا لا أبكي وجعا منكِ ، أنا أبكيكِ يا مرام
- لماذا !؟ إن كنت تظن بإني لست بخير ، فأنا بخير .. أنا حقا بخير

نظر إلى عيناها الحزينتان وقال:

- أكاد أرى داخل عيناكِ صراخاً لا يُسمع وبكاء يترك الروح عليلة ! فلا تكذبي

توترت مرام ومسحت دموعه بهدوء:

- أنا بخير
- تقولينها لأقتنع أم تقولينها لنفسك علها تقتنع؟!
- ههه ما بالك يا ماجد ؟! لقد جئت لأعتذر منك فلما تقلب الموضوع الأن مرة آخرى؟
- أحبك يا مرام وتمزقني تلك الحرب القابعة بداخلك

نظرت له وهمست بجرأة :

- إذا خذني بين أحضانك ، لا تترك يداي أبدا وقاتل أي وحش يهاجمني .. صارعهم في الظلام ولا تجعلهم يرحلون بي إلى مدنهم البشعة .. أولست أنت من ترك العالم كله من أجلي ؟!
- بل وعلى أتم الإستعداد لأقدم لك ذاتي قُربانا
- إذا لا تتردد وخذني بين أحضانك ، علني استمد رحيق الأمان منك!

إقترب منها وسحبها عنوة إلى أحضانه وتنفسها بنشوة ، أغلق عيناه وظل يلثم بقبلاتٍ حارة على خصلات شعرها ، ثم رأسها ، ووجنتيها إلى ان إقترب من شفتاها ، خمر شفتاها يجعله غريقا وصريعا في آن واحد .. مثله كمثل واحد يحاول أن يقطف ثمرة لامعة من فوق شجرة يعلم السقوط منها قد تؤدي بحياته وعلى الرغم من ذلك يجازف من أجل قطمة ! وبينما هو يحاول بنهم تذوق عذب حلاوتها كانت هي تبكي من الداخل .. هي من منحته الضوء الأخضر ولكن هذا الجدار الحائل بينهم لا يبرح .. وحمدت الله كثيرا حين رن هاتف ماجد فركضت هاربة سريعا من بين يديه..

أجاب ماجد بغيظ وألم:

- نعم يا أمي
- كيف حالك يا عزيزي
- بخير إن كانت تلك الإجابة سترضيكِ
- لست بخير يا ماجد ، لست بخير وأنت مصراً على تلك الجريمة
- أماه تالله إن عدتِ مجددا في الحديث عن هذا الموضوع ستخسريني وللأبد
- يا بُني لما تريد أن تؤذي نفسك؟!
- أرجوكِ يا أماه يكفيني ضَّناء
- حسنا ، إشتقت إليك وإلى دفئك ، أما إشتقت لي يا قرة عيني؟
- بل إشتقت كثيراً
- متى ستعود؟
- لا أعلم .. إدعو لي أرجوكِ

«- أدعو دوما لك ، أدعو أن يريح بالك يا «وليدي

في الإنتظار تُسحق الأحلام على فراش اليأس

الفصل الثامن

ذهب نبراس إلى شركته ، تلك الشركة التي أسسها بمجهوده وحده ، فهو تأسس على نهج والده الذي كافح منذ القدم في بناء إمبراطورية عظيمة داخل وطنه .. وكان يحظى بحب الجميع وإحترام الكل .

إنغمس داخل محراب العمل والصفقات ، لم يترك مجال ولو كان صغيراً ليشرد إلى الضياع .. حادَثَهُ صديقه حذيفة بالأمس حين كان نائما و طلب من حوراء أن تخبره بأن قريبا سيكون هناك مفاجأة ينتظرها هو كثيراً .. ظل يفكر أي مفاجأة تلك التي يتحدث عنها ! وأي إنتظار!! لقد مل الإنتظار الذي قتل و وأد جميع أمانيه .. لقد طرد نبراس الإنتظار من قاموس حياته ! تلك الكلمة لم تعد في كتاب عمره ، بل تلك الجملة لم يعد لها أي معنى حين شنقت أحلامه ..

بينما كان يدرس إحدى الصفقات دخلت عليه خديجة ذات الحجاب الهادىء والعباءة الراقية الهادئة أيضا ، عيناها لونهم يميل إلى زرقة البحر بفضل العدسات اللاصقة التي ترتديهم ويزينها الكحل المرسوم بدقة وأنفها الكبير قليلا وشفتاها الصغيرتان على رغم من اتساع فمها ، والغمازة التي تقبع بكل أريحية في وجنتها اليمنى .. تعمل خديجة في شركة نبراس منذ عامين ومازالت هي الآخرى تنتظر أن يلتفت إليها نبراس ويشعر بها ولو لمرة..

- صباح الخير يا نبراس ، هل إطلعت على الصفقة الجديدة
- نعم ، بيدي هي الآن

أجابها دون أن يلتفت إليها كعادته ولكنها مؤخراً ضاقت ذرعا من بروده فقالت بعصبية ملحوظة:

- سوف أترك العمل هنا

ترك نبراس ما في يده ونظر لها بدهشة وبعينان ناعستان:

- ماذا !
- هناك وظيفة أفضل ولربما أترك العمل هنا
- هل ضايقك أحدا منا ؟

أرادت أن تصرخ وتصرح بكل مشاعرها الدفينة ، أرادت أن تبكي وتقول له إخرج من قوقعتك فهناك الكثير من الفتيات غير مرامك تلك !! ولكنها أجابت في النهاية:

- لسبب ما أحب أن أحتفظ به لنفسي
- لن أتركك بتلك السهولة !
- لما ؟!
- لأني أعتمد عليكِ بشكل كبير
- حقا؟!
- ماذا حل بكِ يا خديجة؟!
- لا شيء يا نبراس .. لا شيء
- خديجة صارحيني ؟!
- هذا قراري وأرجوك إحترمه
- سأترك لك مهلة لترجعي فيها عن تلك السخافة ! لا ينقصني أيا من تلك

السخافات
- جئت اليوم لأبلغك قراراً وليس لأستشيرك فتمهلني وقتا إضافيا .,
- خديجة !
نظرت له بضعف شديد ، لفظه لإسمها يجعلها تذوب عشقا ، كيف يستطيع أن يلفظ حروف إسمها بتلك النعومة دون أن يشعر بما يفعله وبما يتركه في نفسها ., كيف؟؟
- عن إذنك
ركض خلفها وأمسك يدها فزمجرت:
- من تظن نفسك !
- أعتذر لم أقصد ، لم أقصد حقا ولكن لن اتركك تذهبي قبل أن أفهم ماذا بكِ؟!
هنا لم تستطع تحمل المزيد فقالت باكية:
- أحبك منذ قرابة العامين وأنت لا تشعر ، أنت لا ترى سوى مرام ، وكأن الدنيا خلقت بها فقط ! تنتظر وتنتظر وتحتضر في الإنتظار وأحتضر معك في إنتظاري لك وبعدك لا تعلم كيف أتعذب !! إتركني يا نبراس ألملم بقايا روحي المُعلقة بها شظايا عشقك وأرحل .. ليس لي مكانا هنا بعد الآن..,
صُعق نبراس لما قالته خديجة ، هل حقا هي تحبه منذ عامين ! يا إلهي ؟! كيف لم يشعر من قبل ؟! إبنة عمه الأكبر ، يحبها كثيراً ويفضلها عن أبناء عمومه ولكنه يكره والدها كرهً جما ., مازال يذكر توعده وتهديده حين علم بمُراد نبراس في الزواج من مرام :
- لن تتزوجها ولو أطبقت السبع سموات ، لن تتزوج واحدة سوى من طائفتك

- ومن أنت لتتحكم في حياتي
- أنا عمك الأكبر وأنا كبير عائلة الحائلي الآن ولن أتركك تهدم إسم عائلتنا وشئننا بين طائفتنا بتلك الزيجة
- لا يهمني أنت ولا تهمني أفكارك الملوثة ، لا الدين ولا العقل ولا المنطق يحرم زواجي منها ، أما أفكارك السامة التي تحاول لصقها في الطائفة فدين طائفتنا أبرأ من أمثالك المتعصبين الجاهلين.,
- ويحك ! كيف تحادث عمك بهذا الأسلوب
- وسأحادث أي متعصب جاهل مثلك

عاد إلى الواقع ونظر إلى خديجة وقال وهو فاغر فمه :

- تُحبيني؟ أنا؟
- نعم وكنت أظن أنك ستُشفى من مرض مرام ولكن خابت ظنوني .. والآن لن يكن لي مكانا هنا بعد الآن.,
- إنتظري يا خديجة
- ماذا أنتظر؟ أن أموت مثلك!

لم يعلم بما يجيبها ولكن صارعته الذكريات ومعها حفنة من الألم والوخز وظلت تتكرر جملة أخته حوراء عشرات المرات داخل عقله

« إنها ليس كذلك ! فهي تزوجت غيرك ! يئست ، فملت ، فتزوجت غيرك يا نبراس وأنت مازلت تبكي فوق الأطلال !! إرحم والديك وإشفق على قلبك الجريح»

تزوجت غيرك « « تزوجت غيرك « « تزوجت غيرك « ، أمسك رأسه وكأن » الكلمات تتصارع لتقفز خارجه فشعر بصداع يكسر عظام رأسه ، حاول أن يوقف الصوت العابر من أثير البارحة متطلعا بشوق لحاضره ولكن

هيهات.,, نظر بإعياء لخديجة وقال بضعف شديد:
- إذا حاربي !
- ماذا ؟
- أولست تحبيني؟! حاربي طيفها الحارق لأيامي ، حاربي نجواها المدفونة في مقبرة عفنة داخل حصوني .,, حاربيها ببسالة.,
- وأنت؟
- سأجاهد معكِ
- حقا يا نبراس؟
نطق والعلقم يزداد مرارة داخل جوفه:
- إذا كانت هي أغلقت أبواب فصولي فلأغلق أنا أيضا باب قصتها
- للأبد؟
- سأسعى يا خديجة ولكن إمهليني وقتا إن أخفقت ! فالقلب يعاني من سرطان عشقها.
إبتسمت خديجة بأمل:
- لا تقلق سأصبر كما صبرت سابقا ، فقبل كان الأمل يحتضر واليوم إنتعش فكيف لا أصبر!!

*****

تركتني خديجة وكُلها أمل ! لا أصدق نفسي؟! من الذي تحدث الآن وطلب منها المحاولة؟ يا آلهي ؟! كيف فعلتِ بي هكذا يا مرام؟ كيف حولتيني إلى شبحٍ أناني يستغل طيف إنسانة ما زالت على قيد الحياة عله ينجو هو الآخر من خلالها ! وبراثيني التي تلفظك عشرات المرات لتحيّ من جديد ملايين المرات ؟!كيف فعلت هذا بنفسي وبكِ؟ وأنتِ أين ذهبتي؟ هربتِ

إلى الخارج ولكن أين حدودك؟ أين سمائك يا مرام ؟ أين كونك الذي تختبئين بداخله !! هل إستطعتي يا مرام القلب العيش وحدك؟ هل قابلك قلبٍ آخر فداوى جروح حربنا ؟! هل أنتِ راضية الآن؟! أنا سوف أذهب لسواكِ؟ سوف أُقبلها هي ، وأحيا معها ، أتنفس عبيرها ، أتأمل فحواها ، أنثر نظراتي فوق جسدها وأتغزل به وأنتِ؟ بعدي لا أصدق كيف تزوجتِ غيري؟ هل تخبريه كم تفتقديه في الغياب؟ هل تخبريه إن اللوعة ترجمك حين ندائك لإسمه يشتاق؟! وكم من مرة كذبتِ عليه حين هتفتِ بحبك له مثلما فعلتي معي؟ وكم من مرة أسرتْ إبتسامتك العذبة قلبه اليتيم؟ كيف فعلتيها يا مرام؟ وكيف فعل بي عشقك الآثم! بالله عليكِ قولي لي كيف فعلتيها!

كنت أريد أن أهدم الدنيا كلها فوقا تحت ، بداخلي حريق لا يخمد ، بداخلي وحوش قد تأكل الأخضر واليابس دون أن تبالي لأحد..,أخرجتُ دفتر خواطرها التي طالما خطت أناملها الرقيقة فوقه ، حروف تثني برحمة فوق النفس والذي مازلت أحتفظ بهِ وعلى الأغلب سأحتفظ به طوال الدهر حتى لو القلب شاخ! وتصفحت أيامي معها ، يوم يتلوه اليوم الآخر ..,

*****

البحرين ديسمبر ـ ٢٠٠٩

مازلت أذكر هذا اليوم ، فذكراه حُفرت بشرايين عشقنا داخل أزقة الحياة .., ١٦ /٢٠٠٩/١٢ كانت جامعتنا تحتفل بالعيد الوطني لمملكتنا وكنتُ قد طلبت من مرام أن تأتي الجامعة لنحتفل بمولد الحرية داخل ربوع وطننا.., فبعد عام إستطعت من خلال هذا العام كسب ثقتها وإظهار نواييا

الحسنة لها فصرحت لي مرام بخفقان قلبها لي ! وقتها شعرت بأني على أشد الإستعداد لخوض جميع معارك الحياة من أجل إبتسامة تسكن فوق ثغرها., قالتها لي بطريقة لا تُنسى ! كُنت أتيت إلى الجامعة عابسا واليأس والخوف يدب في أرجاء قلبي لأنها مازالت لم تعترف لي بحبها . فهل يُعقل لا تحبني؟! وماذا إن لم ؟ هل سأتركها؟ هل سأحيا بشكل عادي؟! أتت لي برقة وهدوء وبثوبها الذي يبرز مفاتنها معلقة عليه بعض من شارات حب الوطن وشعرها الأسود يموج يمينا ويسارا ونظراتها السود تقتل كل من حاول التخطي بنظراته لسواها :

- «فديت الزعلان»
- «يا لُّب قلب الزعلان «
- ههه تقلدني !
- أشهى تقليدك
- ولكن كلمة «لُب» هذه كلمة سعودية وانا لي أهل والدتي سعوديين ولكن ماذا عنك أنت؟!
- أنا لي حبيبة أهل والدتها سعوديين

ثم أطرقت برأسي للأسفل حزينا ، فسألتني

- ماذا بك؟
- طال إنتظاري لكِ؟
- ولما تريد أن تسمع والقلب قد أعلن بها !

فتحت فمي من فرط الدهشة وسال زبدي كالمعتوه:

- ماذا قلتِ؟
- قلت وما تهمك الحروف إن كان القلب يعلن كل يوم كلمته ورايته !

جاوبتها بجدية:

- ماذا تقصدين؟

نظرت لي بإبتسامة ماكرة :

- هناك شخص يقف أمامي بعث لي بالأمس رسالة نصية فحواها:

جعل تفداه .. تفداه روحي مع حالي»

وافديه بـــ عيوني الثنتين يا جعل تفداه

فأومأت رأسي موافقا على حديثها فأكملت بحياء شديد وعيناها تهرولان بنظراتهم إلى الأرض:

- وأنا أقول له :

«** أحب الوصال وطاري البُعد ما أدانيه

وأنا خابر أنك ما تدانيه وتسبه

طريق المفارق لا تشوفه ولا تاتيه

ترا الوصل حلواً به ترا الوصل حلواً به»

لا أعلم لما أصابني ضحكٍ هستيري وكأني لا أصدق ما قالته أو لم أستوعبه جيدا ، فجلست أصيح بها كالطفل:

- قوليها يا مرام ، هيا ، هيا ، هيا قوليها

- هل جُننت ؟ ماذا بك يا نبراس ؟ نحن بالجامعة

- فليحترق العالم كله في سُدى كلمة منك.. هيا أريد أن أسمعها

أردت أن أخجلها أكثر لأرى وجنتاها وهما يتحولان إلى اللون القرمزي مما يُشعل ملامحها جمالا:

- « أحبك يا بعد هالدنيا »

- «وأنا أحبك يا بعد هلي وعمري»

**اقتباسات منقوله

- هل إن صرخت الآن ستتهميني بالجنون؟!
- هههههه بل سأسحب تصريحي وكأنه لم يكن!
- مجنونا أنا لأتركك تفعلينها !

نظرت حولها بخجل وأشارت بيدها إلى ساحة الإحتفالات:

- هل يمكننا الآن الإحتفال ؟
- بل اليوم البحرين تحتفل بنا

لا أدري ما أوجعها وأخافها في جملتي فقالت بخوف:

- أتمنى ذلك !

لربما كان تمنيها حقيقيا ولكن كلماتي كانت أحق ! نعم كان الوطن آنذاك يحتفل بنا ، الوطن الذي تربينا جميعنا بإختلاف أعراقنا ومذاهبنا تحت ظله ! لم يهين أبدأ أحدا منا ولم يفرقنا ، ظل أعواما وأعوام يربط الوصل ويلملم شتاتنا ولكنه كأي وطن ! غرغر به الحقد ونخر السوس بداخله ولكن مهما قامت الحرب سيظل أبناء الوطن الأوفياء بإختلاف مذاهبهم يداً واحدة.. وإن حدث في يوم وخُل توازنه فذاك يعود إلى عُهر أفكار بعضا من أفراده . الوطن يُخلق لنا بمساحة خضراء مليئة بالسلام ، نحن من نسعى دوما إلى تفتيته وتدنيسه ، نحن من نقف بشهواتنا ورغباتنا وبأقدامنا الملوثة والمتسخة بأفكار العدو من الخارج فوقه ، فنغتصب برائته.

*****

خرج ماجد من حجرته الخاصة ليرى مرام تقف أمام لوحتها كالعادة ، فهي شرعت في تصميم العباءات والأثواب ذات الطابع البحريني مع لمسة من جمال الغرب .. وقف خلفها يشم رائحة العود والعنبر المترامية من خلايا جسدها الناعم وهمس في إذنها:

«**فيك العطور تغار من نفحة العود
وإنتِ جمالك سحر ومشاهدك ويل
تدري وش الابداع ، نظراتك السود
تجمع بريق الصبح مع روعة الليل
إلتفت إليه مرام وصاحت بكل مرح :
- ما رأيك في مشروعي الجديد
نظر ماجد للوحة ليجد عباءة سوداء رقيقة وأنيقة المنظر يزينها حواف ذهبية مرصعة بجواهر ثمينة رُسمت ببراعة وخلفها في الخلفية رسمت مرام قلعة البحرين التي تقع في الجزء الشمالي من جزيرة البحرين وهي تعتبر من أهم المواقع الأثرية في منطقة الخليج العربي على الإطلاق.,
- لا أفهم شيئا ؟! ما هذا يا مرام؟
نظرت وعيناها تنفث بكل الأمل المخلوق في الحياة:
- حسنا ، فكرت لما أجدد من عصر الموضة هنا في الغرب ! سأجعل فتياتهن يرتدين أزياء بحرينية مصممة بلمحة من الغرب وسأجعلهن يقفن خلف خلفية تبرز حضارة البحرين ! ما رأيك؟!
توتر ماجد وبلغ قلقه على أشده :
- إنها فكرة رائعة ولكن .,, لكن ماذا إذا لم يلاقي أي صدى هنا في اليونان؟
- الغرب هنا متشوق دوما لمعرفة عاداتنا ، يتتوق ليلمس إشراقة الشرق بيديه ، كما إنني إشتقت في التصدح بجمال وطني الحبيب .. فبأزيائي تلك سأجعل البحرين منارة يلتفت إليها الجميع ، وسأنفث بداخلهم الحماس ليذهبوا إليهم بأنفسهم ويرونها عن قرب..,عل ذاك يطفىء نار الإشتياق بداخلي ! كما سأشعل نار الفضول بداخلهم لرؤية متحف الغوص واللؤلؤ

**اقتباسات منقوله

والبيوت الثقافية المختلفة لدينا و المساجد العريقة كمسجد الخميس والفاتح وبيت القرآن !
ضغط ماجد بقوة على فك أسنانها كاد أن يكسر فيها فكه ومسح عرقه بإنفعال شديد:
- لقد أذنت لكِ يا مرام بالعمل ولكن ما تقولينه الآن سيلفت جميع الأنظار إلينا
- وماذا في ذلك؟! هل تكره النجاح لإمرأتك؟
دفعها إلى أحضانه بخوف:
- لا أريد أحدا سواي أن ينظر إليكِ ، أريد أن أحتفظ بكِ لذاتي .. لي وحدي يا مرام
دفعته بغضب بعيدا عنها صارخة:
- لست من ممتلكاتك يا ماجد ! لست دمية تحتفظ بها بين رفوف ليلك الدامس ! لست لُعبة تريد أن تخبئها من أعين الأطفال أو أيديهم!
في تلك الصرخة النابعة من حنجرتها ، هجم عليها صداع شديد من عند مقدمة رأسها كاد أن يقصف عقلها كله ، ثم شعرت وكأن الدنيا بدأت تتلاشى من حولها وباتت أسيرة ذلك الألم الذي يأن من داخل أعماق أعماقها .. نغزات متتالية تكهرب جسدها بالكامل وأصوات تصرخ وأصوات آخرى وكأنها في شجار ، كلهم متداخلين مع بعضهم البعض , ظلت تغمض عيناها وتفتحهم لعل ذاك الكابوس يتلاشى إلى الأبد ولكن لم تفلح ، ملامحها مالت إلى الإصفرار وخارت قواها فجلست على أقرب مقعد ومن ثم جاء الصمت لينتصر أخيرا على فوهة البركان الداخل !! وينخمد كل شيء..
هرع ماجد قلقا:

- ماذا بكِ يا مرام؟
- اتركني وإبتعد
نظر بشك لها وبتوتر وهلع:
- ماذا حدث يا مرام؟!
- قلت لك إبتعد عني ، إبتعـــــــــد
- لماذا؟ لماذا يا مرام؟ ماذا حل بكِ؟
صمتت قليلا قبل أن تجيب بإعياء شديد:
- أصوات شجار عالية ومتداخلة لا أعرف ماهي !
جلس قرفصاء أمامها ونظر لها بكل رعب:
- أصوات ماذا؟
بكت وكأنها تخرج مكنونها أو بقايا الحرب الهالكة التي جرت منذ قليل:
- لا أعلم ! أحيانا تتراءى أمام عيني صوراً حقيقة مريبة! لا أعرف ما هي بالظبط ، كما أسمع نداء داخلي لأسم مجهول لا أقوى على تحديده ! ثم تأتي صورة عربة مسرعة على طريق كاحل بالظلام وأنوارها تقترب بصورة مرعبة ، تعريني ثم يختفي كل شيء كما بدأ!!
نظر لها ماجد بنظرات زائغة وتلعثم قائلا:
- لا شيء أنتِ بخير ! مجرد هواجس من الخيال
- ولماذا تأتيني دوما تلك الصور من الحين للآخر؟
- أحيانا الإنسان يخلق له في الخيال صوراً غير صحيحة ، لا تكترثي ,,, هل أصبحتِ على ما يرام؟
- مازلت أشعر بصداع طفيف
- لا تقلقي أنا معك ,,

تلك الكلمة خاصةً كانت كفيلة أن تعيد ما دار منذ قليل مرة آخرى ولكنها فضلت على ذلك ، أن تتقيأ

*****

عاد خالد إلى منزله وسار بكل غطرسة فمر من جانب حجرة صهيب ، ألقى نظرة سريعة إلى الداخل فوجد الخادمة الهندية تعيد ترتيب الحجرة ورأها وهي تسرق بعضا من المال كان على المكتب ولكنها لم تراه وصهيب جالس يستمع إلى الراديو وفي عالم آخر فقال متهكما:

- أبعدك لم تسأم من عالمك الكاذب !

ارتبكت الخادمة عندما رأت خالد ونظرت له سريعا وهي تقول:

«- »بابا انا في سوي حجرة بابا صهيب

- إقلعي الآن من وجهي أيتها الصعلوكة!

غضب صهيب فلامه:

- لا تنعتها بالصعلوكة ، إنها تُحسن خِدمَتنا

- هه حقا ! وكيف علمت بذلك إن كنت سجينا للظلام !

- ربما أنا مثلما تقول يا خالد ولكن لي قلبا يُبصر

- وهل أبصر قلبك حين سرقت الخادمة لتوها المال المتروك فوق المكتب !

إبتسم صهيب بحزن :

- أنا من يترك لها المال يا خالد ، نظراً لقسوة ظروفها ، فهي قصدتني من قبل في ذلك الأمر

- إذا لما إرتبكت حين خشت أن أكون رأيتها ؟!

- إنها تعلم قسوة قلوبكم جميعا وخشت أن تتعارك أنت معي

- بالفعل تلك الخادمة تحصد مرتبها فلما تريد الزيادة ! إنهن طماعات لا

أكثر !!
- إنهن فقراء يا خالد يأتين ليحصدن قوتهن وقوت أهاليهن هناك ونعاملهن بأقسى معاملة حتى نصنع بداخلهن وحشا لا يندم في سفك دماؤنا أو أنك تناسيت ما حدث لـ .,,,,,
قاطعه خالد سريعا بجفاء:
- لم أنسى ولكن لا تكن رحيما فتُقسر!
- ولا تكن أنت صلبا فتكُسر.
- هيا قف عن أحكامك هذه ، وعامل الخادمة بشكل يليق بك كسيدها !!
- ألا ترى كيف تعامل خالتي شجون خادمتهم؟ وها هي معهم قرابة العشرين عاما ولم تفكر أبدا في الهروب أو إيذائهم ؟! قل لي لماذا ؟ ها ؟ لأنهم يجيدوا حسن معاملتها .,
هرب خالد من تلك المحادثة إلى حجرته سريعا حينما لم يجد الرد المناسب وهاتف صديقه طلال:
- هيا خبرني أين سنسهر الليلة
- لدي فكرة كنت سأعرضها عليك الليلة
- فكرة؟! إذا لن نسهر بالخارج ، سنسهر في ديواني ؟ ما رأيك؟ ونطلب لنا أشهى الوجبات للعشاء؟
- جيد جدا ، سأخبر الشباب ونأتي إليك .,, إلى اللقاء يا العاني
- هههههه طبعا العاني والنِّعم فيني !

*****

وبعد ساعة كان خالد يرتدي قميصا ذا ماركة عالمية وبنطال من الجينز وفي معصمه ساعة هي أيضا فخمة وأنيقة ، ثم إختار مفاتيح سيارته «البورش»

وذهب إلى مقصده.. هناك في ديوانه الخاص يقابل الشباب إن كان لديهم حديثا مهما .. معظم أصدقائه من عائلات كبيرة ولكن أكثر المقربين إليه هو طلال الذي يعتبر عائلته متوسطة المستوى ولطالما شعر بحقد طلال الدفين تجاهه وتجاه سلطته وسلطة والده وجاهه ولكنه كان يعشق تلك النظرة منه التي تنم عن حرمان ، فكانت تلك النظرة ترضي غروره وكبرياءه ..

- ماذا عندك يا طلال ؟ أي فكرة تلك التي كنت تريد أن تخبرني إياها

- ألم تمل من فتيات «الديرة» وتريد أن تذوق طعم غيرهن؟

يعرف طلال ماهي نقطة ضعف خالد ويعرف كيف يكتسب هو الأموال من خلال تلك النقطة ، فضحك خالد مقهقها:

- هههههه تعرف كيف ترضيني يا طلال !

«- طبعا «طال عمرك

- وكيف ستأتيني بغيرهن؟

- سأبحث لك عن فتاة سورية أو مصرية أو أردنية إنت كنت تريدها عربية أو أبحث لك عن فتاة فلبينية إن كنت تريدها غير عربية وستتزوجها لمدة شهور قليلة ستقبض هي ثمنها ٥ دينار وسأقبض أنا مثلهم ! ما رأيك يا عزيزي؟!

نظر له خالد بإعجاب وبنظرة ماكرة:

- يالك من ماكر صغير! أتسلى بـ ١ دينار لعدة شهور ! إنه العرض الكبير الرائع!

- هههههه كأنك يا عزيزي تطلب وجبة من مطعم ما ، بمقابل مالي ضئيل وتجدها دسمة ووفيرة!

- إنها أرخص من أن أرتبط بواحدة من هنا فأجلب لها الهدايا بثمن أبهظ

من تلك الزيجات
- بالطبع ، ما رأيك ؟ هل أشرع في البحث عن إحداهن؟
- نعم ومن مجنون يرفض طلبا مثل هذا
- إذا أين المال؟ حتى أبحث بضمير
- هههههه لا تنسى أبدا ، سأجلبها من الخزانة بالداخل
ذهب خالد إلى المكتب اللاحق بالديوانية ((مجلس الرجال)) وفتح خزانته وأخرج ١٥ دينار..
في تلك الأثناء رن الهاتف الخلوي لخالد بإسم العنود العاني وكان من يرى الإتصال هو طلال ، لمعت عيناه بخبث ومكر وحقد شديد وسرعان ما نقل الرقم إلى هاتفه وجلس يعبث في هاتفه حين رأى قدوم خالد وكأنه لم يفعل شيئا ..
أعطى خالد المال بكل غطرسة وغرور لطلال وبضحكة مليئة بالسخرية:
- خذ هذه ١٥ ، ٥ لمن ستأتي والـباقي لك ! علك تشبع ولكني أشك أن أمثالك يشبعون هههههه
أخذ طلال المال بكره ومقت ولعن خالد سرا وقال لنفسه:
بكرة أراويك في أختك يا عبد الله ، ما أكون طلال إن ما خليتك تبوس» «التراب اللي تحت رجولي

*****

إن وقعت في طريق إنتقامهن فقل على نفسك سلاما

الفصل التاسع

صحت مِزنة كعادتها في السادسة صباحا ، صلت ثم إرتديت ثيابها ، وتوجهت إلى عملها .. في الطريق كعادتها هاتفت مرام لتطمئن على أحوالها ، فمنذ هاجرت مرام من البحرين ومِزنة تشعر بالقلق الدائم هي ووالدتها على أحوال مرام خاصة بعد أن تغيرت وبعد ما حدث لها .. ما حدث لها يُطوى تحت الثرى وأصبح من الممنوع في التحدث عنه بأوامر من ماجد .. هي تعلم بمدى عشق ماجد لها ولكن أحيانا يُقلقها تصرفاته ..بل تصرفات عائلته برمتها تقلقها ! حتى ريم التي أصبحت الآن طالبة في الثانوية وفي المدرسة التي تعمل فيها مِزنة تُخيفها جدا..

ذهبت إلى حجرتها لتجدها فارغة من المعلمات ولا يوجد بها أحد سوى ريم ، ريم التي تهوى قص شعرها وكأنها صبي وتعشق إرتداء «الحظاظات السوداء» ووضع الكحل بشكل مركز داخل عيناها والسماعات في أُذناها تصدح بالأغاني الغربية المزعجة التي تُدعى « ماتل» ..

بُغتت مِزنة وقالت بإبتسامة ضعيفة:

- صباح الخير يا ريم؟ ماذا تفعلين هنا؟
- أنتظرك!

قالتها وهي تحدق في وجه مِزنة ثم تنزل بنظراتها الكاشفة عن نواياها الخبيثة الماكرة فوق تقاسيم جسد مِزنة.

- ريم لدي عملا كثيرا أريد إنهائه
- سأبقى بجانبك !
دب الرعب بقلب مِزنة:
- ريم لا أستطيع التركيز بعملي إن كانت هناك زوج من العيون تحدق بي! فأرجو منك تركي بمفردي
إقتربت منها ريم بهدوء وعيناها تثقبان عيناي مِزنة وهمست بجمودية:
- سأذهب الآن ولكن سأعود مرة آخرى
وتركت مِزنة تصارع دقات قلبها لتهدىء وتزفر في راحة قائلة لنفسها:
«وجع ! شنو فيها ذي؟!»
- لابد أن أخبر مرام عنها ولكن يكفي مرام المتاعب ! لا لن أخبرها وسأحاول أنا حل الموضوع.,

*****

مِزنة هي الفتاة الوحيدة لخالة مرام الثانية وتعود أصول أهل والدة مرام إلى السعودية ، من القبائل العريقة إسما ومركزا هناك وقد تزوج عبد الله إبنتهم جويرية « والدة مرام « ولكن توفيت بعدما أنجبت مرام بخمسة أعوام فترعرت مرام بين كنف خالتها شجون وترعرت سويا مع مِزنة إلا أن تزوج عبد الله نجود . وعلى الرغم من وجود الخالة الثانية «هتون» إلا إنها تختلف كثيرا عن إختها شجون ، فشجون طيبة القلب وخفيفة الظل ومتسامحة وكريمة الأخلاق وحسنة المظهر وأنيقة كما إنها تزوجت رجلا يدللها ويعاملها كملكة في قصر ويُقدر أصلها ونسبها ، أما هتون فهي على قدر ضئيل من الجمال ، حقودة ، قاسية القلب ، عديمة الثقة بذاتها وتزوجت رجل عانت منه كثيرا ولم تستطع تركه وذلك لإنجابها ثلاث فتيات

منه ، جعلها تُبذر جميع تِركتها وأموالها ، كما دخلت في الكثير من المشاريع الخاسرة بسبب زوجها فخسرت كل ما تبقى لها من ثروة هي وزوجها فأثار بداخلها الولع تجاه المال والجاه ، المال والجاه اللاذي يجلبن الحظ لك أينما كنت ويفتح لك جميع الأبواب الموصدة «كما تظن هي» !

لا تُحبها مرام وتشعر بجلافَةُ أخلاقها كثيرا ، ترى داخل عيناها الحقد لوضع والد مرام المالي والمركزي كما شعرت كثيرا مرام بإنها تحاول التقرب والتودد إلى والدها وحين فشلت فشلا ذريعا في ذلك ، حوّلت أبصارها إلى نجود وظلت تتودد إليها . تدرك مرام أن الود الواصل ما بين نجود وهتون ماهو إلا حبل خفي لرغبات كل واحدة فيهن ! فنجود تريد أن تزوج صهيب إحدى بناتها لعلمها الشديد بأن هتون ستوافق دون أي تفكير وذلك لعراقة عائلة صُهيب ، وهتون تريد أن تأخذ أكبر قدر من المال والنفوذ التي تتمتع بهما نجود حتى لو باعت ذاتها في مقابل ذلك..

ذات يوم كانت العائلة متجمعة في بيت جدة مرام والدة أبيها وقد أذنت الجدة لمرام أن تعزم خالاتها فهن يشعرن بأنهن جزء من العائلة ، كما إنهم يحبون أن يدخلوا البهجة في قلب مرام اليتيمة .. أتت الخالتين وكانت مرام تشعر بالبهجة حقا مع مِزنة التي تغار العنود كثيرا من علاقتهم الطيبة ، ترى بداخل علاقتهم الحب الصافي الذي لا يرتدي الأقنعة فتسقط تلك الأقنعة عند أول مطب في الحياة! لطالما غارت العنود من مرام على الرغم إنه لا ينقصها شيئا أبدا ولكن نقاء قلب مرام وجمالها الرقيق كانوا يشعلان فتيل الحقد داخل كيانها.. لدى العنود الكثير من الصداقات أولهن صداقتها مع بنات هتون ولكنها تعلم جيدا تلك الصداقة خلفها الكثير من المصالح. كانت مرام ومِزنة يجلسن في الحديقة يتسامرن ويضحكن بكل براءة حتى

أتت العنود بكل غرور:

- ماذا لديكم

فقالت مزنة بعفوية:

- «بسم الله الرحمن الرحيم ، وجع ! أحد يدش على أحد بهاي الطريقة»
- « اشفيج شفتي جني! «
- «بسم الله عليّ ، اشفيج انتي مب صاحية؟!»

نظرت مرام بضجر لعنود :

- ماذا تريدين يا العنود

تجلس العنود بكل غطرسة بجانبهم وتقول بغرور:

- أردت أن أزيد بركة من مجلسكم الفقير هذا وأتواضع وأجلس معكم

فسخرت مزنة قائلة:

- «الله على التواضع بس «

صوبت العنود نظرات جافة إلى مزنة:

- تحدثي جيدا معي ! فأمثالك لا يحلمون بالجلوس معي في مكانا واحدا !

وقفت مرام معترضة على أقوال العنود وتصرفاتها:

- العنود إذهبي وإتركينا

كادت أن تتحدث لولا مجيء صهيب:

- ماذا يحدث هنا يا فتيات

نهضت مرام فرحة ، وساندت صهيب في الجلوس :

- لا شيء حبيبي ، كيف حالك أنت
- بخير كيف حالك يا مِزنة

ألقت العنود نظرة إشمئزاز وحقد عليهم جميعا وسرعان ما ولت وذهبت

.. قالت مِزنة لصهيب:

- حمد لله ، كيف حالك أنت ؟ هل تذهب إلى الجمعية ؟

- نعم ولكن ليس دوما ..

- يسألوني دوما عنك ، جميعهم يحبون مجالستك يا صهيب ! فلماذا لا تذهب هناك وتنغمس داخل المجتمع عن طريقهم؟

صمت قليلا صهيب وشعر بالحرج والتوتر من السؤال فأنقذته مرام:

- لأن ماما نجود ترفض يا مِزنة!

- ماذا ؟ لما؟

قال بحزن رخيم:

- لا تريدني أن أظهر للمجتمع كثيرا

كادت أن تدافع عنه صارخة ولكن ألجمتها نظرات مرام فأردف صهيب:

- حسنا يا فتياتي ، حان وقت العزلة

- صهيب إنتظر لما لا تسمعنا أغنية بصوتك العذب ؟ شجعيه يا مرام

- هههه حسنا يا صهيب «الشيخة مِزنة» تريد سماع صوتك فلا تحرمها من تلك النعمة

إحمر خده خجلا وقال بتوتر:

- لا أريد إزعاجكم

فقالت مِزنة سريعا:

- ما أحلى الإزعاج إن كان بصوتك !

- حسنا سوف أجلب العود وأأتي

ذهب صهيب يتحسس طريقه إلى حجرته ليجلب العود فنظرت مِزنة بحب له وقالت:

- لا أعلم مين أين أتت قسوة نجود تلك! إنه أفضل أبنائها ! أفضل من المتعجرف خالد وأفضل من المغرورة العنود ! مرام لا تتركي تركي الصغير ينتهل من غرورهم

- هههه بعده الصغير لم يكمل شهورا

- نعم سيرضع غرورهم وكبرياؤهم ويصبح صورة منهم ، أرجوكِ إنقذيه من عبثهم هذا

- حسنا كفي عن الكلام ، صهيب قادم

جلس صهيب وأخذ يعزف على العود بحرفية فنان ماهر يشكل لوحة في الأثير لونها ربيعا مخمليّ ، انصاغت له الآذان بكل إهتمام وشرع يصدح بصوته النابع من عالمه إغنية لمحمد عبده :

« عيوني حزينه

عيوني حزينه والسبب خافقي مظيوم

ولاهلت العبرات ماني بلايمها

كفا ياعذول لامني ايش يفيد اللوم

انا اسهر ليالي كامله وانت نايمها

عيونك تنام وناظري مايذوق النوم «

كانت الكلمات تخرج من فمه حزينة أكثر، قاتلة الإحساس ، تدمي شعورا سيئا في نفس من يسمعها مما جعل مزنة تبكي غير قادرة على سيطرة دموعها ..

*****

كنتُ أشعر بحب مِزنة لأخي صهيب ، فهي حالمة مثله ورقيقة وقلبها نقي طاهر لا تدنسه الشوائب وكنتُ أعلم مدى صعوبة إخفائها لمشاعرها

وإبرازها بشكل عاديّ ولكن التتيم حين يرن ترانيمه في أرجاء الدُنيا لا يمكنك كتمه أو إخفائه .,, من منا حاول ردع الشغف فخار صريع هواه! من منا لديه أداة تحكم على قلوبنا حين تعلن كلمتِها بين سادة القوم! كاذب مخادع ، ضعيف ، مجنون من ظن نفسه يوما بأنه يستطيع التحكم أو إخفاء العشق .,, هي من ساندته كثيرا ، بل هي التي سعت إلى إنضمامه إلى جمعية الصداقة للمكفوفين بالبحرين ، ذلك المكان الذي يشبه بالجنة فيضم العديد من الملائكة على هيئة بشر ومنهم مزنة وأخي ! يجعلهم ينغمسون في الواقع ، يعاملونهم كبشر عاديين لا ميزة لهم إلا هواياتهم وقدراتهم الرائعة ! لا يختلفون عنا إلا في طهارة قلوبهم البيضاء . مزنة هي من كانت تدعمني في حبي لصهيب وفي مجابهتي لأعلن أمام الجميع بأن لدي أخ من أفضل الإخوة وإنه الوحيد الذي أسكن في أحضانه ، فيرممني من جميع جروحي! كانت تتعلل دوما بجمال صوته ليجلس معنا أكثر أو لتراه ، وكنت لا أحرمها من تلك المتعة أبدا .,, أحيانا كنت أشعر أن صهيب أيضا يحبها وأن عالمه الذي لانراه ليس به سواي وسواها وسوى تركي أخي الصغير! ولكنه مسكين يخشى دوما من الصد! فأمه نجحت في حشو عقله بهراءات لا تمت للكثير من البشر بصلة ! على عكس المجتمع البحريني فهو اكثر المجتمعات التي تهتم بأخي ومن حالته مثله ! بل أكاد أكون عنصرية إن قلت إنها من أفضل المجتمعات في طريقة تعاملها مع من مثله ! تلك الجمعية وحدها هي من أكثر الأمثلة حقا وإنصافا لقولي! فتلك الجمعية علمت الكثير طريقة الخط النقطي (برايل) ، نظمت المحاضرات والندوات التوعوية والأمسيات الغنائية والشعرية والمسابقات ، إهتمت بتوفير الكتب بطريقة برايل في سائر جوانب المعرفة ، عملت على إبراز دور الكفيف

داخل المجتمع ودمجه ، و شاركت في المناسبات العالمية للكفيف وخاصة يوم العصا البيضاء ، بل وهناك لجنة خاصة تقوم بتوظيف المكفوفين في الأعمال المتاحة والمناسبة لهم ! لم يسخر أبدا المجتمع البحريني من أبنائنا الذين وُلدوا بحالة خاصة ، بل دعمهم ووقف جانبهم ، فقط بعضا من الأهالي عديمي الرحمة أمثال نجود وغيرها هم من يقيدوهم داخل سجون مُلغمة تحرق كل من حاول مد العون لهم!

مِزنة قدمت العون كثيرا لصهيب حين شجعته معي على إكمال دراسته وتخرج من الجامعة من قسم أداب لغة عربية ، كل هذا كان يجعلني أتردد وأحتار لما لم تعبر لي عن مشاعرها ؟! حتى حلت الطامة الكبرى حين قررت نجود أن تزوج صهيب بعهد . عهد هي الإبنة الصغرى لخالتي هتون وإكتفت بتعليمها الثانوي فقط ولم تكمل دراستها كبقية إخوتها ، كانت نجود ترى في عهد الزوجة التي ستخدم صهيب وتحمد الله بأنها وجدت زيجة لن تحلم بها كهذه ! كانت تظن صهيب سلعة معيوبة يجب الخلاص منها سريعا قبل أن تتعفن في مخزنها ! رباه تلك السيدة كيف سمحت لإبليس أن يتحكم ويذرع بها بهذا الشكل ! كيف أدمت سفاحة وقتلت مشاعر الأمومة بداخلها ؟! كيف قوَّت على كسر قلب ولدها ، قالت له بكل عجرفة:

- لما ترفض الزواج من عهد! حمد لله أن الفتاة على أتم الإستعداد للزواج منك!

صرخ في وجهها:

- تريد مالي ، لا تريدني ! أما أنا أبحث عن الحب

- هه حب! أي دعابة سخيفة ومُرة المذاق التي تتفوه بها؟! أمثالك لا

يذوقون الحب !
- بل أمثالك أنتِ يعشقون شرب دماء القسوة والجفاء لا يذوقون الحب! الحب مفهوما لا يجيد إرتدائه قلوبا مثلك.,
- إستمع لي جيدا ، ستطلب من أبيك أن تتزوج عهد وسأقيم مراسمكما سريعا ، لا أريد فضيحة
توغر صدري وضاق به فصرخت قائلة:
- لن يتزوجها إن كان لا يرغب بها وسأحارب معه ما دمت حية !
إلتفتت لي نجود وضاقت عيناها :
- ومن أنتِ لتصدري هنا الأوامر!
- ربما أنا لا شيء ولكن لن أجعلكِ تقَّتَرينه وأقف مكتوفة الأيدي!
لم تُبالي نجود كعادتها بنا وإقتربت بأنفاسها المبغوضة:
- سأنتظر من والدك أن يحادثني قريبا عن زواجك بعهد! إنتهى النقاش
تركته يسبح في ملكوت توحدهُ عاجزا شليلا غير قادر على تمتعه بأقل حقوقه ! ما ذنبه هو ؟ بل ما ذنب قلبه؟ لما يُمحَق ؟!
كانت أول مرة أرى دموع أخي ، أخي الصغير إبني ! يا الله ! لا ، لن أخاف من تهديدها ، لن أقف اليوم مكتوفة الأيدي ! سأحارب تلك المعمعة ولو نزفتُ فيها كل ما أملك! إرتديت ثيابي وخرجت من المنزل ، ذهبت في الأول استمد طاقتي من رؤوف القلب «نبراس» ، قابلته في «كاريبو» مودا مول المقهى الذي شهد الكثير من جلسات صَبَابات هوَّانا .. أقبل هو بوجهٍ بشوش وأقبلت بانِكثام :
- ماذا بكِ؟ هل أنتِ بخير؟
- لست بخير ، لهذا طلبتُ مقابلتك

- ماذا حدث !
- أخي صهيب
قاطعني سريعا:
- هل حدث له مكروه!
- نجود تريد تزويجه بعهد إبنة خالتي وهو لا يحبها ، لم ينتهي الأمر عند هذا بل إنها هددتني إن دافعت عنه
أكشر عن أسنانه:
- من تظن نفسها تلك السيدة! أمقتها وأمقت كل ما فيها منذ قديم الأبد!
- هل رأيتها من قبل؟!
- بالطبع في الكثير من المناسبات الكبيرة حين كانت تأتي متأبطة ذراعي والدك! متعجرفة ومغرورة وسُمعتها سيئة !
أجبته بلوعِ:
- نعم أعلم وأتعجب أن أبي لا يعلم عنها
أدار نبراس دفة الحديث بعيدا عن والدي ، أعلم أن لديه بعضا من التحفظات على فظاظة والدي ! أشعر بكثيرا من الشفقة على والدي ، إنه دون أن يدري يجعل من حوله يمقته ، هو طيب القلب وأحيانا قاسي ! متقلب المزاج ، لا تستطيع التكهن بحالته ! إسلوبه فظ وجاف مع الكثير ولكنه يحسن التعامل مع من هم أعلى منه كفأة ومستوى ، متعاليا ولكنه يبقى أبي في النهاية .. تحزُنني تصرفاته نعم تحزنني فلولا إسلوبه ما نشأت المعركة بينه وبين والد نبراس .. سامحك الله يا أبي إنتقمت أنت لذاتك ولكبرياؤك وتعجرفك فسحقتني في خريف كرهك!
إستطاع نبراس تشجيعي على محادثة والدي عن ما تدر لهُ نجود وبالفعل ،

مد لي القوة والأمان ، وعدت في هذا اليوم وحدثت والدي ، مما أقام الدنيا ولم يقعدها وظللت أعافر تحت أنقاض رماد تلك الحريقة

*****

بحثت عنكِ بين جثث المتيمين وحين لم أجدك ،
أبدتيني بينهم

الفصل العاشر

بحثت عنكِ يا مرام ، سألت كثيرا صهيب ، صهيب الذي بارك ودادنا من قبل ولكنه إمتنع ! أخبرني بكل حزن:

- عفوا يا نبراس لا أستطيع مد العون لك

- لا تنسى يا صهيب إنها مرام تلك التي تمتنع عن مد الوصال لها !

أجابني بجفاء:

- إني أحميها يا نبراس ، أنت لا تعلم ماذا سيحدث ! أنت لا تعلم شيء ! مرام ما عادت مثل قبل؟! مرام ماتت يا نبراس ، فلما تريدوا تعذيبها بعد الموت! لما تريدون بطش آخر روح تعلقها بين السماء والأرض!

إقتربت منه وأمسكت يده كغريق يتعلق بطوق النجاة ودمعتي تحارب السقوط :

- وهل تظن أحضاني قاتلة؟!

- حبكم مسموم يا نبراس ، لا رجاء فيه ،، إن كنت تحبها إتركها

- أنت من تسم الآن مرام يا صهيب ، أنت من تريد إهلاكها

- أنت لا تعلم شيء ، لو أنك رأيت ما آلت إليه حالتها لما قلت هكذا !

لملمت بقايا مرام التي لا تبرح عن داخلي وركضت إلى العالم الخارج ! آآآآآآآه ما أقساكم جميعا ! لعنة الله عليكم وعلى قلوبكم ! آآآآآآآه يا الله فيني «وجع» تعالي يا مرام ، تعالي يا مهجة القلب خذيني من هنا !

لم تركتيني ! «وينك عني يا بعد هالدنيا « قولي لهم يا مرام أن زادك ، هو أنفاسي في الصباح ، تهمس كم أنتِ حلوة ، قولي لهم أن يومي لا يكتمل إلا برقة مها عيناكِ وأن يومك لا يُحتسب حين لا أناديكِ بـ لُب قلبي .. بعيدة أنتِ أم قريبة فأنا أعلم بأني أسكن في إحدى زوايا جوارحك.

*****

وجعا من الفراغ جعلني أتأوه فجأة ! لماذا لا أعلم؟! هناك شيئا من حينا إلى آخر يريد أن يخرج من داخلي ! شهدت من قبل مخاض ألالامي وكان مبرحا ولكنه لم يُلفظ كله ! يقول ماجد لي بإنها الغربة وما تفعل بي ، لكن هناك شيئا آخر ! ليست الغربة يا ماجد ؟ ليست الغربة؟ ولكن ماهو ذاك الشعور؟ هل ذنبا إقترفته ؟ هل هذا عذاب الله ؟ أستغفر الله العظيم؟! كيف أجرؤا على قول هذا ، الله غفور رحيم . ولكن ما العلة التي توجد بكِ يا مرام ليجعل كل أزيز العالم أجوف! يجعل من كل الألوان أسود ! أقسم بأني ذات يوم شهدت قوس قزح كله أسود! هل أنا حزينة؟ مريضة ؟ عليلة ؟ سقيمة؟ أريد أحدا في هذا العالم يجيبني! هل هناك أحدا يسمعني؟! لا أحدا يفهمني ، حتى زوجي الجالس في عمله الآن لا أشعر إنه زوجي؟! فيضان يرعبني ، شراسة عذابُها من أقسى أنواع العذاب .. يا الله دُلني إلى الطريق الصحيح ! دُلني إليه يا الله .. فالأنثمام بداخلي لا يهدأ ويكسرني كل ليلة ..

سئمت من الجلوس بالمنزل فإرتديت ثوبي ذا اللون «اللوزي» يحتوي على نقوش بلون «نحاسي عتيق «ممزوج مع لون «ياقوتي عتيق « فضفاض من الأعلى وينزل بـ «كشكة» على الوسط ذو أكمام طويلة وواسعة ، لا أعلم لما أحب هذا الثوب بشدة ! ربما له ذكرى جميله طوّت مع الأيام أو ذكرى لا

أجيد حفظها ! لا أعلم ولكني إرتديته وشعرت بأمان من مجهولٍ يخالجني .. وأخذت أتجول في طرق اليونان الجميلة ثم ذهبت للمقهى وإبتعت لي كوب قهوتي المفضلة المضاف إليها بعضا من الكراميل وهرعت أبحث عن الراحة بين زُرقة أمواج البحر .. يسحرني لونه الأزرق ، قرأت سابقا أن للألوان دلائل في علم النفس واللون الأزرق من أحد الألوان المفضلة لي ، فقالوا فيه:

أن من يحبه غالبا ما يكون عاطفي لأقصى درجة ، لا يثق كثيرا بمن هم حوله وحتى يمنح ثقته لابد من مراقبته لسلوك الطرف الآخر كثيرا ولديه ذكاء فطريّ يمكنه من اكتشاف مشاعر من حوله الحقيقية ، مهما حاول هؤلاء إخفاؤها ! ألهذا السبب لا أثق في زوجي كثيرا؟! ولكن لما؟ ولماذا تزوجته إذا ! قال لي ماجد من قبل بأن هناك بيننا قصة حب متوهجة ولكن أين ذهبت؟ لما أتى هذا الفراغ ؟ يتعذر هو أيضا بسبب مشكلة ما في الماضي أدت إلى إنفصالنا قليلا ثم عودتنا مرة آخرى لبعض؟! ما هي تلك المشكلة ؟ لا أدري ؟ هي أيضا إلتهمها الماضي !

أفقت من شرودي على زوج عينان يتربصان بي ! ماذا يريد هذا الشاب ؟ لحت بوجهي بعيدا عنه وحاولت أن أسرح بين الأمواج المتلاطمة وماهي إلا ثوان حتى جعلني الفضول أدير إليه رأسي مرة آخرى فوجدته مازال جالسا يتربص بي ! وفجأة نهض وإقترب مني ، إقترب مني جدا وإبتسم:

- كيف حالك يا مرام

بُغِتْ وكاد قلبي يقع من فرط الدهشة ، فرفعت حاجبي للأعلى:

- هل تعرفني؟!

وكأن جملتي وقعت عليه كجلمود صخر حط فوقه !

*****

لم يجيب حذيفة سؤال مرام ، شيئا ما ألجمه ، لكنه أخذ بعضه وهرول بعيدا دون أن ينطق .. سببا ما أدركه وبدأ يظنه ولكنه أراد أن يتأكد أولا !

*****

كعادة العنود صحت من نومها متأخرة ، ثم تناولت فطورها بعد ساعة من الحيرة والتردد في إختيار وجبة تلائم وضعها كالعنود العاني ! رن هاتفها بينما كانت تضيف بعضا من مساحيق التجميل على تقاسيم وجهها نظرت إلى الرقم فوجدته مجهولا ! تعجبت ؟! أجابت بكل غطرسة:

- نعم
- كيف حالك يا العنود !

رفعت حاجبها وأجابت بكل غطرسة:

- من أنت!
- أنا من يقدر جمالك وعنفوان عبقك

عرف المتصل كيف يذيب قلبها من أقل الكلمات ولكنها تماسكت قليلا وخرج صوتها مهزوزا مما دعم ثقته في خطته :

- مـــ ن يـ تحـ دث ؟
- قلت لكِ سابقا ، المهم ، هيا ورائك محاضرة بعد قليل وهذا هو عامك الدراسي الأول ، يجب أن تنجحي فأنا لا أحب أن تصبح حبيبتي من الفاشلين..
- إنتظر ، من تظن نفسك أنت لتتحدث معي بتلك ..

قاطعها صوت إغلاق الهاتف في وجهها ، غضبت جدا ونظرت إلى الرقم

لتجده مجهول ! لابد من المتصل من أحد العائلات المهمة في البحرين لذلك يظهر مجهولا حين يتصل .ولكن من هذا الشاب الجريء الذي يعرف عنها كل تفصيلة ، بل إنه يعلم بأن لديها محاضرة وإنها كانت على وشك الرحيل إليها! من هذا الغير عاديّ الذي تجرؤ ليقتحم حياة العنود العاني دون أي إستئذان.. نزلت إلى سيارتها « البنتلي» وجاءت تركب فوجدت رسالة ، فتحتها لتجد بداخلها:

تأخرتي وايد ، لا تتهورين ترى اجوفج ويلا عاد لا تمصخينها ولحقي » » المحاضرة

سقطت الرسالة أرضا من رعبا قطن بين حشايا قلبها ، نظرت حولها يمينا ويسارا ولكنها لم تجد أحدا فنادت العامل الآسيوي الذي يهتم بحراسة السيارات :

- جانووووو تعال إلى هنا سريعا

» - «نعم ماما العنود

- هل أتى أحدا إلى هنا ؟! هل لامس سيارتي أحدا؟

» - «لا ماما ، مافي أهد يجي إهني

صرخت في وجهه:

- غبي إذهب من أمامي ، وسأخصم لك يوما لتفتح عيناك جيدا أيها الحقير وركبت سيارتها وذهبت إلى جامعتها الخاصة وعندما وصلت أتاها رسالة على هاتفها الخلوي:

ترى الهندي مسكين ماله ذنب ، حبيبتي انتي نعومة ما يصير صوت» صراخج يوصل لاخر الشارع ، عافية على الحلوين اللي قدروا يوصلون » جامعتهم ، في أمان الله يا غلا

عادت مجددا تنظر حولها وإستاءت حين لم تجد شيئا !

*****

جلس نبراس سارحا في ملكوت عشقه النازف حتى قاطعته خديجة من شروده:

- نبراس هل رأيت ملف الصفقة؟
- لا مازلت لم أراه
- ماذا بك يا نبراس؟

حاول أن يرسم نبراس إبتسامة فوق محياه:

- لا شيء عزيزتي ، ربما مجرد إرهاق
- حسنا إن كنت متعبا يمكنك العودة إلى المنزل وسأباشر العمل أنا
- لا مللت الجلوس في البيت

فأردفت سريعا:

- ما رأيك أن نخرج للغذاء سويا

صمت قليلا نبراس فقالت بحياء:

- أسفة ، لم أقصد أن أتطفل عليك ، لا عليك يا نبراس إنها فكرة غير صائبة
- لما أنتِ حساسة بهذا الشكل ، كنت أفكر في أي مطعم سنتناول غذاؤنا !

إبتسمت بضناء :

- حسنا

ثم تركته مجددا وحيدا ورحلت ..

*****

ما زال الوجدان يأبى نسيانك يا مرام ، بربكِ قولي لي ماذا أفعل في نفسي

؟! قول لي كيف إستطعتي نسيان حقبتي بكل سهولة وقَفْقفَتي صفحتي بكل سهولة من عمرك وكأنها لم تكن ؟! تدور الأيام ويدور الفلك وأدور أنا معهم ولكن بلا روح ! الروح صاحبتك يا أطهر قلوب النساء! حاولت أن أكفكف دموعي ولكنها لا تجف! لهيبها يردمني تحت الثرى كل ليلة فلا أموت ولا أحيا من بعدك! سعدت حوراء حين قلت لها ما حدث بيني وبين خديجة وقالت لي أن هذه الزيجة المناسبة لي . يتحدثون عن الزواج وكأنها بحسابات وبأرقام ومؤشرات ؟! لا يعلمون شيء عن إنصهار الروح وتلاحم القلوب وأنا بنيت في ملحمتك قصورا من النجوى كلها عنك! حتى والدتي شرعت لي مهرولة تبكي فرحة:

- حقا يا ولدي هل ما سمعته من حوراء حقيقيا ، هل ستتزوج إبنة عمك خديجة

- يا والدتي مازلت لم أتخذ قرارا نهائيا ، كما إني بحاجة إلى الوقت

- لما يا ولدي ، فكل شيئا جاهز لديك؟! فلما التأخير ، دعنا نعقد القرآن ونحتفل بكما ..

- أريد وقتي يا أمي ، أرجوكِ! كما إنه بعدي لم أنسى ماذا فعلهُ والدها وأخيها !

قاطع الحديث قدوم والدي الذي سمع حدثينا بسبب صوتنا العالي:

- يبقى عمُك في النهاية

كظمت غيظي وودت لو أصرخ بوجهه لعنة الله على عمٍ مثله ! لا يأبه إلا سوى رغباته ، أناني وجشع وإبنه علي الإبن الأكبر ، نسخة مكررة منه ، شرب منه الحقد والغل والكره ، لا يأبه لأي مشاعر ولا لأي أحاسيس قد تعلو فوق صوته هو.

- سأذهب إلى غرفتي

قالت حوراء بحزن:

- لن تأكل معنا يانبراس؟

- حديثكم أشبعني!

*****

تركتهم يسبون اليوم الذي قابلت فيه ملهمتي ، القلب الذي يجعلني أحيا ، القلب الذي يشعل رمقه جمرات وهجي فيطربني في ليلٍ معتم وحيد الخُطى. منذ أن فارقتني مرامية القلب وسعير البغض يأججني ، كيف سأتزوج خديجة؟ وأباها قاتل غرامي؟ بل كيف سيقوى قلبي أن أضع يدي في يده الملوثة؟! هي لا ذنب لها ، رقيقة المشاعر وقلبها نقيّ ولكنها أتت في طريقي خطأ ، ليس لي شجاعة بعد ما تفوهت بهِ وبعدما علمت عن طعنك لي أن أصحح هذا الوضع! لا أقوى يا مرام؟! ولكن ماذا عساي بفاعل ؟ كيف سأخطو لوالدها وجملته التي مازالت يرن صداها في أذني «تلك العائلة من ألد أعدائنا ، كيف تجرؤ على مناسبتهم» كيف سأجلب أبناء وعمهم يتفاخر دوما بكرهه للطائفة الآخري ، ويتلذذ بأنه عنصري! كيف يا مرام؟ لم أدري بنفسي إلا وأنا أرتدي ثيابي وأطلب منها أن أخرج معها ! وكأني أنتقم في ذاتي ولكني أنتقم فيها؟! بريئة تلك الفتاة ! وبريء الحُب من أمثالي ، لم أعد عصفورا يتغنى بالهوى لم أعد كما كنت ، بل غديت مجرما يعرف كيف يذبح عشيقه البريء مستخدما العشق كأداة قتل!!

*****

قاسي الوله حين يلتف كحبل مشنقة حول المُغرمين
، فلا يرحمهم ولا يأبدهم
! بل يتركهم يرقصوا فوق الوجع ، عُراة المشاعر

الفصل الحادي عشر

صحت مرام وحين خرجت من غرفتها وجدت الشقة مضلمة ، لا ينيرها إلا ضوء خافت من الشموع ، نظرت إلى إتجاه الضوء فتفاجأت بماجد يرتدي بزة رسمية وقد أعد عشاءا رومانسي على طاولة دائرية صغيرة بجانب النافذة المطلة على البحر ، ثم نثر فوقها أوارق الورد وزينها بالشموع بمنظر رومانسي جميل .، إبتسم لها :

- أخيرا إستيقظتي أيتها الكسولة
- متى عدت ؟ ومتى فعلت كل هذا ؟
- عدت منذ وقت طويل وأعددت لكِ سهرةٍ ممتازة ، هيا إغتسلي وإرتدي أحلى الفساتين لديكِ وصففي شعرك وتوجي ذاتك كملاك ناعم تهبط من السماء لأجلي وحدي.،

إبتسمت بحياء مع غصة في القلب ولوعة وأرادت أن تخبره عما حدث معها ولكنه لم يترك لها أي مجال فدفعها بحنان وحب إلى حجرتها وقال:

- هيا هيا ، لديكِ نصف ساعة فقط وتأتيني هنا ، فالشموع لن تنظر أكثر من هكذا

وبالفعل ذهبت إلى الحمام وإغتسلت ثم خرجت واخرجت فستان أسود اللون مخملي الملمس يرسم مفاتن جسدها بمهارة كبيرة ، ويظهر تقاسيم وحنيات جسدها بخفة ورشاقة ، ذو أكمام طويلة شفافة وواسعة ويزينه

في الوسط قطعة ألماس كبيرة الحجم تضفي نعومة لمرام ، ثم تركت شعرها الأسود المموج ينساب بعفوية فوق كتفيها وأضافت القليل من مساحيق الجمال فبدت وكأنها لوحة من جمال الطبيعة تأسر الأنفاس ..

خرجت مرام إلى الصالة وما إن وقع نظر ماجد حتى جحظت عيناه من جمال ما رأه ، إقترب سريعا وقُربها كان يزيد من إشعال فتيل الهيام بروحه ..

- ما أجملك!

نظرت بإستحياء:

- لا تبالغ

ركضت أنامله كأفعى تقترصها الجوع وتنتنظر الوقت المناسب للهجوم على فريستها حول خصر مرام ، وضمها نحوه بهدوء ، ظل لدقائق يشم بنشوة رائحة العطر الفرنسي الممزوج مع العنبر النافذة من مسامات جلدها لترتسم بعدها ابتسامة ترتعش من قسوة جفاء محبوبته.

- أحبك جدا

أغمضت عيناها وتركت كلماته تلتف حولها بحرية ، علها تنجح وتسرقها من العالم كله هذه المرة ، ولكن كالعادة ما إن إلتفت الكلمات حتى غدت طوقا من الأشواك يخزها ! ففتحت عيناها سريعا ونبضات قلبها أصبحت سريعة وإشمئزازا يكسو كل ملامحها . نظر لها بريبة:

- هل أنتِ على ما يرام؟

- ماجد ؟

- عيونه ؟

هذه الكلمة فتحت أبواب الرياح العاتيه بكل قوة ، فركضت جيوش من

الصور تعترضها ولكنها لا تميز شيئا من بينها ! تريد أن تصرخ ، أن ترتب تلك الصورة؟ أن تعلم ماذا يحدث بداخلها؟! ولِما كان وقع تلك الكلمة قاسيا على قلبها؟! تماسكت وعادت من جديد تسأله:

- كيف أحببتك في السابق؟!

كان السؤال بمثابة قنبلة جعلت ماجد يسكب الشراب الذي بيده من وجلة الخوف !

*****

البحرين ٢٠١٠

كان نبراس ينتظر قدوم مرام على أحر من الجمر ، فاليوم أحضر لها مفاجأة .., طلب منها أن تأتيه إلى يخته وقام بتجهيزه ، أعد الطعام الذي يعلم إنها تعشقه «الباستا بالدجاج والخضروات» كان بإمكانه جلبه جاهزا من أفخم المطاعم ولكنه أراد أن يعده بنفسه ، أن يكد من أجل محبوبته ، أن يحفر إبتسامة لا تنسى بمجهوده هو ! أن يلمس الأكل الذي سيموت بكل تضرع فوق شفتاها الحارقتان .., ثم جلب العديد من ورود البنفسج والياسمين فتلك الزهرتين محببتان لقلبها وقلبه ونثرهم في جميع أرجاء اليخت ، وأنار الشموع وجلس ينتظرها ببدلته السوداء الفخمة ورائحة عطره الرجولية الساحرة.., هلت مرام بعبائتها ذات اللون القرمزي وشعرها الأسود المموج مصفف على هيئة الظفيرة السنبلة ووجهها الملائكي به القليل من مساحيق التجميل وشفتاها ملونان بأحمر الشفاه الداكن مما أضفى لأنوثتها نارا تحرق كل العيون الناظرة لشفتاها ! إبتسمت وهي تقبل نحو نبراس وقلبها من الشغف يرقص ، نظرت له بهيام:

- هيا قول لي ما هي المفاجأة
- هههه اجلسي في الاول يا مرام قلبي ودعي الليلة تخبرك هي بنفسها
ثم نظر إلى عيناها بحُب:
- متيم بكِ!
نظرت هي الاخرى بعمق داخل عيناه وغاصت بوله:
- عاشقة لتيمك المجنون هذا !
أمسك أناملها الرقيقة الطويلة وقبلهم بنهم وتركته يقبلهم بأنفاسه الدافئة ، فدفأ عشقه يخرجها خارج حسابات الزمن .. تختصر الدنيا فيه وفيها هي فقط !
قام ودفعها برفق أن ترقص معه على الالحان الهادئة حولهم .
- معك لا أبه لأي حسابات
- الحب يا سيدتي تُلغى بداخله أي حسابات!
- لا أشعر بخوف ولا أشعر بذاتي ولا أشعر بالمجتمع ولا بالعوائق ولا ..,
قاطعها بعاشق يهيم في ملكوته بهدوء:
- شششش ، فقط إغمضي عيناكِ وتعالي هنا داخل أحضاني
- نبراس ؟
- عيونه
- فديت عيونك ! أحبك يا نبراس! أحبك ولا أريد من العالم شيئا ! وكأن حبك يغنيني عن كل ما فقدته ! أنت أمي يا نبراس التي لم أنعم بأمانها ! أنت الحضن الدافيء الذي يحميني من كل تصدعات ووحوش العالم !
كانت تعبر عما بداخلها ودموعها تنساب بكل رقة ، أردفت غير مبالية بدموعها :

- أحب فيك حنانك وطيبتك ، سندك الذي قدمته ليتيمة محرومة ! أحب فيك والدي الذي فقدته في محراب الحياة ، أحب فيك الصديق الذي لم أظفر به يوما في حياتي ، الأخت التي تعنت وأبعدتني عنها الظروف ! أحب فيك أهلي من فقدتهم في حرب الدُنيا يا نبراس!

إحتضنها أكثر فأرتاحت أكثر وأكثر ، شعرت بأن العالم كله براح بعيدا عن أحضانه ! فقط أحضانه هي التي تلملمها ، فقط أحضانه التي ترويها ! هو وحده القادر على مدها بأكسير الحياة ! نعم هو وحده !

همس وابتسامته تأسرها لعالم آخر:

اتحدى من إلى عينيكِ ياسيدتي قد سبقوني »

يحملون الشمس في راحاتهم وعقود الياسمين

اتحدى كل من عاشرتهم

من مجانين واطفال ومفقودين في بحر الحنين

ان يحبوكِ باسلوبي وطيشي وجنوني

اتحداكِ انا ان تجدي وطنا مثل فمي

وسريرا دافئا مثل عيوني

انني اسكن في الحب

فما من قبله اخذت او اعطيت

ليس لي فيها حلول او حضور

انني اسكن في الحب

فاقرئي اقدم اوراق الهوى تجديني دائما بين السطور

اتحدى كل عشاقك ياسيدتي

اتحداهم جميعا ان يخطو لكِ مكتوب هوىَ

كمكاتيب غرامي
او يجيئوكي على كثرتهم
بحروف كحروفي وكلام ككلامي
اتحداهم جميعا اتحداهم اتحداهم
ان يكونوا قطره صغرى ببحري
او يكونوا اطفئوا اعمارهم مثلما اطفئت في عينكِ ياعمري
اتحداكِ انا اتحداكِ انا
ان تجدي عاشقا مثلي وعصرا ذهبيا مثل عصري
فارحلي حيث تريدين ارحلي حيث تريدين
واضحكي وابكي فأنا اعرف ان لن تجدي
موطنا فيه تنامين كصدري
» اتحداكِ انا
ضحكت بسعادة:
- تعرف أن كاظم يذيبني عشقا لهذا تعمدت الغناء له!
- كاظم كان أو نزار فتلك قصيدته في الاصلِ ، أين كان منهم فهم مدارس في الحب وأنتِ في الحب مدرستي
قاطعهم صوت قرقعة معدة مرام فأحمرت خجلا:
- يبدو إن الحب جعلني جائعة
فلثم نبراس قبلة سريعا فوق أنف مرام بحنان :
- هيا ، لقد أعددت لكِ الطعام بنفسي
- حقا؟!
- نعم

ثم ذهب للمطبخ المتواجد باليخت وأجلب الصحون:
- الباستا الشهية من أجل عيون مرامي !
- يا إلهي ! أنت مجنون! هل أعددتها بنفسك من أجلي؟!
- وأسخر كل قواي لأجلك! أنتِ وحدك من سلبت القلب والروح ، فحلال لكِ كل العالم
وجلسا يأكلا بنهم فقد أعجب مرام الأكل وتبادلا الكثير من الأحاديث العادية وأحاديث الغرام ولما انتهيا أخرج نبراس علبة حمراء اللون بها خاتم بفص من الألماس :
- هل تقبلين يا مرام أن نلتحم سويا لآخر العمر ؟
أفغرت مرام فاهها وظلت تضحك ضحك هستيري :
- هل أنت جاد؟
- نعم ! أريد وبكامل قواي العقلية أن يرتبط إسمي وراء إسمك بكل فخر ، أن يركض إسمي خلفك في جميع المحافل الدولية ، في جميع الجلسات ، حين ينادونك أصدقائك في الخارج ، حين تريدين التعريف بنفسك! لا أريد أن أتركك حتى في إسمك!؟ ماذا قلتِ؟
- رباه !
- لما أشعر بدقات قلبك تتصارع بينها وبين نفسها من الخوف؟
- نعم أنا خائفة جداا ! خائفة للحرب القادمة
أمسك يدها بقوة وثقة:
- سأشنها معكِ بكل قوة يا مرام! نحن لم نخطأ ! أنتِ لي وأنا لكِ وليحترق العالم من خلفنا.,

*****

البحرين نوفمبر ٢٠١٥

كنت أقف بسيارتي أمام اليخت ، مازال وشم حبها يسكن بين أرجائه ، لم أجعل أحدا يطأ بقدميه بعد تلك الليلة وكأني كنت أشعر بأنه لن يبقى لي منها سوى آثار ! مازال الورد منثورا على الأرض لأعوام رغم جفافه ومازال وشاحها يسكن بهدوء هناك .. أخرجت الخاتم الذي طلبت به الزواج منها من درج سيارتي ونظرت له مليا ! آآآه ما اتعسك ! لم تسعد سوى لثوانٍ قليلة ! بعدك تُصارع الموت! فأين هي الحياة بعدما لامست أناملها الطاهرة! من يلمسها يغرق بلعنتها إن فارقته ! وها هي فارقتك مثلما فارقتني . قالت لي بأنها على أتم الإستعداد للمحاربة من أجلي؟! ولكن ماذا فعلت هي؟! ألقت بكل حبي خلفها وهاجرت إلى البعيد ، بل وارتدت خاتما آخر غيرك! هه مسكين فقير مثلي! ملعووون لن يكترث أحد لبقاياك ! لن يكترث احدا بك! أنت مثلي أصبحت مجرد مخلفات حرب شرسة دهست فيها قلبي وخاتمها .. آآآآآآآآه يا مرام القلب ، قولي لي كيف يحيا القلب دون مرامه !؟ لطالما كنتِ هدفه لطالما كنتِ هدفه يا كل الحياة ومنتهاها .. هيا تعالي وألقي نظرة ، هيا تعالي لترين ماذا فعلتِ بي؟! لو أعلم بمكانك! لو فقط أراكِ مرة آخرى؟! هل سأعاتبك؟ مجنون لأضيع وقتا إضافيا في العتاب ! سأحتضنك وأبكي ، سأبكي وأبكي وأصرخ ، سأخذك من احضان زوجك السارق ! ويحه من أحمق هذا الذي جرؤ وتعدى على مرامي أنا . ويحه يا مرام .. آآآآخ أضناني فراقك يا غاليتي ، أضناني فراقك وأردفني خريرا .. وبينما كنت أبكي تصدحت كلمات إغنية نبيل شعيل من المذياع قائلة:

تسافر لآخر الدنيا وتطلب مني ما اشتاق»
تدوّر راحتي وانت تبي تروح وتخليني
شسوي بصورتك عندي ، شسوي بكل هالأوراق
إذا يغنيك عني شي فلا شي يغنيني عنك
شسوي لا وله قلبي على قلبك وصدري ضاق
شسوي إن صارت الدنيا صغيرة بعدك بعيني
من أشرح له من أحكي له من أشكي له ألم الفراق
» ومن غيرك فهالعالم يعرف شلون يهديني

*****

دق هاتف نبراس الخلوي فوجد رقم صديقه حذيفة من الخارج ، أجاب بكل ضعف وهوان وهو يبكي:

- بعدي يا صديقي لم أشفى ! بعدي أتخبط ! لو أعلم أين هي ! لو أظفر بمقابلة آخرى؟ بعدي أريد الموت أمام عيناها ! أريد الإنتحار كقبلة بين شفتاها ! بعدي يا صديقي آآآآآخ

- نبراس ، اسمعني جيدا

- اسمعني انت يا صديقي ! كفاني هراءات عن القوة! فلا قوة لي في فراقها !

- نبراس لدي خبر ولكنني ساتأكد وأوافيك به ولكن حتى أوافيك ربما تنقلب الدنيا رأسا على عقب لهذا أنا متريث جداا

لم يعي نبراس حديث صديقه فأومأ وهو يبكي ويهذي:

- قولوا لها بأني مت في سبيل هواها ، فلا حياة لي من دون سواها ، حادثها أنت يا حذيفة فهي كانت تحبك وتفضلك عن باقي أصدقائي ، هي تحب رجاحة عقلك ! قول لها يا حذيفة بعذابي

أغلق حذيفة الهاتف وهو حزين ويشعر بتأسف شديد من أجل صديقه وفي الوقت نفسه شعورا بالحقد من شخصا ما إنفجر بداخله أكثر وأكثر

*****

عادت العنود إلى منزلها وما إن وصلت حتى استقبلت رسالة نصية على هاتفها :

أحبك وأغار عليكِ من جميع اللي يناظرون لحبيبتي ، عساهم وجع »
» ياخذهم بعيد عنها

فصرخت غاضبة:

«افف آذاني هاي ! اشفيه !! ولا انا ادري عنه وحتى رقمه مجهول !!»

ثم أتت رسالة آخرى:

حبيبتي لا تنسين تاكلين ورقدي شوي ، أكيد إنتي احين تعبانة ، تصبحين»
«ع احلام حلوة مثلج

فبعثت له بغضب:

«اخوي تراك غلطان ، انا ما اعرفك ولا احبك!»

بس انا أعرفك زين ، العنود العاني أجمل بنية في الديرة وصوتها آآخ بس»
«ع صوتها يذبح واخق عليه

«ترى مصختها واذا ما قلتلي انت من ما راح اكلمك»

في الجهة الثانية ضحك طلال على رسالة العنود الأخيرة بصوت عالي وساخر وقال لنفسه:

- «لحين ما فهمتي يا العنود ، اني ما راح اهدك

اخرج علبة سجائره وأخذ ينفث الدخان بعيون مليئة بنار الحقد والغل والكره ، جزء منه يصرخ ألما ويقول له «أوليس هي بريئة يا طلال ! فلما

تأخذها بذنب أخيها ؟ أولم تفكر سابقا بالإرتباط بها فلما الآن تريد إيذائها؟!
من يحب يا طلال لا يستطيع إيذاء محبوبه ، إذا أنت لم تحبها « فنهض سريعا كمن لدغه عقرب وأخذ يصرخ بحرقة:
نعم كنت أحبها ، كنت أهواها في صمتِ وإعياء وكنت أريدها زوجة !» زوجة لي دون أن أحسب تلك الفروق بيني وبين عائلتها المبجلة! ولكن أخيها لعنة الله عليه أينما وُجد هو الذي حرق كل أحلامي حين ظل يسخر مني ومن وضعي ! حين حادثته يوما بأني أريد الزواج من إحدى العائلات الغنية لأرى ردة فعله ! أخذ يضحك ساخرا ويستهزأ ويقول من مجنون سيسلم فتاة مدللة لك! وأنت تعمل براتب شهري ٦ دينار ! نعم ! قالها لي بكل برود وطعنني بالحقيقة ، أنا أختي الصغيرة العنود تصرف ٦ دينار في الاسبوع الواحد .. لا أحد يلومني وكفاني طيبة ! هؤلاء البشر ليسوا ببشر مثلنا ! هؤلاء ولدوا لعائلات ثرية لا تعلم كيف هو مذاق الفقر ! ولكني لست فقير! ولكن بالنسبة لهم أبقى فقير!!سأريك يا خالد كيف سأتزوج «أختك وكيف سأجعلك تركض خلفي للزواج منها
مسح دموعه بإنكسار وأرسل لها مسج آخرى:
«وين ما تروحين ، راح اكون وياج .. شنو بتسوين ؟ قدرج»
فأرسلت له رسالة جعلته يجحظ لدقائق ثم ابتسم بمكر..

*****

آآه من لحن الوله الحزين ، ربابة تنزف جرحا في بستان عمرنا

الفصل الثاني عشر

انتظرت ريم عند سيارة مزنة خروجها من المدرسة وحين رأتها ، ابتسمت ببرود مما جعل دقات قلب مزنة تدق بخوف شديد.. ابتسمت مزنة برعب:

- ريم؟ هل تنتظرين أحدا؟

نظرت بعينان كالصقر :

- هيا افتحي السيارة

لا تعلم لماذا طاوعتها مزنة بخوف وفتحت سيارتها فدخلوا الاثنين بها فنظرت رييم مجددا لمزنة:

- هيا سيري
- ماذا؟! إلى أين؟
- إلى مكان ما بعيدا عن عيون البشر

تمالكت مزنة أعصابها وقالت وأنفاسها مرتعشة:

- لن أذهب إلى أي مكان يا ريم! وما لديكِ قوليه هنا ؟!

إقتربت ريم قليلا من مزنة مما جعل كل ذرة داخل مزنة تتوتر وتتشنج ثم بدأت تلامس ريم جسد مزنة بينما هي تدير مفتاح السيارة وقالت بكل صلابة:

- هيا سيري ولا تخشي شيئا

هنا إحتقنت ملامح مزنة وصرخت بها:

- ماذا تظنين نفسك؟! أنا معلمة وليست طالبة حتى تؤمريها ! هيا اخرجي خارج سيارتي والا جلبت لك الشرطة

- وماذا ستقولين لهم؟!

تلجلجت مزنة ولم تدري بما تجيبها ! فحقا ؟! ماذا ستقول لهم؟ هل ستقول لهم بأن أفعال تلك الفتاة مريبة وغير عادية! هل ستذكر لهم ميولها الغير أنثوية؟! ياالله ما هذه الورطة التي هي بها؟! هل تتصل بمرام وتخبرها فيحادث ماجد أخته المعتوهة تلك أم ماذا تفعل؟!

قاطعتها ريم من شرودها حين لامست بيدها فخذ مزنة بطريقة منفرة ثم قالت لها بهمس:

- أنتِ تعلمين بما يولج داخل قلبي ، فلما تريدي إحراقي بنارك

جحظت عينا مزنة ولم تستوعب في بداية الأمر الحديث الخارج من فم فتاة في سن المراهقة:

- ريم؟ اي نار واي قلب؟! هل أنتِ مستوعبة؟!

- نعم ! لما أخجل من الاعتراف ؟ أنا أحبك

نظرت بإشمئزاز لها وقالت بكل تقزز:

- مجنونة أنتِ! أي حب هذا الذي تتحدثين عنه؟!

- أريدك محبوبة لي يا مزنة

شعرت مزنة بأنها على وشك التقيؤ ففتحت باب سيارتها سريعا وتقيأت بالخارج فركضت ريم خلفها تربت على ظهرها وعيناها كذئب مفترس ، ابعدتها مزنة بكل قوة عنها وصرخت بها:

- لعنة الله عليكِ وعلى أفكارك يا كافرة ، يا سافرة .. اذهبي بعيدا عني

ثم ركضت إلى السيارة وأحكمت إغلاق الأبواب وسارت بأقصى سرعتها بعيدا

عن ريم .. وما إن إبتعدت عن المدرسة حتى أوقفت سيارتها وأخذت تبكي بحرقة وبخوف من الموقف الذي حدث معها !
أمسكت هاتفها وحادثت مرام وهي تبكي خوفا ورهبةً من الموقف..
- مرام ، إنقذيني
أجابتها مرام بهلع:
- مزنة؟! ماذا حدث؟ اخبرينييي
- تلك المعتوهة
- من؟ قفي عن البكاء يا مزنة لأفهمك بالله عليكِ! كاد يُغشى عليّ خوفا
- ريم أخت ماجد
- ماذا بها ؟
- لقد كبرت وتغيرت يا مرام وأصبحت طالبة بالمدرسة الخاصة التي أعمل معلمة بها
- تغيرت كيف؟
- أصبحت ترتدي الألوان السوداء بشكل يخيفني وقصت شعرها وكأنها صبي وترتدي أقراطا كثيرا في أذنها وترتدي «الحظاظات» كالصبيان المراهقين وطريقة سيرها إختلفت أيضا ! إن رأيتيها يا مرام لظننت إنها صبي مراهق وليست فتاة
- حقا؟! يا إلهي؟
- لم ينتهي الأمر عند هذا الحد؟! منذ فترة وهي تراقبني بشكل يخيفني كثيرا ، كما إنها تحاول التودد مني واليوم أرادت أن تعتدي عليّ وإعترفت لي بحبها تلك المجنونة..
- ماذا ؟ هل تقصدين إنها أصبحت «بوية» ؟!

(لفظ يطلق على الفتاة المسترجلة)

- نعم هي كذلك

- ياالله !

- أخبري ماجد لينقذها من تلك الوحلة يا مرام

- حسنا سأخبره ولكن أخبري أنتِ أيضا المشرفة المتواجدة بالمدرسة قد تستطيع معرفة ما حدث معها ، جعلها تصبح هكذا ؟!

صرخت مزنة بخوف:

- لالالا لن أخبر أحدا ، لربما استقيل ! أقول لك حاولت التعدي علي!! ثم لا تنسي والدها ماذا سيفعل لي إن كبرت المشكلة في المدرسة .، خبري ماجد يتصرف هو أو يأمرها بالابتعاد عني

- بعدي لا أصدق أن ريم تغيرت إلى هذا الحد؟!

- لا تنسي يا مرام عدم إهتمام الوالدين بأبنائهم لا يحصد سوى سموم ! وها هي فتاة في ريعان شبابها تحولت من زهرة إلى سم قد يقتل الكثير من حولها

- لهذا أقول لكِ أخبري المشرفة وأبقي بعيدا عن الأعين ، إنها أمانة يا مزنة

- حسنا حسنا سأفعل ذلك ولا تنسي أرجوكِ إخبار ماجد .،

*****

عادت مرام إلى رسمتها بأفكارا مشوشة ، فما قالته لها مزنة مؤشرا خطيرا لعادات خطيرة على مجتمعاتنا ! وظلت تفكر يا ترى لما لجأت ريم في التعبير عن الظلم الواقع عليها بهذا الشكل؟ ظلم؟! نعم إهمال والدها ووالدتها لتربيتها ظلما لها ، مما جعلها تخطأ في تقدير الحسابات ولربما حاولت البحث عن الحب بهذا الشكل لأنها لم تجد طريقة آخرى للبحث

عنه !!أخرجت كل الأفكار هذه خارج عقلها وعادت إلى عملها ، نظرت إلى رسمتها وتأملتها مرة آخرى فوجدت فتاة ترتدي عباءة رمادية اللون مزخرفة زخارف نباتية بيضاء اللون على أحد الأكمام وخلفها خلفية لباب البحرين وهو عبارة عن مبنى تاريخي يقع في ساحة الجمارك في الحي التجاري المركزي السابق في المنامة عاصمة البحرين. ابتسمت ودغدها شعور الحنين والإشتياق حين إنتهت من اللوحة الثالثة لها ! جميعهم لوحات يحملن تصاميمها وخلفهم تراث البحرين . مؤمنة هي جدا بأن لابد أن يبعلو صوت دُرتها في أرجاء العالم ولينظر الجميع إلى جمالها وعبق رائحتها ! ولكن سرعان ما تلاشت الإبتسامة وتحولت إلى رعب وفراغ مجهول المصدر من جديد؟! لما لا ترغب في العودة؟ تعلم إن هناك خلافات ولكن تشعر أوقاتا أن الخلافات تتحول إلى سراب ثم إلى دخان يخنقها في وحدتها !؟ هناك شيئا آخر لم تحادث نفسها فيه أعوام ، تهرب منه وتخشى اللقاء ! تزهد كل شيء في مقابل عدم المواجهة! تغيب في اللامجهول حتى لا تلتقي به ولا تترك لنفسها العنان ولا تترك خلفها أي فرصة قد تجرها إلى ما لا تحمد عُقباه ! وبينما هي تحلل وتحتار في فقاعات الأفكار عاد ماجد من العمل ليجد أمامها لوحة آخرى ، فعلم إنها مازالت مصرة على ما تفكر بهِ فإحتقنت ملامحه وشعرت هي بذلك:

- لقد تحدثنا يا ماجد سابقا وأرجوك لا مجال للنقاش
- لما أنتِ عنيدة!
- امنحني سبب إذا يجعلني أتفهم موقفك؟!

مسك يدها بقوة وبعنف:

- أغار عليكِ ولا أرغب في الحديث عن المزيد!

- لا مجال لتلك الغيرة الحمقاء! إنه عمل ضخم سيبرز جمال وطني ولن أتغاضى عنه

لم يتمالك أعصابه وثار جنونه وغضبه ، سيمنعها بأي شكل ، لن يتركها بفعلة حمقاء تفتح عليهم أبواب الجحيم ، لا لن يتركها تقذفه داخل السعير ويقف مكتوف الأيدي! لم يشعر إلا بيده وهو يلطمها بكل عنف وشراسة وقال وحدقتا عينه كانت ضيقة جدا:

- قلت كلمة وإنتهت ! وإياكِ أن تتعدي هذا الخط مرة آخرى يا مرام

ثم دفعها بعيدا عنه وأخذ نسخة مفتاحها وخرج من المنزل بعدما أحكم إغلاق الباب جيدا. تسمرت مرام مكانها لم تدري ماذا حدث! صفعة قوية من ماجد آتت لتستقر وبكل جبروت فوق خدها ؟! ولماذا ؟ لا تدري ماهو حجم الكارثة التي فعلتها ليكون نصيبها صفعة وإهانة! صورا من السواد قفزت أمام عيناها المتحجرتين ، صراخ والدها وصراخ نجود يعتلي المكان كله ، خنقة تؤدي بها إلى الهلاك ، شعرت بأن الدنيا تدور من حولها بشكل سريع ، ووجوه من الماضي كانت تقفز من خلال تلك الدوامة وتقترب بشكل مرعب لتخنقها أكثر ، شعرت بأنفاسها تذهب رويدا رويدا وشعور بالخنقة يزداد أكثر في أكثر وثقل كبير يجثم بكل جبروته فوق صدرها ، ثم صداع فتاك هجم واحتل مقدمة رأسها لدرجة كاد يشقها إلى نصفين.

أمسكت مرام رأسها بشدة وأخذت تصرخ من الألم الذي يعتصرها ، بدأت تتأوه بصمت ثم علت قليلا بقليل حتى لم تعد بإمكانها تحمل الألم فأخذت تصرخ بشدة:

«آآه»

وأغمضت عينها وأطبقت على سواد سافر بها إلى بعيد .,

*****

لا أعلم ماذا حدث لي حين صفعني ماجد ! لم أبكي بل ظللت جامدة دون حراك وكأني لا أستوعب فعلته تلك! أين ذهب ماجد الحنون الذي لا يقوى على فعل شيئا يغضبني ؟ اليوم تبدل وتحول إلى وحش كاسر وصفعني بل لم تنتهي جريمته عند هذا الحد ! إنه حبسني في المنزل وكأني عصفور كسير! أحكم قبضته عليّ ! لم أقوى بعدها ، فتقوقعت على نفسي وانزويت في إحدى زوايا المنزل وأرتعدت ! العالم من حولي مخيف ! سواد وسكون وأزيز الصمت ينسفني من الخارج و أصوات شجار وصراخ عالية جدا تكاد تحرق شيبات عقلي من الداخل وكلمات حب منثورة من الثرى هنا وهناك لا أعرف قائلها ولا مصدرها .. وهناك طفلا صغير لا أعلم من هو؟! أسمع صراخه ولا يوجد أحد يهدهده ؟ من ذاك الطفل؟ ولما يصرخ ؟ لا أعلم هل تلك أحلام أم أين أنا؟! آآآآه وجعا يفتك بجسدي وعقلي ، أريد أن أنهض .. آآخ رباااه لا أستطيع تحريك أي مفصل من مفاصلي ! هل عادت تلك الحالة المريبة لي؟ أكاد أسمع صوت ماجد يحاول أن يوقظني ، أنا يقظة يا ماجد ولكني .. لكني عاجزة عن الحركة ! روحي تحتضر ؟ ربما ؟ ما أقسى الظلام هنا ! ليس بظلام عاديّ ، ظلام أجوف لا ترى بداخله سوى جميع مخاوفك ، ظلام يشعوذ جميع ذكرياتك وأفكارك بداخله فتتحول إلى مصاصو دماء ، يمصوك فلا تقوى على الحركة .. روحك تسلب إلى الأعلى ثم تهبط من سابع سما لتصدم بقفصك الصدري فتخرج آآه داخلية من قوتها تفك آسرك رويدا رويدا .. واستطعت أخيرا وبعد عناء أن أفتح عيني لأستوعب بأني مقعدة في فراش داخل مشفى وبجانبي ماجد يبكي! هه الان تبكي يا ماجد ؟ بعد القسوة تبكي؟ بعد جريمتك ؟ بعد ما رميتني إلى حفرة

من الدرك العبثي جمراته تفتكني إلى أجزاء وتحولني إلى شظايا حارقة !!
نظرت له بقسوة وعتاب:
- ماذا أفعل هنا ؟
- عدت إلى المنزل وجدتك طريحة في الأرض في إحدى الزوايا ، كان جسدك يهتز بشكل مخيف وتصرخين ألما ، حاولت إفاقتك ولكني فشلت فطلبت الإسعاف سريعا .,
- أريد العودة إلى منزلي
- حسنا ولكن لنطمئن على صحتك
لم أجبه ، أحرقته بنظراتي الجافة ، لا أريده ., فليأتي أحدا وليأخذه ، هذا المجنون ! ثم تذكرت مزنة ورجائها وكنت أعلم إنه ليس وقته ولكن أردت أن ازدريه اكثر ، فقلت بإشمئزاز:
- يبدو ان هناك خلل في عقلكم يا أبناء يوسف الغريري
لن أنسى تلك النظرة المخيفة التي ألقاها عليّ ولكني لم أكترث وأكملت حديثي:
- فاليوم أختك ريم إعتدت على مزنة! إختك يا ماجد بوية! إبعدها عن طريق مزنة ، فيكفيني ما أعايشه معك من عبث وجنون ، لا أريد لإبنة خالتي الأذية أيضا ! وإنقذ إختك من مرض يسافر ويشرد بها إلى الحضيض!
- ماذا تقولين؟!
لقد خفت من الشرار المتطاير من عيناه ، فلونهما الأحمر كان ينم عن وحش يغلي بداخله ويحاول بشتى الطرق حبسه ولكني مجددا واجهته بإشمئزاز:
- كما سمعت

لم ينتظر وخرج سريعا ! لا أعرف أين ذهب ولكنه تركني وحيدة في سلام حمد لله !!

*****

اتصل طلال سريعا بعد الرسالة النصية التي أرسلتها العنود والتي أجابته بخوف ورقة:

«الو»

كاد أن يذوب من فرط جمال رقة صوتها ولكنه ألجم نفسه وتذكر الإنتقام وقال بمكر:

«فديت الصوت»

«ممكن اعرف منو معاي؟ »

» طلال»

» انزين اخوي طلال بغيت اعرف شنو تبي مني »

«ابيج ، كلج تصيرين ملكي وحلالي »

- هل جننت؟ انا لا أعرفك

- لديكِ الوقت حبيبتي لتعرفيني جيدا

أعجبها العنود طريقة دخول طلال إلى حياتها وتركت العنان له وبدأت تحادثه وشربت الطُعم والفخ الذي نسجه طلال حولها بكل دقة ومهارة .. يوما وراء يوم وعرف طلال كيف يجعل العنود تحبه وتأكد من صدق مشاعرها ، فهو يعلم سابقا إنها حادثت الكثير من الشباب وعرف إنها مغرورة لذلك درس جميع تحركاتها والذي سهل له هذا هو قربه من خالد أخيها ودخوله إلى منزلهم بكل سهولة ، مما سهل عليه أن يضع لها الرسائل الورقية في المكان الذي يريده دون أن يلفت له انتباه أحد .. يوما وراء يوم

تعلقت العنود به وأصبح جزء مهما في يومها لا تستغنى عنه .,

- لا أعلم كيف استطعت أن تأسرني إليك

- الحب يا صغيرتي

- لقد أحبني الكثير وكنت ألعب وأتسلى بقلوبهم ولكن معك أغمضت عيني وسرت خلفك ولا أدري لماذا؟

همس طلال بخبث في الهاتف:

- لاني لامست جزءا لا يعلم عنه غيري ! قلبك الرقيق الذي تخفينه خلف لهوك ولعبك بالقلوب ! لا أحد يعلم إنك وحيدة مسكينة شريدة الليل ، وجئت أنا أنقذك من بئر الحرمان .,

- هل تعلم يا طلال أن الكل يحسدني على وضعي وعائلتي ولا يدرون بأني أفقرهم وأكثرهم جوعا للمشاعر والعواطف .,

أصابت تلك الجملة قلب طلال وشعر بالحزن والشفقة على العنود ، إنه يحبها ولكن لا يدري لماذا يريد الانتقام من أخيها فيها ! لربما في الأول كان يظنها مثله لا تختلف ! فالوجه الخارجي للعنود صورة طبق الأصل من والدتها نجود ! تلك السيدة قاسية القلب . كان يظن أن العنود قاسية أيضا ومتعجرفة ومغرورة ولكن كل هذا غطاء كانت تتغطى به حتى لا تتعرى أمام الكل فتظهر ثقوب حرمانها وجوعها للمشاعر والدفأ .,يريد أحيانا أن يقف تلك اللعبة ويتزوجها بالفعل ولكن الكره يحركه إلى الهاوية أكثر وأسرع!

أجابها بحزن:

- ربما لانك تمنحينهم صورة خاطئة يا العنود

- أعلم أني متعجرفة ومغرورة ولكني لا أقصد يا طلال ! أرى الجميع يمتلك

الحب الذي أبحث عنه بين شقوق هذا المنزل الكبير الفخم ولا أجده ! وهم لا يملكون نصف ما أملكه ومع ذلك يشعرون بالرضا والسعادة.. فيحترق قلبي حسدا وحقدا ونُقم!

- هل تعلمين من حقا لا يشبهكم في هذا المنزل

أجابته على الفور:

- صهيب ومرام

- نعم .. لما أنتِ وخالد مختلفين عنهم؟

بكت العنود ، بكت لأول مرة لشاب لا تعلم الكثير عنه ولكنها أحبته فزالت جميع الأقنعة التي ترتديها أمام الجميع ، مما جعل طلال يتعجب ! العنود تلك الفتاة القاسية تبكي ! ومع من؟ معي ؟! يا آلهي!

- هل تعلم إشتقت لمرام كثيرا على الرغم من إني كنت أمقتها في السابق ، لكني ولدت لأرى أمي وهي تزرع بداخلي انا وخالد الكره تجاهها وتجاه أخي المسكين صهيب. أوقاتا كثيرا أتعمد إحراجه وجرحه حتى يتعارك معي فأجد مبرر لكرهي ولكن لا أجد منه سوى الطيبة والصبر فيزداد كرهي لذاتي ومقتي لوالدتي! أنا لم أقصد أن أوّلد شريرة يا طلال لم أقصد ولكني خطيئة أم قاسية وأبا بارد باع ذاته للنفوذ وأصبح أبعد ما يكون عنا ..

- لا تحادثينها؟

- من؟

- مرام؟

- لا منذ سافرت وتركت البحرين لا أعلم عنها شيئا ! أسمع أحيانا صهيب يحادثها

- لماذا سافرت ؟

- قسونا عليها ، وفرقنا بينها وبين من أحبته وأحبها بصدق ! لم أشعر بجرحها سوى الآن ، حين أحببتك يا طلال بصدق وأصبحت أخاف من فراقك !

- لن أتركِكِ فلا ترتعدي يا صغيرتي

- أحبك يا طلال ، أنت نقطة الضوء التي تتخللني بهدوء وتنظفني من سواد وسَفْح يعشش بداخلي ..,

زفر طلال بضيق من نفسه وقال :

- يجب أن أغلق

- لماذا ؟!

- مع السلامة الآن

وأغلق سريعا ولم ينتظر ردها ومن ثم أغلق هاتفه نهائيا ، فالحرب الدائرة داخله ما بين الحب والإنتقام كانت تحرقه قبل أن تمتد ألسنتها إلى العنود وتحرقها ..,

*****

وبدأت حرب الماضي.... فمن سينتصر ؟

الفصل الثالث عشر

ماذا حدث؟ لا أدري ولكني وجدتني جالسا مع أبي في منزل عمي ومعنا جميع أعمامي وطلب أبي من عمي بأنه يزوجني لخديجة ! ماذا ؟ كيف هذا حدث؟ كيف وافقتهم؟ أين كان عقلي؟ هل سُحرت فلم أشعر بنفسي وأنا عائد تلك المرة إلى المنزل ودموعي بللت ذقني وثيابي وطلبت من أمي أن تخبر أبي بموافقتي من الزواج بخديجة وبناءا عليه حدد الموعد مع عمي اليوم! إنها طامة كبرى .. ومرام؟ وقلبي؟ وهدفه؟ قلت لها يوما : مرامي أنتِ منذ إشتبكت عيناكِ بعيناي ....

ضحكت وسارت روح ضحكتها داخل وريدي فمنحتني فوق العمر عمرا ، فكيف أخونها الآن وأطلب الزواج من غيرها ؟ هل جننت؟ ومِن مَن! من قتلتنا؟ من عمي وإبنه المشتبه بتورطه في إحداث الهرج والمرج بوطني الحبيب ! تزعما منه بإنه يأتي بالحق ! الحق في الحفاظ على الوطن وعلى الوحدة بين أبنائه؟ يا إبن عمي لا تقع مصلحة الوطن في شتات الأخوة وتفريق الأصدقاء! إنظر لأفكارك السامة ماذا فعلت في أقرب الناس حين ناديت وتزعمت بثورة الحق ! هه ساذج ! ثورة الحق هي التي تلملم أبناء الوطن الواحد تحت رايته لا تشتتهم وإن كنت تبحث عن الحق فلا تمد يدك لوطنا غير وطنك ليدس السم بينك وبين إخوتك وأشقائك تزعما منه بالمساعدة .. إنظر كيف كنا بالسابق لا نفرق بين الطوائف ومنذ أن

إبتدعت أنت وأمثالك أفكار تصيب طائفتنا بالعار وتَفرق البعض عن بعض ! أصبحنا نلقي تهم الخيانة على بعضنا وأصبحنا ننظر إلى أنت طائفتك ماذا وأنا طائفتي ماذا ! أصبحنا أكثر عنصريين وجعلنا من جهلاء الطائفتين يسودننا إلى الكره أكثر! أنا لا ألقي اللوم عليك فقط بل ألوم أيضا على الجهلاء المتعصبيين من الطائفة الثانية التي تظن بأننا كلنا اعداء للوطن ! لا ليس جميعنا ، فكثيرا منا يعشق تراب وطنا البحرين أكثر من روحه وأبرياء من هؤلاء الذين حاولوا خلط توجهاتهم الخارجية بما يحدث داخل الوطن .. كثيرا منا غضب حين سفكوا من هدوء واستقرار وطننا .. يا إلهي يا مرام أنا أضع يدي في يد والد هذا الأثم الذي مزق الترابط والحب الواصل بيننا .. أنا الآن أنتقم في ذاتي وذاتك .. قد تغفري لي أي شيء ولكن أعلم إنك لن تغفري قدومي لهذا العم وإبنه .. إبنه الذي تعمد مضايقتك كثيرا .. مازلت أذكر حين كنا نقف بالجامعة معا ويرانا يأتي وبكل برود وإستحقار ينظر لكِ:

- ماذا تفعل يا نبراس مع هذه
- ماذا تريد يا جعفر !؟
- هل تعلم بنت من هذه؟!

نظرت لك بكل تحدي وقالت:

- لا يوجد بيني وبين نبراس تلك الأفاعي التي تسكن داخل عقلك! فنحن أسمى من أن نقف نتقاذف ونتراشق بالعنصرية المشبعة بالكره !

قال لها بعينان يشعان كره:

- أمثالك من يتغنون بالفضيلة ليسوا سوى دُمى منافقة ! أنتم تكرهوننا ولا تريدوننا معكم أبدا

عادت من جديد وقالت بتحدي أكثر:
- أنتم من تخلقون تلك الظنون فتموتون داخل فقاعات كرهكم وبغضكم الوطن وطننا جميعا !
- لا تتغني بشعارات الوطن ، الوطن بريء من أمثالكم
- الوطن يا جعفر خُلق لنا سويا ومعا تحت ظل واحد فقط !! بحريننا للسنة والشيعة معا دون أي تدخل من الخارج ، الوطن لإبنائه فقط ..,
كاد يتحدث ولكني قاطعته بشدة:
- احترس وانت تتحدث معها
نظر لي بمكر:
- اه هل ضحكت عليك وجندتك لحسابها ؟ هل تحبها يا إبن عمي؟!
لم أعد أقوى على تحمل المزيد منه فإقتربت منه ونظرت له بجفاء وكره:
- ارحل من هنا وإلا لن يحدث لك طيب!
قالت لي وقتها بهدوء:
- اتركه يا نبراس ، فمثله مغيب ، ضحكوا عليه من الخارج وولائه تغير ! لم يعد ولائه مثلنا
كاد جعفر أن يصفعها ولكن دفعته بقوة وبكره بعيدا ، مجنون هذا ! يريد صفع مرامي أمامي :
- قلت لك إرحل
- هنئيا لك يا نبراس ، ستلقي بأبيك في الوحل وتجعل من هؤلاء يطأوؤن فوقه !
- خسئت
- لم أحدثك فلتخرسي أنتِ

وتركنا في حرقة نيران كرهه ورحل ، نظرت لي بأسف وقالت:
- لم أقصد إهانته ولكن ..,
قاطعتها بوهن:
- أعلم عنه جيدا ..,
فعادت بأسف وحزن بليغ:
- يؤسفني المتعصبين من طائفتنا وطائفتكم ، فهم من يقتلون الحب بيننا !
صحوت من شرودي وعمي يقول:
- بارك الله لهما بأذن الله
عفوا ! ماذا؟! هل تم كل شيء؟ هل إقترب موعد إعدامي؟

*****

عدت إلى المنزل وسرت كالمخدر لا أعلم بما أشعر ولا كيف ذهبت ولا كيف عدت .., مررت بجانب غرفة أختي حوراء فترامى إلى مسامعي صوت صراخها :
- لن أسمح لك يا حذيفة أن تعيده إلى الظلام ! اليوم ذهب وطلب يد إبنة عمي
- ..,
- لاا يهمني أي حقيقة في هذا العالم ، كل ما يهمني هو أنه لن يعود إلى الخلف بعدما خطا إلى الأمام
لم أتحمل المزيد من الألغاز فأقتحمت الحجرة وباغتها ، من فرط دهشتها لم تقوى على فعل شيء ولا قول شيء ، مما سمح لي أن أخذ الهاتف من يدها وسمعت صديقي وهو يقول لها:
- لابد أن أخبره ، تلك أمانة يا حوراء ! لقد وجدتها ولابد أن يعلم بمكانها

وإتركيه يذهب ليكتشف الحقيقة بنفسه !
قلت له وكل ذرة داخل جسدي يرتعش:
- وجدت من يا حذيفة ؟ وبماذا تريد إخباري
صعق وصمت قليلا ثم قال:
- وجدت مرام
وسقط الهاتف من يدي! الآن يا حذيفة وجدتها ؟! الآن وغدا إتفق والدي على عقد قرآني مع إبنة عمي؟! رفعت الهاتف مجددا وقلت له وعيني ممتلئة بالدموع والحسرة:
- هل تزوجت حقا يا حذيفة
أجابني بتردد وتلعثم:
- يجب أن تأتي يا نبراس وترى الحقيقة كاملة
صرخت عليه:
- أسألك هل تزوجت أم لا ! إجبني
- يا نبراس ..
قاطعته مرة آخرى وغضب الدنيا كله بي:
- تزوجت أم لا!؟
- نعم ولكن يا نبراس الحقيقة ليست كما تظن أعتقد إنها ..
قاطعته بأسف:
- لا فائدة من الركض مجددا خلفها ، إنها إختارت الحياة الأفضل ..
وأغلقت الهاتف في وجه صديقي دون رحمة وسرت إلى حجرتي دون أن أعير إهتمامي لاختي التي تركتها تتحدث مع نفسها في الحجرة ..

*****

في صباح اليوم التالي وجدت ماجد يدخل مكفهر الوجه وعرقه يتصبب بخوف وتوتر شديد وينظر حوله بين الفينة والآخرى:

- ماذا بك؟

- لا شيء ، فقط سننتظر الطبيب يأتي ليفحصك ثم سنذهب من هنا سريعا

رفعت حاجبي في دهشة:

- لقد خرج الطبيب منذ قليل

- أقصد الطبيب النفسي ، قالوا لي بالأمس يجب عرضك على طبيب نفسي ثم سأدعهم يكتبون تصريح بخروجك ..,

- ولما أنت متوتر إلى هذا الحد

مسح عرقه سريعا ونظر من النافذة وكأنه ينتظر حلول فاجعة كبرى ويترقبها

- قلت لكِ لا شيء ، لا شيء

لا أعلم ماذا أصابه في الفترة الأخيرة ؟ لم يعد ماجد رقيقا كالسابق بل تحول إلى مجرم يصفع ويدفع ويتحدث بفظاظة . أشعر بهِ أحيانا كالطفل المتشبث بي وأحيانا رجلا قاسي يريد إختطافي من العالم كله وحبسي بين أربع جدران مخيفة تنهشني كل ليلة ..,

دخل الطبيب النفسي وطلب من ماجد الخروج من الحجرة وابتسم لي وقال:

- مرحبا

- مرحبا

- كيف حالك اليوم؟

- بخير

- قال لي زوجك بأنكِ تعانين بعضا من الاضطرابات أثناء النوم؟

- نعم
- هل تخبريني بها ؟
- أشعر أحيانا بأن هناك شيئا ما يجثم فوقي !؟ وكأنه بشر خفيّ يجلس فوق قفصي الصدري ، وألم بشع يكسر عظامي ويريد تحويلها إلى حطام ..
- هل تشعرين بضيق التنفس؟
- نعم وكأن الدنيا ما عاد فيها أي ذرة هواء
- حسنا ، وماذا أيضا
- أحاول أن أصحو أو أن أحرك يدي أو رجلي
- ولكنك لا تستطعين ؟
- نعم بالفعل ! فاستسلم لدقائق ثم يزول كل شيء !
- هل تعانين من مشاكل مع زوجك؟

صمت وأدرت رأسي إلى النافذة المطلة على الحديقة ، لا أعلم لما شردت في الفراغ الأجوف مرة آخرى:

- لا أعلم !

نظر لي الطبيب بتعجب:

- كيف؟!
- لا أعلم كيف تزوجته !

تفحصني الطبيب بريبة وشك:

- كيف؟ هل تقصدين لا تعلمين كيف تقصين لي حكايتك معه؟! أم ماذا
- حين آتيت إلى اليونان كنت وحدي ومن ثم ..

قاطعنا دخول ماجد بوجهه الأصفر الشاحب المرعب وعيناه الحمروتان الجاحظتان وقال بتوتر شديد:

- أعتذر أيها الطبيب ولكننا على عجل من أمرنا ، فهل أكملت جلستك معها في يوم ثاني ؟! أخشى أن يفوتنا الموعد الذي حجزناه بصعوبة ..,
لم أفهم أي موعد يتحدث عنه ولماذا آلت حالته إلى هذا الشكل المروّع ؟!
هناك شيئا خطير يحدق بي معه هذه الأيام ؟! ماهو لا أدري!!
وبالفعل أذعن الطبيب إلى أوامر زوجي ماجد بشك وريبة وأكد لي أهمية العودة له مرة آخرى وكتب لنا تصريح خروجنا ، وما إن حصل عليه ماجد ، حتى أقبض بكف يده الباردة أناملي الرقيقة وكأني سوف أتبخر منه وأختفي كالسراب وأخذني إلى باب خروج الطوارىء؟!
- لما نخرج من هذا الباب يا ماجد؟ هذا للطوارىء؟
- هذا أقرب للسيارة يا مرام .., هيا هيا لا وقت لدينا
- حبا لله قل لي ماذا حل بك؟! هل جننت؟!
- دفعني خلفه بسرعة شديدة ولم يعرني أي إهتمام وما إن وصلنا إلى الباب وكدنا ننزل حتى سمعت شابا يناديني:
- مـــــــرام !

*****

الحُب الحقيقي يعلن عن ذاته مهما حاولت إخفائه أو قتله
!! أو الهروب منه

الفصل الرابع عشر

جلس صهيب يعزف على عوده ويدندن بينما كانت الخادمة تنضف كعادتها الحجرة وترك لها بعضا من المال كعادته أيضا فوق سطح المكتب وأدار ظهره لتشعر براحة ولا تخجل وتأخذهم كما هو عودها .. يعلم إنها في حاجة شديدة للمال وذلك لأنها تصرف على عائلتها بعدما دخل والدها السجن ، قصت له في يوم كل حكايتها .. فتاة مسكينة في ريعان شبابها لم تجد الراحة في دولتها الفقيرة ، دخل والدها السجن لكثرة ديونه ووجدت نفسها تعول أسرة مكونة من سبعة فتيات وهي أكبرهن ، عملت في إحدى الحقول ولكن صاحبها كان جشع وقاسي القلب يجعلها تعمل بالعشر ساعات ولا يمنحها إلا القليل من المال ، ثم تركت العمل وعملت بإحدى المصانع وظنت وقتها أن الفرج هّل ، فأحبها إبن صاحب المصنع ولكن حين علم والده هددها بالقتل إن لم تترك البلدة وترحل وحين سمعت عن العمل بدول الخليج أتت وكلها رجاء أن تعول أسرتها ولكن نجود مثلها مثل صاحب الحقل جشعة ، لا تمنحها سوى مرتب ضئيل ، لا يغنيها عن غربتها .. شفق عليها صهيب حين علم بقصتها فوعدها بمساعدتها وقبلت هي على إستحياء. خشت في البداية من تسلط وجبروت نجود ولكن طمأنها صهيب بأنها لا تمر بحجرته إلا قليلا وبالفعل علمت إنه صادق وتعجبت من قسوة تلك السيدة ومن إهمالها لولدها الذي يحتاج إلى رعاية وإهتمام ومحبة أكثر من أي شخصا

آخر .. كانت تنظف الحجرة وسعيدة بصوت صهيب الجميل ، الذي يهبط عليك بالسكينة والأمان حين تسمعه. وعندما إنتهت من التنظيف ، أخذت المال المتروك فوق الطاولة وشكرت صهيب وجاءت لترحل ، فصدمت بنجود وعيناها يتطايران شرر .. عادت بخطواتها إلى الخلف وهي مرعوبة وقالت: «ماما نجود»

قال صهيب سريعا:

- إذهبي إنتي الآن يا ميري

كادت تمشي ولكن أمسكتها نجود بقوة من ياقتها وصرخت :

- إخرجي المال الذي سرقتيه يا صعلووكة

صرخ صهيب بغضب:

- لم تسرق شيئا

- أصمت أنت أيها الأعمى

- أنا من أترك لها المال

- تدافع عن خادمة صعلوكة !

- تلك الحقيقة يا عمياء القلب والبصيرة ، قلت لكِ اتركيييها تذهب

نظرت بشك أكثر له ولها وقالت:

- هل سحرت لك؟! نعم يبدو انها مارست طقوسهم المعروفة وسحرت لك وجعلتك تعشقها لتقترب من المال والسلطة أكثر

صرخ صهيب أكثر وخرج الرذاذ من فمه:

- هل تظنين الكل مثلك ! لا يبحثن سوى عن المال والسلطة ! هل تعتقدين أن كل السيدات مثلك قد يبعن أجسادهن مقابل المال

لم تمتلك نجود السيطرة على نفسها وصفعت صهيب أمام الخادمة مما

جعل الرعب يدب في أوصال الخادمة وبدأ جسدها النحيل يرتعش .. لم يسكت صهيب وهاج أكثر:

- لن أصمت اليوم عن أذيتك ، كفاكِ أذى كفاكِ قسوة وجحود
- ويحك ، كيف تحادثني بتلك اللهجة
- قلت لك مرارا وتكرارا تلك اللهجة هي الأصلح لكِ ! يا سيدة نجود

إلتفتت نجود إلى الخادمة ومسكتها من شعرها بأظافرها الطويلة وظلت تسحبها إلى الخارج والخادمة تبكي بحرقة وتصرخ:

» بابا صهيب ، ماما اضرب فيني»

نهض صهيب وتحسس طريقه وتعثر أكثر من مرة وهو يصرخ غاضبا:

- قلت لك اتركيهاااا

لم تكترث نجود بل إزدادت من قسوتها أكثر وأخذت تصفع الخادمة باليد الثانية ، فأصبحت تسحبها بيد وتصفعها بيد آخرى وتسبها ، وصهيب يصرخ وهو يتحسس طريقه يريد اللحاق بهم:

- اتركيها ، أنا من أمنحها المال ، هي بريئة

هبطت نجود الدرج من الطابق الأعلى للأسفل وهي تسحب الخادمة على الأرض كخروف صغير مُساق إلى ذبحه ، كانت عيونها منبثقة إلى الخارج خوفا وترتعد من شعرها حتى أخمص قدميها ولكنها تبقى ضعيفة مهانة ومذلة .. كانت تبكي وترى صاحب القلب الطيب وهو يركض بعصاه يتحسس ويتعثر وينهض مجددا ويتحسس طريقه في محاولة للدفاع عنها ولكنه هو أيضا عاجز لا يقوى على قسوة تلك الشريرة . تشعر بأن عظامها تتكسر مع كل درج تهوى من فوقه ومازال صراخها لا يكفي ولا يمنع تلك السيدة عن ما تنويه !! ركض صهيب خلف صوت صراخها ولم ينتبه إلى

الدرج فتعثر وطاح في الأرض مدويا صرخة كبيرة أفاقت العنود من نومها فهرعت رعبا إلى الخارج لترى ماذا يحدث.
استقر صهيب في نهاية الدرج ومازالت نجود مستمرة في ضرب الخادمة بالسوط وتعذيبها أشد أنواع التعذيب ولم تعر أي إهتمام لسقوط صهيب .. صوت الصراخ والألم جعل الحادثة القديمة التي حدثت لأخيه الصغير تأتي بكل وحشية إلى أذهانه مخترقة جميع أبواب الماضي الموصدة..

*****

خرجت العنود ووجدت الدرج كله ملطخ بالدماء ووالدتها بالأسفل تنهال بكل وحشية على الخادمة المسكينة وأخيها يصرخ ويأن تحت الدرج ودماؤه تملأ المكان .. صرخت وهرعت إليه :

- صهيييييب

تحدث بوهن :

- انجديها يا العنود ، حبا لله انجديها قبل أن تتحول لوحش مثل ما فعلت في الخادمة السابقة

ازداد صراخ الخادمة وبات ممزوجا بالوهن والانفاس المتهدجة وحشرجة الألم وركضت العنود وهي تبكي ودفعت الخادمة بعيدا عن وحشية والدتها وظلت تصرخ:

- كفاااا أبعدك لم تتعلمي مما حدث في السابق ، كفا ، كفاا

وما إن ركضت الخادمة المسكينة إلى الداخل حتى ركضت العنود مجددا لأخيها وساعدته في النهوض ولكنه لم يستطع وصرخ:

- آآآآخ لا أستطيع

بصقت نجود على الارض تجاه صهيب بكل كره:

علك الموت ونفتك منك ان شاء الله ، تحب الخدامة وراح تجيب رووسنا»
» في الارض
صعقت العنود لما قالته والدتها وسألت صهيب:
- هل حقا تحب الخادمة يا صهيب؟ هل أمي رأتكم في وضع مخل؟
قال وهو يبكي بوهن:
- كاذبة رأتها وهي تأخذ المال الذي أمنحها إياه لمساعدتها وظنت إنها سارقة ودافعت عنها فأصبحت تلقي تهم العشق علينا !
قالت العنود وهي تبكي بحزن وقهر:
- قم يا اخي ، هيا حاول
- لا استطيع يا العنود ، اطلبي لي الطبيب فورا
وبعد نصف ساعة آتى الطبيب الخاص بالعائلة ومعه عربة الإسعاف وذهبوا به إلى العيادة الخاصة:
- منحته حقنة مهدئة ، لقد أصيب بكسر في عموده الفقري ، حمد لله إنه كسر إنضغاطي بسيط ، لابد من الراحة حتى يتم شفاؤه.,
- شكرا لك أيها الطبيب .,, حقا شكرا
خرجت من الغرفة وإتصلت بوالدها الذي أغلق عليها الاتصال أكثر من مرة فأرسلت رسالة:
«انا وصهيب بالمشفى لقد طاح فوق الدرج من الأعلى وأصيب بكسر»
انتظرت أن يتصل بها ولكنه لم يجبها فقررت الاتصال بأخيها والذي أجابها بعد فترة طويلة وصوت الاغاني المزعجة حوله :
- خالد ، أرجوك انقذني
- ماذا حدث

- انا وصهيب

قاطعها بكل برود:

- «السالفة فيها هاي الاخ بسج بسج لا تكملين مالي خلق اسمع عنه «

- انتظر يا خالد لقد طاح اخيك وأصيب بكسر في عموده الفقري وانا وحدي الان معه بالمشفى

- «خل اللي جابوه على هالدنيا يهتمون فيه ، تراني برة مع الشباب واكيد ما بخرب طلعتي عشانه «

واغلق الهاتف دون أي رحمة ، ظلت تبكي العنود لحال أخيها فوجدت إتصال من طلال والذي سمع خالد وهو يتحدث معها وانتظر دقائق وابتعد عنه وحادثها ..,

- العنود لما تبكي؟

- اخي بالمشفى وأنا معه وحدي ، لا أعلم كيف يستطيع الانسان أن يحيا بقلوب جافة ! لقد أخطأت كثيرا بالسابق ولكن تالله حبك غيرني يا طلال ! ها أنا أشعر بقهر على أخي المسكين ! وأمي يا طلال ..,

بلعت غصتها بصعوبة وأكملت بقهر شديد ودون أن تعي لكلامها:

- أمي جاحدة يا طلال ، أعترف بأني شربت من جحودها في السابق ولكنني لم أتصور إنها ستقتل أبنائها واحدا تلو الآخر

- تقتل؟!

أجابت بشرود مرة آخرى:

- قتلت بجحودها وقسوة قلبها تركي واليوم كانت ممكن تقتل صهيب او الخادمة

- كيف قتلت تركي يا العنود؟!

بدأت العنود تستوعب ما تفوهت به وتلعثمت قائلة:
- يجب أن أغلق الان
وأغلقت سريعا الهاتف وشردت في الماضي .. في اليوم المشؤوم بعد سفر مرام بيومين حين قدمت نجود من الخارج ولم تجد الخادمة أنهت الغداء فاشتاطت غضبا وبدأت تضربها وتمارس طقوس عذابها ، حتى وصل بها الامر إنها أخرجت قطعة حديد وكوتها بالنار وأحرقت يد اخادمة معللة ذلك بأنها سيجعلها تتذكر دوما الغذاء وتعمله في الوقت المحدد ، لقد قامت الدنيا يومها وأمتلأ قلب الخادمة بالحقد والكره الشديد من سيدتها ، فهي دوما تتفنن في أساليب العذاب دون رحمة وتعاملها بتعالي وقسوة ، فانتظرت خروجها خارج المنزل وانتظرت خروج خالد وبينما كان صهيب يغني في حجرته ، أغلقت عليه الباب بهدوء شديد وتأكدت أن العنود تغط في سبات عميق بعد عودتها من المدرسة وأخذت تركي الطفل الصغير ذا الثلاث أعوام وجعلته يشرب حليبه والتي وضعت فيه بالسابق منوم ، وما هي إلا دقائق حتى غط هو الآخر في النوم ثم كبلت فمه بقطعة قماش مبللة وأغلقت فتحات أنفه بمشبك غسيل وجلست تراه قرابة الساعة ووجه يتحول من اللون الاصفر الشاحب إلى الازرق إلى الاحمر إلى اللون البنفسجي ، كل هذا وهي لا تعي ما تفعله ، لا يحركها سوى الكره والحقد الدفين تجاه سيدتها ، فهي التي أحرقتها أكثر من مرة والتي كسرت لها يوما ضلعا من ضلوعها والتي قصت لها شعرها كله في يوم آخر حين وجدتها تهتم به أمام المرآة ، فأتهمتها بأنها تريد إغواء رجال المنزل به ولم ترحم دموعها ولا قهرها . كل هذا كان يخلق وحشا داخلها ، وحشا حين كبر دهس أبرء الناس بالمنزل ، قتلت تركي الطفل الصغير لعلمها كيف نجود

تحبه لانه العنقود الصغير .. وحين تحول جسده كله إلى اللون البنفسجي وأصبح باردا ، وضعته بالغسالة وجعلتها تعمل ولما رأت الدماء تتناثر داخل الغسالة ، بكت بحرقة وضحكت في نفس ذات الوقت وهربت من المنزل .. صحت العنود من نومها ولما دخلت الحمام وجدته ملطخ بالدماء ظلت تصرخ كالمجنونة فسمع صهيب صراخها والذي كان يتحدث وقتها مع مرام بالهاتف والتي أيضا سمعت بما حدث وانهارت هي الآخرى . صحت العنود من شرودها على مجيء طلال للمشفى .. ركضت إليه ودون أن تهتم أو تكترث إحتضنته كطفلة صغيرة وأخذت تبكي بحرقة وألم ، تعلقت برقبته وتشبثت بأحضانه بكل قوة أوتيت بها وانتحبت من البكاء .. هذا المشهد حرك قلب طلال لها أكثر وقال لها بحنان:

- « بسم الله عليج ، اشفيج حياتي «
- «تذكرت يا طلال اخوي الصغير اشلون مات وتذكرت مرام»

أخذ يربت فوق ظهرها بشفقة وحزن:

- حسنا إهدئي يا صغيرتي ، إهدئي .. وهيا تعالي معي سأعود بكِ إلى المنزل ، فلا فائدة الان من جلوسك هنا ..أخيكِ نائم ، إذهبي وخذي قسطا من الراحة ثم عودي مرة آخرى..

وافقته لانها كانت متعبة جدا ، شعر طلال بكم الضعف المتواجد داخل العنود وتعجب بأن كل هذا الضعف والهوان يسكن تلك المخلوقة والتي تظهر من الاخر بمظهر الجمود والقسوة ! علم بأن تلك القسوة انوجدت بسبب أمها الظالمة وأخيها القاسي ، عديم الرحمة وغياب والدها دوما وانشغاله .. كيف أراد الانتقام فيها !! لا بد أن يقف عن تلك الفكرة السخيفة ! يكفيها من متاعب ! لا لن يحولها إلى وحش كاسر ، فالمسكينة

حُبه غيرها ، إذا هي بذرة صالحة تحتاج إلى من يرويها بالحب ، لا تحتاج لمن يرويها بالشر والكره مثل والدتها .. نعم سيخرجها خارج حساباته مع أخيها .. إنه يحبها ولن يتحمل أن يؤذيها .. سينتقم في أخيها بشكل آخر .. من الآن وصاعدا تلك الصغيرة في حمايته .. يا الله لقد حضنته وتشبثت اليوم بأحضانه وكأنها تستمد الأمان منه .. إنه يحبها ولن يمسها بالضر ..

*****

تجمد ماجد حين سمع ذاك النداء ، نعم لقد شعرت بيده وبدقات قلبه التي كادت تخلع قلبه من مكانه ! نظرت لشحوب وجهه ثم إلتفتُ إلى الصوت الذي ناداني .. شابا لا أعرف من هو ذو بشرة سمراء وعينان سودويتان صغيرتان وحاجبان كثيفان يعلوان عيناه وأنفه ممتلىء قليلا وفمه واسع قليلا ولديه ذقن بسيطة ، لا أعلم ماذا أصاب قلبي حين وقعت عيناي عليه ! شعرت برجفة وشعرت وكأن قوة من المجهول أتت وأقبضت فوق قلبي بيد فولاذية ! نظرت له بتعجب:

- نعم؟!

- كيف حالك !

نظرت لماجد شاحب الوجه ونظرت له مجددا ورفعت الحاجب:

- هل تعرفني؟

وجدته ينظر لماجد بنظرات قسوة والشرر يتطاير منها ونظر لي بهدوء وبابتسامة ضعيفة:

- أوليست أنتِ مرام العاني

- نعم!

- لا تعرفيني؟

صمت قليلا وكدت أجيبه ولكن هناك صراع داخلي رهيب ، وأصوات الصراخ الذي أسمعها من فترة إلى فترة تأتي من بعيد مشوشة ولا أستطيع تميز الحديث الذي بداخلها ، أجفلت عيناي بتعب:

- عفوا لا أقصد الإهانة ولكن لا أتذكرك

رأيته وكأنه كاد يهوى من التعب او الأعياء فخشيت عليه من ماذا لا أدري؟! ولكن شعورا خفي شرير النوى يريدني أن أحتضنه ! يا إلهي ماذا ؟! أحتضنه !! أحتضنه وزوجي بجانبي ! زوجي الساكن الشاحب !

إبتسم لي الشاب مجددا بهدوء:

- أنا نبراس الحاني ، كنت معك بالجامعة

شعرت بأن هناك المزيد ولكنه فضل الصمت عن الحديث أكثر ، قلبي يرجف ! وجسدي كله يرتجف وأشعر بأني متخبطة ! يا إلهي !! ماذا فعل حضوره بي ؟! زلزلني حضوره أعترف بهذا ..

- عفوا يا نبراس ولكن أعتذر منك حقا ، لقد حدثت لي حادثة من بعد قدومي هنا إلى اليونان بيومين واعتقد إنها أثرت قليلا على ذاكرتي

إبتسم بهدوء ونظر لماجد بتحدي وقال:

- نعم علمت بذلك من زوجك الكريم !

نظرت لماجد بدهشة:

- هل تقابلتم؟

ظل ماجد ساكنا وتلعثم فقاطعه نبراس بتحدي وبنظرات حقودة لا أعلم سببها:

- نعم قابلته وهو قادم إليكِ هنا وتحدثت معه وقال لي بتلك الحادثة أوليس ذلك يا ماجد ؟ هه

كدت اجيبه حين رأيت الشاب الآخر قادم من بعيد ، هذا الشاب الذي تربص بي يوما ما وتحدث معي ! هو أيضا كان يعلم اسمي ولكني لا أذكره أيضا !! يا إلهي هل أثرت تلك الحادثة فيني إلى هذه الدرجة !!
شاورت له وقلت:
- أنت أيضا أتيت لي عند البحر وحادثتني
فرأيت ماجد يلتفت لي بوجوم وقال غاضبا:
- هل رأيتيهم سابقا ؟ ولم تقولي لي !
شعرت بالاحراج ، جُن هذا ليحدثني بهذا الشكل أمامهم ، ثم وجدته يمسك يدي بكل قوة ويدفعني خلفه:
- هيا يجب أن نعود للمنزل ، هيا
ظللت أنظر إلى نبراس هذا ، عيناه تأسرني إلى عالم أشعر فيه بذاتي ! يا الله ، ماذا دهاني ؟! كيف أتصرف هكذا ومعي زوجي .. لا أريد الذهاب معك يا ماجد ، اتركني هنا ، روحي ترقص هنا ..روحي التي أبحث عنها ، عثرت عليها هنا !!

*****

لا أعلم ما الذي جعلني أغير رأي ، أغلقت الهاتف مع حذيفة وذهبت إلى حجرتي أبكي حظي وأنعي قلبي في محبوبته التي تركتنا وتزوجت سوانا ، لكن بدلا من الرثاء ، شعرت بشعور خفي يدفعني إلى حمل حقائبي وإتجهت سريعا إلى المطار ، أوقفتني أختي على الباب:
- حبا لله لا تحرق العائلة بسبب تهورك ! هي تزوجت ولقد تأكدت بنفسك
- هناك شيئا خفيّ قد يقلب تلك الحقيقة

- نبراس لقد أغلقت تلك القصة فكفى ، أرجوك
- سأسافر
- سفرك فيه حرق العائلة
- فلتحترق ، كما إحترقت بالسابق ولم يكترث أحدا لي !

وبعد ساعات وصلت إلى اليونان وقابلني حذيفة الذي سعد حين حادثته بمطار البحرين وأخبرته عن رحلتي ، فلقد حجزت في اول رحلة ذاهبة إلى اليونان وهناك أخبرني بشكه بأن مرام فاقدة الذاكرة ، صعقت

- ماذا !
- نعم لقد ذهبت لها وحادثتها ولم تعرفني يا نبراس
- فقدت الذاكرة؟؟؟
- لقد راقبتها كثيرا ، ماجد يخفيها عن الأعين تقريبا ، لا تخرج إلا مرات قليلة وحين تخرج تكون وحدها وتجلس قليلا ثم تعود إلى منزلها ، وعلمت من السؤال كثيرا من أصدقائنا في البحرين ومن مزنة التي أختي لها علاقة بها ، مزنة إبنة خالتها ..
- نعم نعم

قاطعته بإهتمام شديد

- علمنا إنها تعرضت لحادث سيارة بعد قدومها لليونان ، كانت تركض في الشارع كالمجنونة ومنهارة حين علمت بوفاة أخيها الصغير تركي ولم تنتبه وهي تعبر الطريق إلى السيارة المسرعة ، في نفس هذا الوقت كان ماجد سافر خلفها إلى اليونان وبعدها سمع الكل عن زواجهم ! لا يعلموا كيف هي قبلت بماجد بتلك السهولة ولكنه يبدو استغل فقدانها للذاكرة يا نبراس شتمته ولعنته ألالاف المرات :

- آآآآخ من الحقير الكاذب ، المخادع ، استغل ضعفها وتزوجها !! سألقنه درس العُمر هذا الجبان!

- وماذا مع مرام؟!

أجبته وأنا شارد:

- إن كان عقلها نساني ، قلبها لن يفعل ! ستتذكرني إن شاء الله .. ولكني لن أذكرها بنفسي .. سأعود من جديد في حياتها كصديق فقط ولنرى ماذا سيحدث ..

وحين ذهبنا إلى منزل مرام وجدنا ماجد وتجمد لرؤيتنا وصرخ كالمجنون :

- ماذا تريد ! هل جننت لتأتيني وتسألني عن مرام

- أنت تعلم كما نعلم بأنك إستغللت فقدانها للذاكرة

اقترب مني وتحدث والرذاذ يخرج من فمه من شدة العصبية:

- اسمعني جيدا ، لقد خسرت انت مرام وانا انتصرت بها

- انتصرت بالغش وتدليس الحقائق ! هي اخبرها عني واجعلها تختار !!

اصفرت ملامحه وإنهال عرقه ، يعلم جيدا إن تركها تختار ، ستختارني .. آآآخ منك أيها المخادع ! لعنة الله عليك !

- أين مرام

- لن أسمح لك برؤيتها ، اتركوها تعيش بسلام ! عام ونصف وأنا أمحو آثارك السيئة من حياتها ، عام ونصف وأنا أزيل جريمتك الأثمة وتريد الأن تأتي بكل برود وتقتلها بسكين بارد من جديد

- عام ونصف اختطفتها مني ومن أحضاني ! وسمحت لنفسك أن تأخذ شيئا ليس ملكك..

- مرام الان زوجتي أنا ! وأحذرك بعدم الاقتراب منها .. صفحتك إنتهت

منذ زمن وولت!
وتركنا وركض ، وركضنا خلفه دون أن يشعر بنا .. مجنون إن ظن بأني أتيت كل هذا وسأترك له مرام قلبي ! مجنون إن ظن بأنه يمكن إخفاء الحب الحقيقي الذي يسكن قلوبنا .. أضعتك بالسابق يا مرام ولن أجعلكِ تفلتين مني هذه المرة ..

*****

«من فؤادي خفق بأسمك وأنا أسامي الدنيا كلها عندي ملعونة !»

الفصل الخامس عشر

أصبح ماجد كثير القلق منذ علم بقدوم نبراس ، ناقوس الخطر يدق باب حياته مع مرام بين الحين والآخر .. أصبح يذهب عمله في صمت وخوف وشعر بالهوة تتسع اكثر واكثر بينه وبين مرام .. يعلم إنها مازالت تنتظر تبرير لصفعها وغيرته الحمقاء ولكنه جبان لا يستطيع تقديم المبرر الصادق لها ! ماذا سيقول لها ؟ هل يقول لها بأنه يخشى من كل شيء سيجعل الأنظار تلتفت لها فيأتي لها نبراس ويجدها ! بعدما ظل قرابة العام ونصف يخفيها !! والآن بعدما علم نبراس بمكانهم هل سيمنعها ؟! لا لم يعد هناك أي سبب من منعها ، فما كان يخشاه حدث!! لكنه سيكثف الحصار عليها ، نعم لابد أن يعتذر لها عن قسوته ويحاول إرضائها .. ذهب لها في الحجرة وحين رأته ذعرت .. طعنه ذعرها لكنه تماسك وابتسم بهدوء:

- لقد فكرت في الأمر ووجدتني مخطأ ، أعتذر لك عما بدر مني بالسابق وأرى إنك يجب أن تستعدي لمعرض أزيائك

نظرت له مرام ببراءة وقالت:

- حقا يا ماجد؟

- نعم حبيبتي ، أنتِ تعلمين كم أحبك

تغاضت عن كلماته التي تجعلها تريد التقيؤ وشكرته بلهفة وركضت إلى لوحاتها لتبدع وترسم بحرية ومن جديد..

تركها ماجد وذهب إلى عمله وبعد دقائق دق باب منزلها ، فذهبت تفتح الباب وشعرها الأسود متناثر يمينا ويسارا وتضع ريشة رسمها فوق شعرها و»التي شيرت» الابيض الذي ترتديه ملطخ بألوان عديدة .. وجدت أمامها نبراس فأحمرت وجنتاها خجلا وقالت:

- عفوا ، لقد ظننت زوجي نسى شيئا فعاد

أمسك نبراس لجام غضبه وغيرته وأبعد الأفكار الشيطانية عن عقله وقال لها:

- لم أستطع أن اسلم عليك جيدا في المشفى ، فلقد كان زوجك مسرعا كمن لدغته حية ! لذا فضلت أن أتي ولكن ..

صمت عن الحديث ثم ألقى نظرة على ثيابها وأردف مجددا:

- لكن يبدو أنك مشغولة ..

وتركها وكاد أن يذهب حتى قالت بلهفة:

- إنتظر

إلتفت لها بعيناه التي تنير وهجا وحبا:

- نعم

- إنتظرني عند البحر أمام المنزل ، خمسة دقائق وسأتي إليك

رقص قلب نبراس حُباً وأومأ برأسه.. ركضت مرام إلى حجرتها سريعا وفتحت خزانتها وظلت تبحث بعيناها عن شيئا يبعث بالراحة إلى قلبها كما تبعث عينا نبراس بالأمل في قلبها .. ووقع نظرها على ذاك الثوب الذي إرتدته بالسابق وشعرت منه بالأمان وشعرت إن له ذكرى جميلة ولكنها لم تتذكرها ، ثم صففت شعرها سريعا وربطته «ذيل حصان» مرفوع وأرتدت شريطة رقيقة ووضعتها في مقدمة رأسها ونزلت سريعا إلى البحر .. هناك وجدته

يجلس مقابل البحر وشاردا بعيدا ، جلست بجانبه في هدوء وشردت لثوان معه إلى بعيد .. تشعر بدقات قلبها تصرخ تجاهه ولكن لا تعلم لماذا .. نظرت له:

- هل أنت حزين إلى هذا الحد؟

نظر لها بضعف:

- وكيف شعرتي بحزني ؟

- لا أعلم ولكن عيناك تحدث عيناي بحديثٍ لا أفهمه ولكن أشعر به !

إلتفت إليها بحب:

- وماذا تشعرين أيضا ؟

- شيئا من أعماق البحر يناديني ! أنت ألقيت هناك سرا وتلاطم مع أمواج البحر ولكنه يصرخ لي يناديني ؟

ابتسمت عيناه فرحا ، يشعر أن هناك صراع الآن يدور بين عقلها الناكر لحبه وقلبها الرحيم الذي مازال على وعده وعهده ولكنها مسكينة ضائعة ، وحيدة في غياهب المجهول .. نظر لها برقة وقال:

- ربما !

- هل كنا أصدقاء مقربين بالسابق؟

- أنت ماذا تشعرين؟

- أشعر بأنك كنت قريبا جدا

- حسنا كنت ..

- هل بحثت عني؟

نهض نبراس فجأة وقال:

- كل شيء بأوانه جميل ، سأتركك الأن ..

- لا تذهب

قالت له بعيناها البريئتان ، رجته بإصرار ، إنها تريده ، تريد بقائه .. ماذا يفعل ؟ هو أيضا في حيرة من أمره ، يخشى أن تسأله شيئا فيضعف ويصارحها بالحقيقة ! فتهرب منه من جديد !

- لما تريدين بقائي؟!

أطرقت رأسها إلى الارض بحزن:

- لا أعلم ولكن هل ستصدقني إن قلت لك بأني لم أشعر أمانا مثل ما أشعره الأن معك؟

دق قلب نبراس بألم وقال لها:

- أصدقك

- منذ قدمت هنا إلى اليونان وأنا يغتالني فراغ أجوف مخيف كل ليلة ! هناك شيئا مني تبعثر في مكاناً ما وضاع ولا أعلم كيف أجده.. أشعر بالخوف دوما ..

- حتى مع زوجك ماجد؟

- ..

- ماذا؟

- لا أعلم ولكن شعورا سيئا يجتاحني من فترة إلى آخرى

- ماهو؟

- أشعر بأنه يريد إختطافي

- هل أنتِ سعيدة معه ؟ أقصد ..

وعاد يكظم غيظه واصطكت أسنانه ببعضهما البعض وهو يقول:

- هل تتمتعين معه بحياتك الزوجية؟

- أنا وماجد ليس أزواج حقيقية ! رُباه ! كيف تفوهت بهذا ! أعتذر يجب أن أرحل

وتركته وركضت سريعا إلى منزلها وقلبها يرتجف من الخوف والغبطة والبهجة في آن واحد! حديثها مع نبراس جعلها تشعر براحة لأول مرة تشعر بها منذ زمن طويل.. وظلت تسأل نفسها « يا تُرى ما قصة نبراس هذا » عاد ماجد ليجد مرام تغط في سبات عميق ، زفر بتعب وإتصل بوالدته ثم حادث ريم والتي تعجبت من إتصاله..

- كيف حالك يا ريم

- بخير يا ماجد وأنت؟

- أنا أيضا بخير

صمتا قليلا لا يعلم ماذا يقول كلاهما للأخر فقال ماجد:

- ريم هل تحتاجين لشيء؟

فقالت بنبرة تملؤها السخرية:

- مثل ماذا ؟ المال؟ يوجد لدي مال قد يطعم قرية فقيرة بأكملها ! لقد سئمت من المال

شعر بالذنب وبتقصيره تجاه أخته وقال لها:

- هل تريدين يا حبيبتي أن تأتي هنا إلى اليونان وتقضين عطلة نصف العام معي؟

فرحت ريم كثيرا لهذا الإقتراح:

- حقا يا ماجد ؟ لن أضايقك؟

- لا يا صغيرتي ، سأسعد قليلا ، لم أعرض عليك سابقا وذلك لتجنبي للمشاكل من أخيكِ سلطان

أجابته ريم بحزن عميق:

- لا تقلق أخي سلطان لم يعد يكترث لأي شيء في الدنيا ، لقد إبتلعته دنيا المخدرات
- ماذا ! وأين أبيكِ من كل هذا ؟
- حاول علاجه وقد تم شفاؤه ولكنه عاد مجددا دون أن يعلم أبي
- وكيف عرفتي؟
- لأني رأيته بالأمس ولكن حمد لله لم يراني لكان قتلني !
- وأين سعود؟
- سعود لا يكترث إلا لعلمه وبحوثه ودراساته ، كلا منا في هذا المنزل يعيش في عالم وحده ! حتى أمي لا تترك ندوة أو مؤتمر إلا وحضرته ، تنادي دوما بحقوق المرأة ونست إبنتها في زحمة الحياة !!
- حسنا يا ريم سوف أحجز لك تذكرة ، مرام ستسعد كثيرا بقدومك إلى هنا
- شكرا يا أخي .. شكرا كثيرا

*****

ذهب خالد إلى الملهى الليلي الذي يسهر به هو أصدقائه وحين قابل طلال سأله عن المرأة التي سيجلبها له ليتزوجها :

- ستأتي في غضون يومين ، لقد إنتهيت من أوراقها أخيرا

ضحك خالد بكل سعادة وفخر:

- لذيذ لذيذ إذا يومين وأصبح «معرس» هههههه

ضحك له طلال مجاملة وسبه في قلبه:

- نعم بالطبع
- إذا لم تعجبني سأخذ مالي كله منك!

- ماذا وما ذنبي أنا
- ذنبك في إنك تريد أن تأخذ أموال مني بأي طريقة فتأتيني بفتاة كريهة
- لا ستعجبك إن شاء الله

ونهض طلال فنظر له خالد بتعجب:

- إلى أين
- سأعود للمنزل
- «تو الناس ! لحين ما فرفشنا ، ترى دانة وشلتها بيجون عقب شوي ، خل نوسع البال ، اقعد ويانا يا ابن الحلال واستانس «
- يجب أن أعود إلى المنزل فأمي مريضة وأريد الأطمئنان عليها
- هل لديك مال؟

رفع طلال حاجبه متعجبا:

- لماذا ؟
- حتى تجلب لها الدواء إن احتجت أعلم بأنك فقير ولربما انتهى مرتبك أيها المسكين على علاج والدتك .. هههه قل لي ولا تخجل ، سأساعدك كما دوما أفعل

إحتقنت ملامح طلال بالغضب اكثر:

- ليس بحاجة لك ولأموالك حمد لله ، وانتبه لأموالك أنت فقد لا تنفعك في يوما من الايام !

ورحل طلال وهو في قمة كرهه لخالد ولطريقته المتعجرفة وإشتعلت نيران الإنتقام أكثر وأكثر

*****

خرجت نجود كعادتها فهي لا تسأم أبدا من الخروج ولا تحب أبدا الجلوس

بالمنزل خصوصا حين يكون به صهيب وحده ، لا تحب أن تراه ولا تحب أن تبقى وحدها معه .، ومنذ أن عاد بعد الحادثة وهي لم تلتقي به أبدا ، دوما يغلق باب حجرته عليه ، أما الخادمة فالمسكينة لولا حاجتها للمال لكانت هربت هي الأخرى من بعد ما حدث بها .، إتصلت بهتون أخبرتها بأنها سوف تمر عليها تأخذها ويخرجا إلى أي مكان .، هتون هي الاخرى أهملت زوجها ومنزلها ، فحديث نجود الدائم لها بأنها يجب أن تعيش حياتها كما ينبغي لها جعلها تمقت زوجها وتمقت الجلوس معه في منزل واحد خصوصا بعدما أضاع ثروتها في مشاريعه الخاسرة.،

تقابلت الأثنتين وجلسا في أحد المطاعم الفخمة وظلا يضحكان ومن ثم تفاجأت الهتون بقدوم رجل من رجال الأعمال يبدو على ملامحه الهيبة والفخامة وسلم على نجود وكان ينظر لها بنظرات حب وإعجاب شديدة ومن ثم رحل.، نظرت الهتون بدهشة لنجود وقالت:

- هل تعرفينه ؟
- نعم قابلته في إحدى المؤتمرات ، لديه الكثير من الأموال
- واو
- هل يروقك؟
- جداااا
- يمكني أن أعرفك عليه ولكن إجعلينا نلعب ونلهو قليلا ما رأيك؟

نظرت لها الهتون بدهشة:

- نلعب؟ كيف؟
- سنرى كيف ستستطعين جلب الهدايا الثمينة منه
- ثم؟

- ثم سنقسمها سويا
عجبتها الفكرة ولكن قالت بضيق:
- ألا يكفيك كل ثروتك وتنظرين إلى الهدايا القليلة التي ستقدم ليّ؟!
- هههه ومن يا حلوة جعل تلك الهدايا تأتي!؟ أوليس أنا؟
قالت الهتون بمضض وغل:
- نعم
- وأنتِ أيضا إذا جعلتيني أتعرف على رجل مهم وغني وإستطعت جلب الهدايا الثمينة منه سيكون لكِ نصيبا منها وسنرى من منا أشطر وأمهر وأكثر كفؤا في جلب الهدايا
وضحكتا الاثنتين ضحكات مليئة بالعهُر والمجون ، مما ألفت إليهم إنتباه الكثير من عيون الذئاب البشرية المفترسة.,

*****

في مدرسة ريم كانت مزنة قد أبلغت الإدارة بحالة ريم وبدأت المشرفة تدرس ملفها الشخصي ، نظرت إلى مزنة بتعجب :
- إنها إبنة أحد كبار الدولة ؟!
- نعم أعلم وماذا في ذلك؟ّ!
- حبا لله يا مزنة ، ألم تجدي فتاة آخرى غير هذه !! تلك الفتاة والدها سيقلب المدرسة رأسا ع عقب حين نتهمها إتهاما مثل ذلك
جحظت عينا مزنة من فرط الدهشة وانكمشت ملامحها غضبا:
- أولا كيف لي أن أختار ؟! هل أنا من إفتعلت المشكلة ؟ أم المشكلة بالفعل تكمن في تلك الفتاة تحديدا ؟ ثم وماذا إن كانت إبنة كبار رجال الدولة أو لم ؟ هل هذا سيبرأها من فعل آثم إرتكبته في حق

مُدرستها ؟ ثم أي إتهاما تتحدثين عنه وكأنها ليست مذنبة!
- إهدئي يا مزنة لم أقصد كل هذا ولكني أخشى من متاعب ستأتي لنا
- الفتاة واقعة بخطر كبير ! هل تعلمين أي حياة إختارت لها ؟ لقد إختارت أن تعبر عن نقصا ما تعانيه بشكل مزري ! تلك الفتاة ستقتل برائتها ومراهقتها وتطلبين مني الآن أن نقف مكتوفي الأيد خوفا من أهلها ! بل يجب من أهلها أخذ الحيطة والحذر والإنتباه لإبنتهم التي أهملوا في تربيتها
- يؤسفني أن أقول لك بأن هناك بعضا من الأهالي لا يهتموا برعاية أبنائهم ! وأن مدارسنا الخاصة تحتوي على بعضا من السموم القاتلة ، لقد نقلت إبنتي من مدرستها الخاصة إلى مدرسة حكومية لأنها عادت لي يوما وقصت لي كيف يتبارين الفتيات الأكبر منها سنا بفقدانهم لعذريتهم!!
شهقت مزنة من الصدمة:
- يا إلهي ! ماذا ؟! هل أنت صادقة أم تهولين الأمر أم ماذا !
- لا والله بالفعل ذهبت إلى مدرستها وحدثت المشرفة آنذاك وأخبرتني إنهم يعانين كثيرا من المشاكل وإحداها أن فتيات الثانوي يتبارين بالفعل كم شابا يلهون معه وأين سيسهرون «بالويك اند « سويا ؟ ومن مازالت تحتفظ بعذريتها ومن تريد إختطاف حبيب من ومن تريد السفر خارج البحرين مدعية بأنها ستسافر مع صديقاتها ثم يسافرن في نهاية الأمر فتيات وشباب معا في آن واحد ! والكثير من العادات الغربية الدخيلة على مجتمعاتنا العربية !!

أمسكت مزنة رأسها من صداع رهيب هاجمها وأغلقت عيناها بإعياء:
- حبا لله كفا ما سمعته اليوم ! ولكن أعيدي النظر في ملف ريم وحاولي حل المشكلة ! وليحفظ الله فتياتنا الصغار في المدارس ..,
تركت مزنة المدرسة وعادت إلى منزلها وما إن رأتها والدتها حتى ركضت إليها وقبلت قدمها وهي تبكي :
- حمد لله أني ولدت بين عائلة تحترم وتقدس الروابط الأسرية
نظرت لها شجون بتعجب:
- ماذا بكِ يا بُنيتي ؟!
- كوارث يا أمي تحرق أطفالنا عند إهمالنا في تربيتهم
إبتسمت شجون بحزن:
- نعم أعلم ذلك ولذلك حرصت في تربيتي لكِ أشد الحرص ، على الرغم من عملي ومن مشاركتي في ندوات كثيرة في المجلس الأعلى للمرأة ولكني لم أقصر أبدا تجاهك ولا تجاه والدك ! لقد إتفقت أنا وهو منذ أول يوم زواج أن العمل يبقى خارج المنزل وفي عودتنا لا مجال إلا للمنزل فقط ..,هل هناك مشكلة في مدرستك ؟!
- للأسف ريم بنت يوسف العنيري
فغرت شجون فمها :
- أخت ماجد؟
- نعم
- ماذا بها ؟
- إنها «بوية
- يا إلهي ! ولكن ماذا أقول ! فهذا نتيجة إهمال أهلها في تربيتها !!

للأسف يضعن الكثير من أبنائنا نتيجة إهمال أهاليهم وعدم الإلتفات إليهم
- قالت لي المشرفة إنه إضطراب لما تعيشه تلك الفتاة المسكينة داخل أسرتها وإنها تحتاج إلى الرعاية والمزيد من الإهتمام لتعود مرة آخرى لإنوثتها
- بالفعل قد يكون ما تفعله هذا هو منبه لأهلها ليستيقظوا من سباتهم
- لكن المشرفة تخشى من ردة فعل والد ريم
- وما ذنبكن أنتن؟! بل يجب أن يشكركن على إهتمامكن بفتاته التي نسى وأهمل هو تربيتها !
- سنرى أن كانت ستنجح في الجلوس معها أولا ومحاولة معرفة ما يجلعها هكذا أم لا ولقد أخبرت مرام أن تحدث ماجد عن أخته ، قد يساعدها هو أكثر من والده .,
- أشفق على مرام وعلى ماجد فهم ولدوا لأهالي غير جديرين بالمسؤولية !

*****

ظل ماجد يعمل لساعات طويلة على الحاسوب كعادته ، لكنه كاد أن يقتلع حروف الحاسوب من مكانها من شدة عصبيته وغيرته ، يشعر بأن مرام تغيرت منذ رؤيتها لنبراس وأصبح يخشى من المجهول ., شرودها الدائم كان يضرم الحرب داخله ., نهض من مكانه وإتجه إليها في غرفتها ., جلس بجانبها ومنحها قبلة فوق خدها فأفاقت من شرودها ونظرت إليه بتعجب:
- هل أنهيت عملك؟
- لا ولكني إشتقت إليك

إبتلعت ريقها بصعوبة وزاغت نظراتها بعيدا عنه:

- هل أنت جائع ؟ لأعد لك الطعام

مسك يدها وقبلها مجددا :

- ما رأيك لو سافرنا قليلا

إرتعبت مرام لتلك الفكرة ؟! شعورا خفيا خالجها بإنها ستبتعد عن نبراس ، ذاك الأمل الجديد الذي دب بأوصال الحياة داخل روحها المنتهكة ! شحب وجهها وبغتت قائلة:

- أين سنسافر ؟!

- إلى إيطاليا لطالما رغبت زيارتها

فركت يديها بتوتر ثم رفعت شعرها إلى فوق بعصبية وقالت وهي تجز على أسنانها:

- لا أرغب في ذلك ، كما إنك سبق وأخبرتني بقدوم ريم لنا !

- سنأخذها ونسافر جميعنا

- لا أفهم لما تريد دوما أخذي من جميع ما أحبه ، لما تصر على إختطافي إلى أبعد بؤرة عن الجميع ! أنت تعلم بأني قد بدأت بالإعداد لمشروعي الجديد وها أنت تريد السفر ! محطة جديدة وفراغ جديد وهوة تسحقنا في دوامة ومتاهة مليئة بالظلام والهلاك والدمار من جديد ! لما علينا لعب تلك اللعبة السخيفة طيل حياتنا !؟ لما لا نستقر في محطة ما ونحاول أن ننتهل من رمق الأمان ؟! تعبت من الإرتحال من مكان إلى آخر يا ماجد

- أنتِ من تقولي الآن هكذا ؟! في السابق كنت تبحثين عن مكان لا يصل إليكِ فيه أي أحد ، لا تعرفه العيون بما فيهم عيناكِ أنتِ ..

زمجرت بتحدي وغضب حول ملامحها إلى اللون الأحمر:
- أي سابق هذا الذي تتحدث عنه ؟! أنا لا أفهم ما هو الماضي !! ماضي مشوه ، عبارة عن صور ركبتها أنت وقصصتها لي أنت منذ تلك الحادثة التي لا أذكر حتى ما سببها ولما كنت أركض دون إنتباه فجعلت الحافلة ترتطم بي !! ماضي تم التلاعب بهِ ولا أقوى حتى على تذكره
- الآن تنكرتي لكل ما قدمته لكِ يا مرام؟! ولماذا في هذا التوقيت ها ؟ هيا أخبريني
لم تفهم مرام حديث ماجد ورفعت حاجبها باستغراب:
- ماذا تقصد ؟ وأي توقيت تتحدث عنه ؟!
- منذ أن ظهر أصدقاء الماضي لكِ وأنتِ تغيرتي؟! شرودك أصبح أكثر ! دوما شاحبة و تخشي السفر حتى لا تبتعدي عن هنا ..
ثم نظر لها بكل شك :
- هل هناك شيئا ما بينكم في الماضي لا أعرفه؟!
توترت مرام وجفلت حين سمعت السؤال وقالت بنظرات زائغة :
- ماجد ماذا دهاك ؟! إنك زوجي وسؤالك هذا يعني الخيانة ؟!
زفر ماجد بارتياح لانه علم إنها لا تتذكر شيء وإنه مازال قادر على السيطرة على أفكارها وعليها فاقترب بحب واحتضنها:
- اجعليني اغمرك بحبي ، ولا تبتعدي الليلة عني ..
تنهدت مرام بضيق وشعرت بضيق في انفاسها وان الدنيا ضاقت بها ، وشعرت بروحها تعتصر أنينا بالداخل ، تريد أن تدفعه بعيدا عنها ولكنها لا تقوى .. لا تعلم لماذا ؟ مازال القلب يرفض قُربه ويلهث سعيا وراء أي نقطة حرية بعيدا عن أحضانه .. أغلقت عينيها وتركت نفسها في أحضانه خوفا

من ظنونه.. أحتضنها أكثر وبدأ في تقبيلها ، قبل خصلات شعرها ثم عيناها ثم بدأ في تقبيل شفتاها وهنا وجدت مرام نفسها تبكي بحرقة ودون سابق إنذار ، مما جعله يتوقف ونظر لها بوجوم بعدما إبتعد:

- هل تنفرين مني إلى هذا الحد ؟!

ظلت تجهش بالبكاء ، خنجرا من العذاب يبرحها ألما من الداخل ، لا تدري ما العلة ولا بما تبرر:

- اعذرني

احتقنت ملامحه:

- إلى متى؟! قولي لي إلى متي

- لا أعلم .. انا حقا ضعيفة جدا ولكن لا أقوى على ما تريده ، هناك شيئا بالداخل يمنعني

إقترب منها كالوحش المفترس وبنظرات حادة ويد قوية مسكها بعنف وقال:

- أنا زوجك ! وانتِ من حقي أنا وإن كنت أريد أخذ شيء بالقوة لكنت أخذت ولكن يبدو أن الطيبة مع أمثالك لا تنفع !

ثم دفعها مجددا على الأرض وتركها شريدة تبكي وتأن من جرح غائر لا تعلم سببه

*****

لم أحب مثلما أحببتك ولم أجتاز العمر إلا بقلبك
فلما حرمّوا غرامك لي!

الفصل السادس عشر

ذهب صهيب إلى جمعية رعاية المكفوفين وهناك إستقبله الجميع بحفاوة وشوق كبيرا وبعدها إتصل بمزنة والتي ما إن رأت رقمه حتى أجابت بلهفة وحنين:

- صهيب؟
- كيف أخبارك يا مزنة ؟
- أنا بخير وأنت ؟
- أنا بخير ، كنت بالجمعية وأردت أن أحظى بلقاءٍ معك ولكن يبدو إنني تعيس الحظ فلم أجدك
- حسنا إمهلني دقائق أرتدي ثيابي وأأتي سريعا لك
- سأنتظرك لا تقلقي ، ولكن كوني حذرة في القيادة حتى لا يحدث لكِ مكروه ...

أجابته بابتسامة كبيرة وبريق يشدو بين عيناها :

- لا تقلق ..

ثم قفزت وارتدت أجمل أثوابها وتعطرت برحيق الياسمين وأقبلت تجاهه بولع أضرم النار في قلبه هو الآخر :

- كيف حالك يا صهيب

ابتسم بحب واتجه برأسه نحوها:

- اشتقت إليك ووجدتك لا تسألي منذ أن فارقتنا مرام وهاجرت
- لم أرد أن أحدث مشاكل لك وخشيت أن أثقل بسؤالي عبء فوق كاهلك
زفر بضيق:
- أثقلتيه بإهمالك في السؤال يا مزنة
صمتت لا تدري بما تجيبه ، أرادت أن تصرخ بحب يسكن بين حشاياها ، أرادت أن تعترف للعالم كله بأنها تهواه ولا تريد سواه ولكنها لم تستطع .. هو أيضا أوصاله كانت ترجف بعشقها الذي يسكنه ويتمنى لو أن يخبرها ولكن يخشى من عجزه ، يخشى أن لا تقبل بهِ فوالدته على حق حين قالت له يوما « وهل تظن نفسك رجل! الرجل هو من يتحمل المسؤولية وأنت لا يمكنك أبدا أن تتحملها فلا تظن بأنك قادر أبدا أن تعيش أحاسيسنا العادية ومشاعرنا الطبيعية « قطعت مزنه حبل أفكاره وقالت:
- صهيب
- نعم
- فيما شردت؟
قال بحزن:
- لا شيء
صمتت قليلا قبل أن تتفوه:
- إشتقت إليك كثيرا يا صهيب وألمني عدم قدرتي في السؤال عنك
فأجابها بلهفة:
- لماذا ؟ ما الذي يمنعك يا مزنة ؟
- أخشى أن يصيبك أي مكروه بسبب خالتي نجود إن علمت بسؤالي عنك
فأجابها بغضب ودون أن يعي لذاته:

- ولكن أنا أحبك فأنا حر فحياتي
رقص قلب مزنة لسماع تلك الكلمة وبغتت وصُدم صهيب لما قاله :
- اعتذر عن ما بدر مني ، لم أقصد .,,, أعلم بأني لست شخص مهيأ للحب وأني .,,,,
قاطعته مزنة بحب:
- ويحك يا صهيب! أما كفاك عذابي كل هذا الوقت وأنا أحترق فوق جمرات الإنتظار وتريد أيضا حرماني منها ! أما كفاك بأني كدت أموت حين علمت برغبة الخالة نجود في تزويجك لعهد ! أما كفاك كل هذا وتريد أيضا الآن حرماني من أجمل كلمة حين تفوه قلبك بها !
سألها بخوف:
- هل حقا أنتِ تحبيني يا مزنة؟!
- آآآخ أحبك؟! إنها قليلة جدا يا صهيب ! أريد أن أشبع أحضاني بعبق قلبك أيها السيد وأنت مازلت تسألني عن الحب؟! لقد اجتزت تلك المرحلة منذ وقتا طويل يا صهيب ، اجتزت الحب وشاخ قلبي حين ظننت بأنك لست ملكي..
- يا إلهي ! كل هذا أضعته على نفسي! لقد جعلت حديث أمي يمتلكني وظننت بأني عاجز غير قادر على الحب
- كفاك هراءات يا صهيب
- لن أضيع هذه الفرصة وسأخبر أبي عن رغبتي في الزواج بك!
بكت مزنة من الفرحة وظلت تضحك كالمجنونة والدموع تنهمر من عيناها كالشلالات ولكن ما أجمل وأطهر وأبرء من دموع الفرحة؟!

*****

جلس طلال في حجرته الصغيرة في منزله المتواضع ، طلال وّلد في أسرة متواضعة فوالدته هي التي تكفل المنزل منذ وفاة أبيهم وتنكر أعمامه لهم ، له أربع إخوة وجميعهم ما زالوا بالمدرسة وهو أكبرهم ، لذا كان يهتم دوما بدراسته من أجل إعالة إسرته سريعا بعد التخرج من الثانوية .. وحين أنهى دراسته الثانوية بدأ في البحث عن عمل بجانب دراسته الجامعية .. وهناك في الجامعة تعرف على خالد , لكنه أنهى دراسته سريعا عنهم لذكائه الحاد وإجتهاده .. طلال طيب القلب ويحب الخير للجميع ، ومجتهد في عمله وشخصية ذو مسؤولية ولكنه من صادق خالد وشلته والحقد نشب في قلبه نتيجة معاملة خالد باحتقار له وإصراره دوما بأن يجعله يشعر بدونيته عن الباقي .. أخذ يفكر في الإنتقام من خالد فدخلت والدته بعدما طرقت الباب:

- ماذا تفعل يا بُني؟

- لا شيء

- أشعر بحزنك يا صغيري ، ماذا حدث ؟ هل تواجهك مشاكل بعملك ؟

ابتسم لها بوهن ونهض وقبل رأسها ونظر لها بحنان:

- لا شيء يا أمي الحبيبة ، أنا بخير ، فقط إدعو لي أن أعود كما كنت بالسابق ، فالقلب أضناه التعب وأهلكتني نفسي الأمارة بالسوء ..

- أدعو لك دوما يا صغيري .. أعلم كم قلبك رقيقا وكم تحملت من أجلنا الكثير

- لم يعد قلبي كما كان ، تلوث كثيرا يا أمي

- صلي لله كثيرا يا ولدي ، وأدعوه أن يرحمك من نفسك الأمارة بالسوء وإبتعد عن أصدقاء السوء

نظر طلال إلى بعيد وقال:
- ليتني يا أمي ! ولكن قريبا سألقنهم درسا وأبتعد للأبد ..

*****

مر إسبوع وهتون تفكر ليلا ونهارا بموضوع إن تم ، سيجلب لها الكثير من المال ، ولكنها لا تعلم كيف تحادث فيه نجود وتخشى من أن يقلب الموضوع رأسا على عقب وتخسر صداقة نجود للأبد .. ولكن موضوعا كهذا فكرت فيه كثيرا ورسمت خطة لنجود .. إرتدت ثيابها وإرتدت مجوهراتها الثمينة التي إكتسبتها من مضاجعتها للرجال وصداقتها مع نجود وإتجهت لمنزل نجود ..

جلست متوترة حين أقبلت عليها نجود :
- ماذا بكِ ، قلت لي أن هناك موضوعا مهما
- نعم وسيجلب لنا المزيد من المال
لمعت عينا نجود شرا وخبثا:
- كيف ، أخبريني به بسرعة
رفعت هتون حاجبها في دهشة:
- قبل أن أخبرك ، حدثيني عما ينقصك ليجعلك تبحثين عن النقود بأي شكل وسعيك الدائم لها !
- أريد تأمين حياتي ، أن أصبح حرة نفسي ، حتى إذا هُدم هذا المنزل الكريه فوقا تحت لا يهمني ولا تهتز حياتي ..
- هههههه يعجبني دوما دهائك ، ولذا لم أتردد أبدا في فتح هذا الموضوع معك
- هيا أخبريني فقد أحرقني الفضول ...

- لدينا فتيات ليس في جمالهن مثيل ، فكيف لم تفكري قط في إستخدامهن !
نظرت نجود بجمود ودق قلب هتون رعبا وخوفا من ردة فعلها :
- ماذا تقصدين!
- أقصد أن أستخدم فتاة من فتياتي أعلم بذكائها ومهارتها ومعها فتاتك الجميلة العنود في اصطياد بعضا من الزبائن ! تعلمين بأننا كبرنا وأن وقعهم سيكون له صدى أقوى وأكبر منا .,
كشرت نجود بملامحها ونظرت بجمود أقوى إلى هتون مما زاد من توتر هتون وخوفها ثم بدأت تبتسم بهدوء وبشر :
- فكرة رائعة جدا ! كيف لم أفكر قط فيها
زفرت هتون بإرتياح:
- لا أعلم أين تلك الأفكار ولت عن عقلك الفاذ بالذكاء !
- ولكن ما أخشاه أن يرفضن مطاوعتنا ويكشفن خبايا لأبائهم
- فتياتي أعلم كيف أديرهم جيدا ، يبقى الخوف من إبنتك العنود
- نعم ، فماذا سنفعل معها
- لا تخبريها ، واتركيها لي
- ماذا ستفعلين معها ؟!
ضاقت عينا هتون بحقد وكره:
- سأجعلها لا تقوى أبدا عن فتح فمها بأي حقيقة مهما حدث !

*****

في اليوم التالي إتفقت هتون أن تأتي إلى منزل نجود ومعها إبنتها الكبرى حصة وسيأخذن معهم العنود ليذهبوا إلى حفلة في إحدى الفنادق الكبيرة وستأتي نجود لهم بعد إنتهائها من أعمالها .. هكذا كانت الخطة ليقودوا

العنود إلى مصيرها الأسود الحالك .,, حادثت العنود طلال قبل ذهابها :
- سأذهب إلى حفلة مع خالة هتون
- من هتون ؟
- هي خالة مرام ولكنها صديقة والدتي كثيرا ، ولا أعلم ما هو سبب حبهن لبعضهن البعض
قلق طلال وهتف بشك :
- هل من الضروري الذهاب معهن إلى تلك الحفلة؟
- لا أعلم ولكن أمي أصرت عليّ ، تقول أصدقائها بالحفلة يردن رؤيتي
- لا أعلم ولكن أشعر بالقلق حيال ذهابك ، ما إسم الفندق
- فندق بالجفير
- أخبريني خطوة بخطوة صغيرتي بما يحدث معك
- إن شاء الله
أغلقت العنود المكالمة مع طلال ، وبعد مرور النصف ساعة وجد رسالة نصية منها :
» طلال واللي يرحم والدينك ، لحقني بسرعة ، أنا بفندق «.,,,,» بالجفير»
حاول طلال كالمجنون مهاتفتها ولكنها لم تجب أبدا على أيا من إتصالاته .,,

*****

إنتظر نبراس عند البحر أمام منزل مرام علها تأتي ، لا يريد إقتحام حياتها بالغصب ، بل يريد ترك الحرية لها لتبحث عنه دوما .,, وبينما هو جالس عند البحر ، نظرت مرام من النافذة فوجدته فإرتسمت إبتسامة فوق محياها على الفور ، الحُب حين يرسم الحياة فوق تقاسيم الوجه لا يمكن أبدا أي شيء في إخفائه .,ارتدت عبائتها ووضعت وشاحا أسود فوق رأسها

و ركضت تجاهه:
- صباح الخير
إلتفت نبراس بحب:
- صباح الخير ..
ثم نظر لها بإندهاش:
- منذ متى وأنتِ ترتدين الحجاب!
- لا لم أرتديه بعدي ولكني أوقات أحب أن أضعه فوق رأسي إحتشاما ليس أكثر ، كما إن ماجد طلب مني كثيرا بأن أحاول التعوّد عليه
كظم غيظه وغير دفة الحديث وسألها:
- كيف حالك اليوم؟
ترددت في قولها:
- لا أعلم إن كنت بخير أم لا
- ماذا حدث معك؟
نظرت داخل عيناه وغاصت في بحورهم ، شعرت بأثير قلبه يسحبها للغرق بأمان داخل عالمه ، فقالت بشرود:
- أشعر يا نبراس بفراغ ، أشعر بسحيق بارد بيني وبين زوجي ! لا أتذكر إلا القليل ، هناك حقبة زمنية غاصت بعيدا عني ! أشعر بصراخها بين الحين والآخر ، تريد ان تهوى إلى السطح ولكن يد الظلام أقوى ، يد الظلام تردمها إلى القاع !
- وماذا عن زوجك؟ لما لا يحدثك عن ما تبحثي عنه ؟
- لا أعلم ! أشعر بأوقات بصرخات تختلج داخل رأسي ، تفور كالبركان ، تزلزلني ، لا تريد أن تبرح ! أنين ممزوج بسعير يلهبني! هناك صراع يقيم

الدنيا ولا يقعدها كل يوم ..
- لما لا تذهبي إلى طبيب نفسي ؟
- أخشى التعلق بأوهام تضيع سُدى
- قد يساعدك الطبيب يا مرام ، قد يساعدك كثيرا ، سأعرفك على طبيب نفسي أثق بهِ كثيرا ...
- لما لا تحدثني عن أيام الجامعة يا نبراس؟
دق الوله فوق ترانيم صدر نبراس ، وركضت الذكريات كسرب نمل يجتاح جسد نبراس وينهش به!
ابتسم بمرارة :
- لا أريد رسم الماضي لكِ ، أفضل أن تتذكريه بنفسك
أجابته بجرأة:
- أشعر بالدفأ قربك !
جف حلق نبراس من المرارة واليأس:
- يوما ما ستتذكرين كم كنا أصدقاء رائعين
نظرت له مليا وأخذت تتفحص ملامحه بدقة ، تشعر أن ملامحه حفرت في قلبها من قبل ، لا تدري لما كل تفصيلة صغيرة به يجعلها تنساق خلفه دون الحساب لأي شيء ! كل مشاعرها خارج السيطرة وهي في حضرته !!
- ربما لا أتذكر الآن ولكن قلبي ينبأني بقربنا ! تكاد دقاته تصرخ في قُربك يا نبراس
ابتسم لها بعذوبية:
- قد تخوننا ذاكرة العقل ولكن ذاكرة القلب قبضة من زُبر الحديد لا يمكن للزمن صهرها ..

- يرعبني كابوس النسيان ! بت أخشى النوم ! بت أخشى الإستيقاظ من بعد النوم فأجدني عارية من كل شيء! نتضرع إلى الله أحيانا بأن يصيبنا بالنسيان ، لننسى ذاتنا ، وننسى همومنا ، وننسى علقم دنيانا ولكن ما إن تصحو وتجد ذاتك عارية من كل شيء ! مجرد من كل سبل الحياة ، تقف كما ولدتك أمك في صحراء قاحلة من الذكريات ،، ويملأ جسدك الكثير من ندوب غدر الحياة فتعود مجددا لتتضرع بأن تعود لك الذاكرة ! لتسفك ذاك الفراغ الذي يتجول دون رحمة بداخلك ! ذاك الفراغ الذي إجتاحك بعنفوانه السام .. يرتطم عقلك كل يوم فارغا في دوامة الضياع فلا تعود أنت ولا تستطيع العيش بشكل جديد..

- مرام ...

همس بإسمها بكل شوق وكاد ينسى ذاته ويحتضنها :

- أشعر بالقلق حيال ما وصلتِ إليه! وأتعجب من زوجك لترك حالتك تتدهور هكذا ؟! وكأنه يعجبه هذا الفراغ البشع الذي تشتكي منه !

كادت تجيبه لولا أن قاطعها زمجرة ماجد:

- مـــــــرام!

*****

ووقعت فريسة للنسيان المضنّي ! في الظاهر لا أتذكر
شيئا ولكن في الواقع قلبي ما زال يتذكر كل وجعي !!

الفصل السابع عشر

كدت أنفجر بمشاعري كلها ، أصارحه أن هناك في القلب شيئا يناديه ، أن أواجهه ، أسأله ولا أجعله يبرح مكانه من دون أن يبوح لي بكل الأسرار ! ولكن كالعادة فاجئني ماجد ، حين إلتفت إليه وجدت عيناه كالثور الذي قارب على الهجوم . خشيت من عصبيته المفرطة وغضبه المجنون ، فنظرت بعجز لنبراس ولعيناه التي تشعا تحدي وقوة :

- عفوا يا نبراس ، يجب أن أرحل

نظر لماجد وليده التي أوشكت على تحطيم أي شيء يقع ضحية يديه وقال بسخرية:

- لما تهابينه ؟! لم ترتكبي جريمة ليكون بكل هذه العصبية؟

نظرت له مجددا بقهر وعجز مطبق ورحلت بيأس إلى ماجد ، وما إن إقتربت منه حتى أمسك يدي بكل قوة وكاد بسحق أناملي الضعيفة بين أنامله ، فصرخت متأوهة:

- آآآه ماجد ، لما تمسكني بهذا الشكل

أصطكت أسنانه ببعضهم البعض:

- كيف تسمحين لنفسك بالخروج دون علمي ! وكيف تسمحين لنفسك بمقابلة الرجال !

- رجال ؟ إنه صديقي

- كان بالماضي ، وأنتِ الآن زوجتي .. أنتِ ملكي أنا فقط
وقفت عن السير معه وأردت أن أحرر يدي وأفلتها ولكن قوة وجبروت يده كانوا الأقوى ، فصرخت في وجه:
- قف عن معاملتي كهرة تمتلكها أو إبتعتها من السوق ! لست عبيد لك يا ماجد .. أصبحت أهابك وأصبحت تخيفني بشكل مذري ..
- منذ متى أصبحت هكذا ؟! حين ظهر هذا ها !! هيا أجيبي
- ولما يمتلكك الجنون حين تراه ؟ لما تصر دوما على قذف الإتهامات ؟ هل تعلم شيئا عنه في الماضي؟ لما تغار من جلوسي معه ! إنه صديق قديم وشعرت بأني أريد أن أتذكر الماضي عبر أثيره ! فلما يصابك الهوس حين ترى ذلك؟!
- لستِ مريضة ! أنتِ بخير وذاكرتك عادت لكِ وحمد لله ، فلما تنساقين خلف الهراءات دوما؟! ويمتلكني الجنون لأن سبق وأخبرتك لما تعود ملكيتك! ولن أسمح لقوة على الأرض بأخذك مني ! حتى لو قادني إلى القتل!!
ماذا ؟! يا إلهي ، القتل ؟؟ إنه إمتلأ بشبق العته ! لم أعد بأمانٍ معه . ولكن هل كنت يوما أشعر بأمان بين أحضانه ؟ أحضانه كلها سقيع من اللاعدم ، وكلما إحتضنني أكثر كلما انزلقت في حفرة لا يوجد بها ضوء واحد للعالم .. عالمه الذي يحاول نسجه حولي مليء بالثقوب التي تزيد من عالمه بشاعة وحريتي منتهكة بين ضلوعه .. وفي حضرته لا أكون أنا كما أكون مع نبراس صديقي ! في حضرته يمتلىء قلبي بالرعب ، وهواجس الليل تزيدني إختناقا .. لا أعتقد إني أحببته يوما ! فالحب لا يحتاج إلى كل هذا التعب والإنهاك .. الحب أسهل من كل محاولته تلك لإقناعي به ! قلبي لا يدق وأنا بين يديه ! لا يرتجف جسدي حين تلامسني أنامله سوى تقززا وإشمئزازا ! الحب

كرةٌ من لهيب ساحق ترتطم بقلبك فتضرم نيران الملحمة بداخله وهذا لا يحدث معي بجانبه . الحب هو أن تلهث شفتياي اليتيمتا في ليل العشاق لشفتاه فأرتوي من نجوى الهوى.. لم أحب ماجد يوما ما ولربما في الماضي كنت أحاول الهرب منه ! لذلك يحاول قلبي تذكيري كلما إقترب مني !!
إنسقت خلفه بعد تفوهه بمكنونه المخيف ، لم أرد أن ألفت أنظار نبراس إلينا ، وما إن دخلنا إلى الشقة حتى صفعني مجددا ! يا الله ! مرة آخرى صفعني ؟! من يظن نفسه ؟ كيف يعاملني هكذا وأين أنا في منعه ؟؟
نظرت له بقسوة هذه المرة وصرخت به كالمجنونة:
- من تظن نفسك !
إقترب مني كالمجنون وأمسك رقبتي وكاد يخنقني ، شعرت بالخوف الحقيقي :
- لن أسمح لكِ بالتلاعب بي ، لن أسمح لكِ بعد عام ونصف أن تهدمي إمبراطوريتي معك سعيا خلف نزق لغوك !! هل فهمتي !
مسحت دموعي ونظرت بتحدي:
- لست دميتك! أنت مجنون ..
حاول إحتضاني بالقوة والإجبار ، كنت أرفص بين يديه كالعصفور الجريح الغير قادر على الطيران ، كسرت جميع أضلعه وبات أسير صياده ! همس بعنف:
- أحبك كمن لا أحَبَ من قبل.. ونلت عليكِ ، لذا مهما فررتي فالنهاية في أحضاني ! شرقا أو غربا ، شمالا أو جنوبا فكل مرة ستجدي حضني هو النهاية .. فإستسلمي يا مرام ولا تخرجي ذاك الأخبل الراكد بداخلي لسنين طويلة!!

*****

دخلت إلى الشقة التي إستأجرتها مع حذيفة منذ وصولي إلى اليونان وأخذت ألعن وأسب الحظ الذي جعل هذا الكلب يتحكم في حبيبتي فيشرع ويذرع في إيذائها نفسيا وجسديا .. كدت أهجم عليه وأنهشه ولا أتركه إلا والموت يحلق فوق رأس طيره ولكن من أجل مرام قلبي وقفت عاجزا .. هذا العدو الجديد منح نفسه حقا في السيطرة عليها لأنه زوجها ! إستغل ضعفها ونسيانها ومرضها وتزوجها ! يالك من ماكر يا ماجد..

مازلت أذكر حين أتت لي يوما مرام وجلست شاردة مهمومة..

- ماذا بكِ حبيبتي ؟
- ماجد إبن صديق والدي
- نعم أعرفه ولكن لا أحبه

نظرت لي مرام بكل إندهاش:

- لماذا ؟
- لا أعلم ، أشعر بمكر فظيع داخل بؤبؤ عيناه ولكن ما به ؟
- اليوم ذهبنا جميعنا إلى منزل والده كالعادة ، بطبعه هادىء ولا يحب الإختلاط معا ، دوما مع حاسوبه الشخصي
- حسنا ؟
- ولكني اليوم وجدته لا يتركني ، أينما ذهبت

احترق قلبي بنار الغيرة :

- حسنا وماذا بعد ؟

نظرت لي مرام بكل براءة ، هي تعلم أن الغيرة دبت بأوصالي ولكنها لا تريد إخفاء أي شيئا عني :

- وأعترف لي بحبه ، إنه يحبني منذ ان كنا صغارا ولم يقوى أبدا على مصارحتي

إشتطت غضبا ومرارة:

- واليوم ! إستطاع ؟! ما هذه المزحة السخيفة يا مرام؟!

- نبراس حبا لله إسمع باقي الحديث !

- حسنا حسنا أكملي

- قلت له يا ماجد أقدر مشاعرك ولكنك تبقى في النهاية أخي

- وماذا قال؟

- بكى أمامي مثل الطفل ! لوهلة أردت أن أحتضنه كطفل صغير يبحث عن أمه وظن أنني والدته ! تائه شريد وعاجز .. أخذ يتحدث عن وحدته طيلة حياته وكيف إنني متنفسه الوحيد الذي استطاع كسبي من العالم الخارجي..

- أظنه غير عاديّ ، يعاني من مرض نفسي ، وحدته هذه مريبة وإبقائه دوما بعيدا عن العالم يخيف أكثر

- هذا يا نبراس نتيجة تربية الخالة شيخة ، إبنها الوحيد فأرادت أن تخبأه عن العالم كله حفاظا عليه ولكنها كانت تهدمه لا تبنيه .

إقتربت منها ومسكت أناملها الرقيقة ولعبت بخصلات شعرها المموجة والسوداء كسواد الليل وتغزلت بعيناها:

- كوني على حذر منه ، الآن تلك المسافات القريبة بينك وبينه يجب أن تبتعد عما كان في السابق

نظرت لي بكل الرقة المتواجدة في الكون:

- لا تخشى ، صارحته بحبي لك وأننا ننتظر الوقت المناسب لتقدمك لي

وطلبك للزواج بي

- وماذا كان ردة فعله ؟

- مسح دموعه وابتسم وتمنى لي الخير !

صحوت من شرودي وضحكت كالمجنون ، هههههه أي خير هذا الذي تمناه يا مرام ، لقد كان يضرم لي الشر دوما ، إنه يكرهني ويمقتني ، يعلم بأني الوحش الذي سيسلب منه الحياة .. أنتِ الحياة يا مرام ولكنك من حقي أنا ولستِ من حق هذا المجنون الذي يعلم الله وحده الآن ماذا يفعل بكِ .. أدعو من الله أن يبقيكِ في سلام .. لن أقف مكتوف الأيدي كثيرا ، من غدا سأحجز لك موعدا مع طبيب نفسي ..

*****

ركض طلال بكل لهفة وخوف على الفندق الذي أشارت له العنود في رسالتها النصية ، ظل يتصل مرارا وتكرارا ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل .. وما إن وصل إلى هناك لم يعرف كيف يتصرف ، كالمجنون الصريع ينظر يمينا ويسارا ، أين يذهب وإلى أين يتجه .. أخذ يفكر سريعا فذهب إلى الملهى الليلي القابع بالفندق ودخل سريعا وهناك رأي العنود تجلس تبكي ورجلا كبيرا يحاول أخذها بالقوة معه ، لم يرى ولم يتحكم بنفسه وسريعا ما هجم عليه ومنحه الكثير من اللكمات القوية وبصق على وجهه وأخذ العنود وركض بها إلى الخارج سريعا .. سار بها إلى البحر وهي تبكي وتتشنج ونظر لها بضعف:

- ماذا حدث يا صغيرتي؟

ظلت تبكي وتنتحب دون أن تسيطر على نفسها

فقام بإحتضانها بخوف وربت فوق ظهرها:

- حدثيني ماذا حدث لكِ يا العنود؟ من هذا وماذا كان يريد وأين والدتك من كل هذا ؟

نظرت له برعب وكره :

- أريد أن أحادث مرام

- مرام؟! أختك؟

- نعم يا طلال ، اتصل بها .. ارجوووك

كانت تبكي كالطفلة مذعورة وترتجف من أخمص قدميها وشعرها المتدرج منثور فوق قسمات وجهها بشكل عشوائي وعبائتها الباهظة تخفي تحتها ثوبها القصير العاري .. منحها طلال الهاتف ، فامسكته بيدها الباردة كالثلج وطلبت الرقم التي كانت تحفظه عن ظهر قلب.. وما إن أجابت مرام ، أخذت برهة من الوقت حتى تصرخ متحشرجة باكية:

- مرام أرجوكِ عووودي إلى المنزل يا مرام

- ألوو ؟ من معي!!

- أنا العنوود يا مرام ، العنود أختك ، عووودي يا مرام حبا لله ، أختك اليوم كادت أن تضيع .. عووودي وأنا سأعيش الباقي من عمري خادمة تحت قدمك ولكن لا تتركينا لها يا مرام ، ستقضي علينا واحدا تلو الآخر ..

تجمدت وصعقت مرام حين علمت أن المتصل هو العنود ، كادت أن تسألها ما العلة بها ، ما الذي يبكيها هكذا وما الذي جعلها تخترق جليد الصمت بينهم وتتصل ترجوها بهذا الشكل المزري ولكن هجمات شرسة متتالية تمتزج بأصوات صراخ وأصوات ضحكات وأصوات بكاء لا تستطيع مرام التمييز بينهم ، صرخات عالية جدا تكاد تفتك برأسها ، مسكت مرام رأسها بقوة خوفا من أن ينفجر ، قالت العنود:

- مرام هل أنتِ معي ؟؟؟ مراااام

حاولت بإعياء شديد:

- نعم معك

- أعلم بأننا في السابق لم نكن أبدا قربين إلى البعض ولكن أنا تغيرت كثيرا يا مرام ، والله تغيرت ، لم أعد تلك الفتاة المتعجرفة المغرورة ، تغيرت يا مرام وسأدافع عنك وعن كل حقوقك ، لن أقف في صف والدتي يا مرام ! أنتِ والدتي وأنتِ من تستحقين ذاك اللقب عنها ولكن حبا لله عوووودي ..,

انهمرت دموع مرام في صمت:

- ماذا حدث لكِ يا صغيرتي؟

- باعتني أمي يا مرام ، اتفقت مع خالتك العاهرة الهتون على بيعي كسلعة للرجال من أجل حفنة من الأموال ! لم يكفيها كل ما تمتلك ، لم يكفيها ثروة أبي الطائلة وباعتني

شهقت مرام:

- ماذا ؟؟؟؟؟

- فقط عودي وسأخبرك بكل شيء

وفجأة انقطع الاتصال ، نظرت كالمجنونة لطلال:

- ماذا حدث؟ أين مرام؟ أين ذهبت

نظر طلال بشفقة:

- انتهى الرصيد يا صغيرتي

وأخذها بين أحضانه وصرخ صرخة مكتومة ، يا إلهي بالسابق كان يخطط للإنتقام من أخيها فيها واليوم يريه الله ماذا كاد أن يفعل بها ، بتلك الصغيرة ، تلك الضعيفة ..,, هدأ من روعها ومسح دموعها :

- أين هاتفك؟
- أخذته الهتون مني عنوة ..
- اتصلت بكِ كثيراا ولولا رسالتك لكنتِ في الضياع.. قصي لي ما حدث معك
- حين ذهبنا إلى هناك قالت لي الهتون بأنه لا داعي من ارتداء العباءة فأخبرتها بأن ثوبي عاري وقصير ، فضحكت ضحكة مخيفة وقالت بأن هذا ما تريده هي ! اندهشت وخشيت ثم وجدت رجلا يرتدي بدلة سوداء وفخمة وإقترب منا وسلم على الهتون وقبل يداها ونظر لي بنظرات كريه ومقززة يا طلال ، آآآآآخ يا طلال .. لو تدري ماذا فعلت نظراته لي وكيف مستني بسووء !!
- وماذا حدث بعد ذلك؟ وأين كانت والدتك؟
- سألت الهتون أين والدتي وهل لها علم بذلك ، أخبرتني بالفاجعة ان والدتي هي من نظم هذا الموعد وإنها على علم بكل شيء وإنها ستوافينا بعد قليل ، علمت بأني وقعت فريسة للهلاك ، لذا أول شيء خطر ببالي ، أن أرسل لك رسالة نصية لتنقذني .. وحين رأتني الهتون أعبث بهاتفي ، تقريبا خشت من محاولاتي للاتصال بأخي أو أبي ، فسلبت مني الهاتف عنوة..
قبل طلال رأسها بخوف وبحب شديد وحمد الله في سره على إنه إستطاع إنقاذ صغيرته من بؤرة الضياع ..
- العنود
- نعم
- قريبا سينتهي كل ألمك .. قريبا جداا .. فلا ترتعدي صغيرتي
ومن ثم أدار محرك سيارته وإتجه إلى منزلها لتذهب ..

*****

إطمأن عليها طلال واتصل برجال وقعوا بطريقه يوما ما وإتفق معهم على خطة لتزيح خالد من طريقه للأبد وليستطيع هو بعدها الزواج من العنود دون أن يقف له خالد عقبة في حياته .. وبعد ساعتين تقابل معهم عند البحر واستلم ما طلبه منهم ومنحهم المال ثم ركض بسيارته سريعا قبل أن يراه أحد .. وإتصل بخالد:

- «وينك يا العاني

- «في البيت ، انت وينك مختفي ؟

- «جايلك البيت احين

وانطلق بكل سرعته وقاده الحقد إلى منزل خالد والعنود مجددا .. ركض إلى المجلس الملحق بالمنزل ووجد خالد يشرب الخمر ويشاهد الأفلام على حاسوبه الشخصي .. جلس بجانبه يتسامرن ويضحكن وكل دقيقة كان يراقب طلال مفتاح سيارة خالد وحين وجد خالد يلتفت بعيدا عن المفتاح ، ضغط على زر التحكم بالسيارة وفتحها ثم استأذن سريعا لدخول الحمام وركض إلى السيارة ووضع بحقيبتها ما كان يخفيه في ظهره .. في تلك الأثناء كانت العنود تصلي وتبكي وحين انتهت ، وقفت بشرفتها وظلت تتضرع إلى الله وما إن ألقت بنظرها للأسفل فرأت طلال بجانب سيارة خالد فصعقت وركضت إلى الأسفل:

- طلال !

بُغت طلال وتجمدت عروقه :

- العنود

- ماذا تفعل هنا ؟!

تلعثم طلال ولم يعلم بما يجيبها ولكن صوتا آخر قاطعهم وهو خالد:

- طلال والعنود ! ماذا يحدث هنا ؟؟

خشت العنود وارتبكت قائلة:

- كنت ، كنت أسير بالحديقة ورأيته فظننته سارقا

نظر خالد بريبة وشك لهما ثم قال:

- هيا اصعدي إلى غرفتك ، هياا

وركضت العنود محتارة في أمرها ، لماذا لم يهجم خالد على طلال ؟! هل طلال يعرف خالد!! لماذا لم يصارح العنود إذا ؟؟ إذا أهذه هي كانت الطريقة لطلال سابقا فكان يعرف كيف يتسلل ويضع لها الرسائل وكيف يراقبها عن قرب ! كادت تجُن ولعنت هذا اليوم ومن ما يجره من مصائب ! لقد صدمت من طلال لماذا لم يخبرها بأنه صديق أخيها !! كيف تجرؤ وإقترب من أخت صديقه ؟! إحتدم الصراع داخلها وشُحنت غضبا من تصرفه ، اراد أن يتصل طلال بها فورا بعد خروجه من المنزل ولكنه تذكر بأن هاتفها ليس معها ، فقذف الهاتف بعيدا عنه بعصبية ..

*****

في اليوم التالي صحت العنود على صوت والدتها وهي تقذف بهاتفها لها :

- كيف تجرؤين أنتِ أيتها الصعلوكة على الضحك عليّ !! تلعبين من خلف ظهورنا وتحبين الشباب

نظرت العنود بتحدي وإشمئزاز:

- أخبريني يا أمي كيف سأغدو؟ وانا والدتي من أكفأ سيدات المجتمع عُهرا !

صفعتها نجود بكل قوة وصرخت بها:

- كلمة واحدة تتفوهين بها وستنتهي حياتك كقطعة قماش تعتصر تحت كف رجل أختاره لكِ يا حبيبة طلالوه !

ثم ضحكت باستهزاء وتعالت ضحكاتها وخرجت من الحجرة وأغلقت الباب خلفها بكل قوة .. بكت العنود وركضت إلى صهيب الذي كان يستمع إلى المذياع ، إحتضنته فجأة وأخذت تبكي :

- أعتذر لك يا صهيب عن كل ما بدر مني في السابق ، اعتذر لك يا أخي

تعجب صهيب من العنود ومن حالتها ، فربت على شعرها برفق وبحنان :

- ماذا بكِ يا صغيرتي؟

- صغيرتك أدارت لها الأيام ظهرها ورأت القناع الحقيقي المخيف لهذه الدنيا

- العنود ؟ هل حدث لكِ مكروه ؟

كادت أن تعترف له بكل ما يولج بداخلها ولكنها خشت من تمرد والدتها وقسوتها ، خشت أن تُحمَّل صهيب عبأ أكبر منه ، فيضيع في شتات الخراب بينها وبين والدتها ..

- لا شيء يا أخي ولكن يعاقبني الله الآن على عجرفتي وغروري بالسابق ! فقد كنت ألهو ونسيت بأني فتاة يجب أن تخاف على نفسها وذاتها

قلق صهيب من حديث أخته وخشى أن يكون مسها سوء :

- هل خدعك شاب يا العنود؟ أعلم بأنك كنت تلهو بالسابق مع أصدقائك وتتفاخرين بحب الشباب لكِ ولجمالك

- لعنة الله على جمالي هذا يا أخي ! لعنة الله عليه ، كاد أن يؤدي بحتفي بالأمس بسببه ..

- ماذا حدث؟

توترت العنود واختلقت له قصة عن شباب حاولن التعدي عليها ولكن الشرطة أنقذتها فقال لها :

- لهذا كنت أخشى عليكِ أنا ومرام من طريقة حياتك ..
- لم أولد يا صهيب لأم تعلمني ماهو الصح وماهو الخطأ ، ولدت بين لذة الخطيئة ولم أدري كيف أتصرف
- حاولت كثيرا أن أمد يدي لكِ ولكنكِ ..

بكت العنود أكثر وتشبثت بأخيها صهيب ذاك الذي اتهمته بالسابق بعجزه ! لكن أي عجز كانت تتحدث عنه إنه الوحيد المتبقي في هذا المنزل الغير عاجز أما جميعم فمكبلين عاجزين بأهوائهم ورغباتهم الدنيئة .. ليس العجز هو أن تفقد حاسة من حواسك التي وهبها الله لك ولكن العجز الحقيقي هو أن تمتلك جميع الحواس ولا تستطيع السيطرة عليهم ! فيقودوك كما نفسك الأمارة بالسوء تريد ويسلط الله عليك شر أعمالك ..

*****

الكذب حبل لا يلتف بإحتناقٍ محكم إلا على من يطلقوه !

الفصل الثامن عشر

كنت أغط في سبات عميق ، حتى شعرت بحركة ماجد كالعادة في الصباح الباكر ، أردت أن أفتح عيني ولكن مجددا لا أستطيع التحكم بحواسي ، يا الله يدي جامدة ورجلي أيضا سقيع يكبلهم ! وشيء ثقيييل يجثم فوق صدري يكاد يكسره ، يزداد ثقلا وثقلا وكأنه حقا يريد تكسير ضلوعي وتهشيمي ، أشعر بجسدي يتحول لونه إلى الأزرق ،آآآآآه حشرجة مؤلمة تتصاعد حولي كطوق يكبلني وأنفاسي تكاد تضيع هباءا .. لا أشعر بأكسجين حولي وبينما انا أسيرة ألمي ، بدأ رأسي هو الآخر في الدوران وصداع رهيب يفتك عضلاته ، يكاد يتصدع وينشق إلى نصفين ، صرخة مكتومة من الأعماق جالت داخل كهف جسدي المطبق الشليل وصرخات بدأت أميزها ، صوت الساحرة الشريرة «مانويلا» وهي تصرخ :

لن تتزوجيه ، سأصحو أنام جاهدة حتى أدهس غرامك هذا ! كما دهستي»

» رغبتي في تزويج ابني العاجز لابنة خالتك عهد

كلماتها كأفعى تعتصرني وأنا شليلة ليس بإستطاعتي مقاومة شيء ولا إستطاعتي إيقاف تدفق تلك الصرخات داخل عقلي .. صورا تمر في شكل دوامة سريعة لا أرى منها غير وجوه قبيحة تلتف حول رؤيتي وأنا مغمضة العين تخنق بصيرتي .. لوعة تمزقني إربا وتسفك بأنيابها جسدي دون رحمة .. مجددا صرختي وانا أقول لها:

من أنتِ لتتحكمي بحياتي ، لن أسمح لكِ ، سأفعل ما يحلو لي ولو أطبقت» «السماء فوق الأرض

لتأتيني كلماتها مجددا على هيئة فحيح سام ، يجعلني أنزف وجعا من كل عضلة بجسدي :

إن وقفتي أمامي وتحديتني أيتها الصعلوكة ، سأسحقه وساجعلك تبكين » » عمرك كله قهرا وألما

تلك الجملة كانت بمثابة مطرقة تدق بكل قوة في رأسي ، فاستيقظت أصرخ جاحظة العين ولكن لا صوت لي ، وما هي الا ثوان حتى خرج ضعيفا جداااا ثم دوى في أرجاء المنزل ، مما جعل ماجد يركض ذعرا لي ، نظرت برعب:

- قل لها تبتعد عني ، أخبرها يكفيني من متاعب ، أخبرها يا ماجد ، خذها ، خذها بعيدااا

- ماذا حدث وعن من تتحدثين !

نظرت له وبدأت أعي اني أحدثه عن خيالاتٍ في عقلي أنا فقط ، ركضت وارتديت ثيابي ولم أعر أي إهتمام لأسئلته السخيفة ودفعته بكل قوة وبكل كره لي تجاه نجود عن طريقي واتجهت للعنوان الذي أخبرني به نبراس .. كنت شاحبة الوجه وشعري المموج مبعثر وكأن لتوي نجوت من الموت ، كنت ارتدي عبائتي السوداء كسواد أيامي الساكنة بخباياي ورجوت السكرتيرة أن تحدد لي موعدا عاجلا لمقابلة الطبيب والذي اكتشفت إنه طبيبي الذي كان بالمشفى .. نظر لي نظرة سريعة وقال:

- مجددا إضطرابات في النوم

سال زبدي كالمجنونة ، فمسحته ونظرت له بنظرات جوفاء:

- اليوم شعرت بأني انازع الموت وذاك الصداع العقيم لا يبرح من رأسي ،

كاد يشقني إلى نصفين !
- حسنا اهدئي قليلا ، يبدو عليك الانهاك
زفرت قليلا وأديت تمارين الاستنشاق الذي طلبها مني الطبيب وشرعت له في قص ما يحدث لي وأخذ يدون كل تفصيلة ويراقب كل حركاتي من أصغرها إلى أكبرها ولما انتهيت ، ابتسم لي بهدوء:
- قص لي عن حادثتك التي أخبرني زوجك عنها
نظرتُ بعيدا وبدأت دموعي بالانهمار ، لا أعلم لماذا ولكن شعرت بأن الروح فاضت بي وأن ما عاد لي شيء سوى البكاء كالأطفال :
قدمت هاربة من البحرين إلى اليونان ، لا أتذكر من ماذا تحديدا ولكن بإعتقادي من زوجة أبي فهي متسلطة جدا ..,
- كم أخ وأخت لديك؟
- انا وخالد وصهيب والعنود ، أربعة
حدق الطبيب بي قليلا ثم قال:
- متأكدة؟! فقط؟
- نعم هؤلاء إخوتي أحفظهن عن ظهر قلب ، بل هم أبنائي أيضا
- حسنا ثم ماذا حدث ؟
- بعد يومين من قدومي لا أتذكر مرة آخرى ماذا حدث ولكن يبدو أن أختي «الصغيرة وأخي صهيب تشاجرن مع زوجة أبي الساحرة الشريرة «مانويلا
ضحك الطبيب على ما تفوهت به وقال لي:
- كم أنتِ بريئة يا مرام ، أكملي .., ثم ماذا ؟
- أحدهم كان يستنجد بي فركضت ، لا أذكر مما كانوا يستنجدون ولكني ما زلت أذكر نفسي وأنا أركض هائجة وخائفة وكأن هناك أحدا سيبتلعني

، فقدت جميع حواسي وأنا أركض ، فقط صورا ما تتقافز يميني ويساري لحياتي كلها شوهت منظر الطريق وضوء عالي ، عالي جدا كان يقترب مني بشدة ، أراد إبتلاعي فلم أرى حافلة كانت تعبر الطريق فقطعت عليها الطريق وإرتطمت بعيدا وإرتطم رأسي بكل قوة في الحائط ومن ثم صحوت ووجدت ماجد بجانبي..

- هل كان زوجك حينها؟

نظرت إليه وكأني أنظر إلى فراغ هائل:

- لا ولكنه كان خطيبي لم أصدقه ، ولكنه أراني خاتمه الذي أرتديه وحروفه حفرت بداخل هذا الخاتم ..

- لما لم تصدقيه ؟

- لأني لم أتذكره ! اعلم إنه ماجد إبن صديق والدي ولكن لا اتذكر كيف احبني ، كيف احببته ! هل أنا حقا أحببته ؟!

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- أخبرني ماجد أن كل شيء بالبحرين عاد هادئا وجعلني أحادث أخي صهيب الذي أكد لي بالفعل بأن كل شيء على ما يرام وأن بقائي الآن باليونان أفضل من العودة ..

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- أسرع ماجد بإجراءات زواجنا ، كنت أشعر بأني خاضعة له دوما ، لا أقوى على فعل شيء !

- ومن ثم ظهرت إضطرابات النوم ؟

- نعم نعم ، بدأ ذاك الشيء الذي يجثم فوقي يزداد طباقا فوقي ، المجنون يريد قتلي !! يريد قتلي دوما ولكن الله ينقذني في آخر دقيقة تضيع فيها

انفاسي للأبد ..,

- يبدو انك تعانين يا مرام من الجاثوم !

- ماذا ؟

- مرضا نفسيا يلقب بالجاثوم وهو عبارة عن شلل النوم ، اضطراب قلقي ينتاب المريض نتيجة تدهور نفسيته أو ظروفه المحيطة به وهو ما يجعلك تشعرين بالإختناق أثناء النوم وسحب روحك للأعلى ويصاحبك أيضا شلل في الحركة ولكن كل هذا لا يستمر إلا سوى دقائق ..,

- ولكن لماذا يأتيني؟

- هناك علةٍ تخشين مواجهتها يا مرام وتعملين دوما على كبحها في قاعك الداخلي ، اتركي العنان لكل ماهو بمكنونك أن يخرج ، حتى أستطيع أنا وأنتي نمد العون لمرام المكبلة بالداخل والتي تحاول الخروج بصور عديدة ، أبرزها حاليا الجاثوم ..,

- هل هناك علاج له؟

- بالطبع ، بدايتها زيادة ساعات النوم ، وممارسة الرياضة ، أما العلاج النفسي فسأفعله كل ثلاثة أيام بالأسبوع معك .., ما رأيك؟

ابتسمت له بوهن:

- شكرا لك أيها الطبيب

- حاولي يا مرام أن تغيري من شكلك قليلا ؟ هل فكرتِ في تغير لون شعرك مثلا !؟ لعل هذا يحدث تغييرا في حياتك

تلك الجملة جعلت جملة ماجد التي دوما يقولها لي تقفز في عقلي « أحب سواد شعرك يا مرام جدا « فابتسمت قليلا ومن ثم شكرت طبيبي على تلك النصيحة .

خرجت من العيادة وكأن هناك قيدا من القيود ذهب ، لقد وضع الطبيب يده على الجرح النازف بداخلي ! إذا سيبدأ علاجه وسيذهب هذا الفراغ الساكن بداخلي ..

وبينما كنت أسير حتى وجدته يقف بانتظاري على الجهة الثانية أمام الطبيب ، يالله ! كيف عرف بمكاني ، ركضت إليه بهلفة أسأله:

- كيف علمت بمكاني ؟

نظر لي بعيناه الحالمتين وأزاح غُرة كان يلعب بها الهواء ووضعها خلف أذني ، لمسته الدافئة كانت تشعرني بالاطمئنان :

- منزلي هنا ورأيتك في الصباح وأنت تركضين كالشبح باتجاه عيادة الطبيب النفسي

ضحكت لتصويره ، فتشبيهه لي كان الأبلغ لمظهري :

- ولماذا لم تصعد إلى العيادة ؟

- فضلت إنتظارك هنا ، حسنا يبدو وجهك الآن افضل من قبل ، فما رأيك بفطور يناسب وجههك الملائكي

مرة آخرى لا اعلم لماذا كلماته على الرغم من بساطتها تصيب بدقة أوج قلبي ! هل يمكنه أن يكون زوجي بدلا من ماجد!! يا إلهي ماذا حدث لي ، إنه ينتظر جواب مني .. نظرت له بتوتر :

- نعم يمكننا

- أحب إحمرار وجنتيك !

ماذا دهاه اليوم ، لما يصر على إذابتي بنعس كلماته ! أشعر بصهد يحرقني من الداخل ، فقت من شرودي على ضحكه:

» - «فديت اللي يستحون

» ثم سمعته يهمس « فديتك يا بعد هالدنيا
نظرت له بخوف ، هل ما سمعته صحيحا أم هذا حلما ورغبة مني في أن أسمع تلك الكلمات منه ! لا أعلم فالواقع إختلط عليّ بالحلم ولم أعد أميز شيئا حولي ، ولكن واقعا كان أم حلما فكلماته أحيت الربيع الذابل بداخلي .

*****

إنتظر ماجد مرام بقلق في الشقة ولكنها تأخرت وأتى موعد طائرة أخته وكان لابد منه أن يذهب لإستقبالها ، وحين رأها وجدها مختلفة كثيرا عن السابق ، تحولت من فتاة بريئة إلى فتاة تحاول بشتى الطرق أن تظهر بمظر شاب ! «تي شيرت « أسود اللون وسلسال فضة وشعر قصير مصبوغ باللون الأسود لأنه على ما يتذكر فقد كان شعر أخته بني اللون وعينان غارقتا بالكحل المخيف و»حظاظات» بيدها اليسار وخواتم تملأ يدها الآخرى وأصبحت تسير كالشباب .. نظر لها بصدمة:

- ماهذا يا ريم؟

أجابته بصوت غليظ اعتادت في الآونة الاخرى على التحدث به:

- ماذا !
- لما تبدو لي وكأنك شاب وليست فتاة !

اجابته بعدم إهتمام :

- وماذا في ذلك؟!
- ريم ماذا دهاكِ وكأنك تفخرين بحالك ؟!
- نعم ليس لدي ما اخفيه ، لقد أصبحت بوية يا ماجد

احتقنت ملامح ماجد بالغضب وقال لها:

- هيا سيري معي ، وكأنه ينقصني مصيبة آخرى

- أنت من أردتني أن أأتي
- لأرى بأُم عيني ما حالت عليه أمورك ! وأين والدك ووالدتك من كل هذا ؟
- هههه تضحكني يا ماجد وكأنك لا تعلم عن مشغوليات أبي ! وأمي هي أيضا منذ أن أصبح والدي نائبا وهي لا تترك مجلسا من مجالس المرأة وشؤونها وكأنهم سيحلون كل قضايا العالم!

همس ماجد بضيق:

- فالأولى ينظروا إلى إبنتهن وهي تضيع !! ثم يذهبن إلى الجحيم

عاد ماجد ومعه أخته ودعا من الله ان يجد مرام ولكن خابت ظنونه

*****

ضحكت من قلبها مجددا محبوبتي لتردفني للمرة المليون قتيلا في روح ضحكتها ، كنت أود أن احتضنها وأسرقها من العالم وأهرب معها ولكن لا ، ليس الآن .. يجب أن تتحسن حالتها ، لن أرتكب جريمة حمقاء في حقها مثلما فعل ذلك المجرم ماجد! سأترك ذاكرتها تعود لها وتختار وإن رفضتني سأدعو لها بالسلام من كل قلبي.. حادثتني حوراء الآلآف المرات ولكن لا امل مما ترجوه مني ! قالت لي بأن عمي أقام الحرائق في المنزل وأن جميع أعمامي غضبن من والدي ومن فعلتي وأني بت ملعونا الآن هناك .. هههه أنا ملعونا يا حوراء منذ أن فارقتني مرام والآن حين عثرت عليها وفهمت كل الحقيقة تريدون مني تركها ! أي هذيان هذا سيجعلني أرتكب تلك الخطيئة بحق نفسي وبحق مرام القلب!! نظرت لي مرام ببراءة :

- إلى أين ذهبت؟
- إلى هناك

أدارت ظهرها إلى المكان الذي أشرت إليه بسذاجة:
- أين
- هههههه كنت أمزح ، لم أذهب إلى أي مكان أبعد من براح عيناكِ
تحولت وجنتاها إلى اللون القرمزي فشعرت بخجلها وأدركت ما تفوهت بهِ ، ماذا حدث لك يا نبراس ، يجب أن تنتبه إلى حديثك .. ابتلعت ريقي سريعا ونظرت إلى الساعة:
- يا إلهي ، لقد تأخرتِ يا مرام
وكمن تذكرت شيئا قد نسته قفزت من مكانها وصرخت مذعورة:
- ماجد ، ريم ! اليوم ريم ستأتي ، يا إلهي سيغضب مني جداااا
- انتظري يا مرام ، لا ترتعدي
قالت وهي غير مدركة:
- سيصفعني ، إنه مجنون ، يخيفني
- ماذاااا ! يصفعك؟ هل يعاملك بقسوة!
أدركت واستوعبت ما تفوهت بهِ وقالت مسرعة:
- أخشى أخشى أن يصفعني ولكن ماجد حنون ، يجب أن أرحل لدي ما أفعله قبل أن أعود إلى المنزل
وركضت من أمامي وتلاشت سريعا كسراب يظهر من بعيد وحين تقترب منه يتبخر مختفيا !!

*****

عادت مرام إلى المنزل وهي قلقة ومتوترة وتخشى من ما سيبدر من ماجد ، دخلت الشقة فوجدت ريم وكأنها تحولت إلى رامي !! وليس إلى ريم وبجانبها ماجد يشاهدان التلفاز .. ابتسمت مرام بخوف واستقبلت ريم

بحفاوة ثم نظرت إلى نظرات ماجد التي لا تعبر عن شيء :
- أعتذر لقد كنت عند الطبيب ثم ذهبت وقصصت شعري قليلا كما غيرت لونه ، مما استغرق مني وقتا كثيرا
نظر لها ماجد بشك:
- لما فعلتي هذا ؟! لقد كنت أحب سواد شعرك
- قال لي الطبيب ربما تجديد روتين حياتك يجعلك تتقدمين في طريق شفائك
- لعنة الله عليه !! ماذا فعلتِ بنفسك وبشعرك الذي أعشقه يا مرام !!
شعرت مرام بزهو إنتصارها ، لقد باتت في الآونة الاخيرة تكره كل شيئا فيها يحبه ماجد!!
وعاد و نظر لها بشك أكثر:
- وهل رأيت أحدا ثاني؟!
- آآ حسنا آآ نعم ، أثناء خروجي من عند الطبيب قابلت نبراس
وما إن لفظت الاسم حتى نظرت ريم بصعقة إلى ماجد مما لفت نظر مرام لها فقالت:
- هل هناك شيئا يا ريم؟
فقال ماجد سريعا قبل أن تتفوه أخته:
- لا شيء حبيبتي ، هيا إذهبي وبدلي ثيابك لنخرج كلنا سويا ..
وما إن ذهبت حتى نظر ماجد لأخته ريم بنظرات مخيفة وهمس بصوت منخفض:
- حاولي نسيان الماضي هنا ! ففي اليونان الماضي لعنة لا نقترب منها ! حسنا أومأت برأسها بخوف شديد:

- حسنا

ونهض هو الآخر وذهب إلى الداخل ، إقترب ماجد من مرام ، كانت تمنحه ظهرها وكانت تحاول فك جرار ثوبها ، فإقترب هو وساعدها في ذلك ، ثم طبع قبله فوق ظهرها مما جعلها تتوتر أكثر ، أحاط بذراعية خصرها وأقترب بأنفاسه من أذنها وأغمض عينيه وهمس:

- أحبك جداااا ، وأغار عليكِ وأريد أن أنجب الكثير من الأطفال منك تلعثمت وتوترت مرام وحاولت الإبتعاد عنه ولكنه كان يحاوطها بكل قوته الرجولية ، لعب بخصلات شعرها بأنفاسه التي بدأت تضييق الحصار عليها:

- هيا يا مرام ، دعينا نفعلها ، دعيني أرتبط بكِ إلى الأبد ، هيا غيري روتين حياتنا سويا كما غيرتِ لون شعرك!

بدأ قلب مرام يدق رعبا ، فهي تعلم الآن أن أي حركة منها قد تزيد غضبه وقد تجعله يشتاط غضبا فيأتي ما لا يُحمد عقباه .,, حاولت بكل رقة الإبتعاد:

- ماجد أختك تنتظرنا بالخارج

- أختي معها هاتف ، فتأكدي إنها غير مكترثة بنا الآن .,

ابتلعت ريقها بصعوبة:

- حسنا ، أريد تغيير ثيابي

- وأنا أريدك وأريد اطفالا مثلك ، يشبهون نقائك وطهارتك ، أولستِ أنتِ زوجتي ! إذا فلنقم شرع الله

ثم دفعها بكل قوة إلى الفراش فهلعت وبدأ الصداع يشتد مجددا في رأسها وشعرت بأن كل ذرة بجسدها بدأت مجددا بالشلل ، وكلما إقترب ماجد خطوة منها ، بدأ الصداع يزداد وكأنه منبه للخطر ، يريدها أن تقاوم ولكنها

غير قادرة جسدها كله مشلول ، أخذت تشهق بصمت ، قوة من الداخل تهتز ولكن من الخارج جامدة كصخرة ..

*****

بدأ ماجد في تقبيل وجنتاي الغارقتان في الدموع وانهال كوحش مفترس على شفتاي وأخذ يعتصرهم بقوة ، صراخ كثير آتى من بعيد وقليلا بقليل بدأت أُميزهم ، أغلقت عيناي بقوة رافضة واقعي المفترض بعنوة فسمعت صوتا لطفل يضحك لي وألعب معه ، من هذا ، آآآآآآخ جسدي يؤلمني ، يبدو أن الجاثوم هاجمني وأنا يقظة ! ثم صورا آخرى أتت لي أنا ونبراس ، تارة نضحك سويا ، وتارة نلعب ، وصورة آخرى له وهو يهمس لي :

»أحبك يا بعد هالدنيا «

وكأن صرير رياح عاتية قفز من صحراء قاحلة قفز وهجم فوقي ! حررني من الجاثوم وحرر ذاكرتي ، صورة تلو الآخرى تقفز .. مشهد لي مع نبراس وانا أبكي:

- تهددني نجود يا نبراس بعدم تزويجنا ، فماذا نحن فاعلين

- من تظن نفسها تلك العاهرة ! ساهددها بفضحها أمام والدك المتعجرف

ثم صورة لمشهد آخر وأنا ونبراس بالجامعة نضحك سويا ثم يأتي إبن عمه :

- لماذا تجلس مع تلك الفتاة يا نبراس

- ومن أنت لتحدثني هكذا يا جعفر

- هؤلاء وطائفتهن لا يردن أن نكون معهم في الدولة ويتمنون لو أن ثورتنا تفشل

أجبته بحقد وكره:

- ثورة خادعة ، إن كنت تريد حقك فاطلبها بالحسنى ، لست ضد أن

تطلب حقوقك ولكن لا تخرب الوطن وتقول لي حق ! لا ياتي الحق بإنهاك الوطن!

- هل هذه من تريد الزواج بها ! هل ترغب في إنجاب أطفال يشوهون نسل طائفتك

- قلت لك مرارا وتكرارا لا تتحدث عن مرام بهذا الشكل

- لن تتزوجها ، لن يتركك والدي لو أقمت الدنيا وأقعدتها

أجبته مجددا بضغن شديد:

- اسمك ملوث يا جعفر بعدما حدث ، لقد بعت نفسك لوطن آخر فلا تنادي بحقوق هذا الوطن ! لقد نادى نبراس مثلك بحقوق كان يريدها ولكنه لم يخرب في وطنه بل سعى بشكل آخر ! سعى للأفضل

وسرعان ما تبخر المشهد وإقتحم ذاكرتي مشهد آخر :

اتصال من حوراء تريد مقابلتي بمنزلهم ، فذهبت إليها لأجد صراخا بين نبراس ووالده :

- لن أزوجك واحدة تكبرك ! ألا يكفيك إنها من عائلة عدوة لنا وأيضا تكبرك ! ماذا ستفعل حين تشيخ هي قبلك

- أحبها ولا يهمني العمر الذي تتحدث عنه ، كما حلل الله الزواج بها

- ستكبرك وستكبر بينكم المشاكل ، ستشعر إنها تسبقك وستسابق الزمن من أجلها وستتعب بعد قليل ، لا لن أتركك تهدم حياتك بنفسك ..

- كل هذا هراء من أجل نفسك وذاتك ! من أجل كبرياؤك !! من أجل لا تطلبها من عدوك الأكبر

نظرت حوراء إليّ وقالت:

- هل يعجبك هذا التصدع الذي حدث بأسرتي ومن أجل ماذا ؟! أُقدر حبكم

ولكن هناك الأكثر من الحب يا مرام ! هناك أسرة ستشب بها الحرائق من أجل حبكم الملعون !! إتركيه يا مرام .. أرجوكِ سافري إلى بعيد ، إلى أبعد مكان في العالم ، إهجريه وإجعليه يكرهك حتى لا يخسر نبراس عائلته كلها !

كان ماجد قد فقد سيطرته وبدأ الغوص في عالمي ، مسك شعري بين راحتي كفيه ، يريد لو يغوص بداخلهم ، يعشق ويدمن رائحة الشامبو الذي استخدمه ، بنكهة الفواكهة الاستوائية ، نسيمه يشعل النار أكثر داخله ، بدأت أنامله تنحت جسدي ، هو يرى بأني من حقه ويريد التمتع بي ! شئت أم أبيت فأنا زوجته وإن كانت أعلنت عيناي يوما الفراق فلابد من الإحتفاظ بأي ذكرى مني ! ولا ذكرى أجمل له من طفل صغير يشبهني .. صورا تتلوها صورا وصراخ يعلوا فوق صداع رأسي بالداخل حتى جاء المشهد الذي جعلني أرتطم بذاكرتي على أرض الواقع .. وأنا راحلة في المطار بعدما تشاجرت مع والدي وصرخ هو الآخر بي :

<<لن تلوثي اسمي وكل ما بنيته من إمبراطورية في آخر العمر بزواجك من هذه العائلة النجسة >> لملمت أشيائي وجروحي وندوبي وركضت إلى المطار وهناك إتصل بي نبراس ، أخبرته وأنا أبكي :

- سأرحل إلى دنيا جديدة وحدي يا نبراس ، تلك الحرب لم تحرقهم هم ، بل أحرقتنا نحن !

- إلى أين يا مرام؟ لا تهذي وعودي إلى البيت ! سأفعل المستحيل من أجل حبنا

صرخت به صرخة مازالت صداها تستقر بقاع جوفي:

- أأأأأأأأأي حب هذا الذي تحدثني عنه ! حب متعفن لا يقوى حتى على

الاستمرار ليومين ! لا أهلك يحبوني ولا أهلي يحبوك فكيف سنحيا !
- سيرضخون يوما ما إلى الواقع وسيندمون على كل دقيقة إفترقنا بها
- لن ينسوا أبدا أني أكبرك ، سيجعلونك تسابق الرياح وتسابق العمر وتلهث خلفي ! سيحطمون كل أحلامك وأمالك معي فوق صخرة العمر ,, لا تركض خلفي يا نبراس
- أحبك ولا أريد سواكِ ، لا تتركيني يا مرام ؟! هل تظنين بأني بخير دونك؟ إن كنتِ تظنين فسحقا لكِ مثلهم! أنا مجنونك يا مرام ! أنا من ركضت أعواما لاهثا خلف قلبك البريء ! أنا من ملكت الحياة في أقفاص غرامك!
- كل شيء إنتهى يا نبراس ، لا جدوى من البكاء ، لا جدوى من الرثاء ، أنا وأنت متنا ضحايا لتلك الدنيا العفنة ، قتلونا هؤلاء من أجل أنانيتهم ! لا جدوى من أي شيء
ثم وجدته أمامي يبكي كالطفل ! يا إلهي متى آتى هذا المجنون ؟! وسقط تحت قدمي في المطار ، مسك يدي وأخذ يرجوني :
- لا تتركيني ، لا تذهبي ! لا تجعلي اليأس يأكل عشقنا !!
- سنغرق في فيضان مقتهم يا نبراس أن بقينا معا ,, إبتعد عني أرجوك
- جباااااانة
- قل عني ما شئت ولكني لن أنتظر أن أرى عمرك يموت فوق أعقاب قلبي! لن أتركك تحتضر تحت قدمي
- بل إن إبتعدتي سأحتضر !
نهضت من مكاني وأمسك يدي يصرخ وأنا لا ألتفت إليه وأحاول فك يدي من قبضة يده ، حتى تركته يسقط على الأرض خرير القوى !!
ثم صورة آخرى لمشهد آخر لمكالمة من صهيب ، كنت أخبره بأني وصلت

لليونان واطمئنه عن حالي ، حتى سمعت صوت العنود تصرخ باكية وتنتحب:

- صهيييييب أخي أخي أخي تركي يا صهيب

كنت معه على الخط لم يغلق صهيب الهاتف ، سمعته وهو يصرخ رعبا:

- ماذا حدث يا العنود

- الخادمة إنتقمت في تركي من أمي ! وضعته يا صهيب وضعته .. آآآآآآآه يا تركي .. الدم يملأ المكان يا صهيب

- لا أفهم

كنت أصرخ انا الآخرى على الجهة الثانية:

- صهيييييب ، العنووووود ماذا حدث لصغيري ! ماذا حدث يا صهيب ! هل هذه هي الأمانة التي تركتها لك!! لا لا لا لا تررررركي لا يجب أن أعود

ومن ثم صرختُ صرخة قوية جداااا ، هزت أرجاء المنزل ، صرخة أبعدت ماجد بخوف وهلع عنها ، وجعلت ريم تركض داخل الحجرة ذعرا أيضا !!

*****

وعادت حبيبتي إلى الحياة مجدداً ، عادت أزهى وأبهى !!

الفصل التاسع عشر

هاتف طلال العنود كثيرا بعدما أرسلت له رسالة نصية :

لم أتوقع بأنك صديق أخي ، لما كذبت علي؟ لما دخلت حياتي بهذا الشكل؟ » لما جعلتني أحبك وأنت تعلم بأني أخت صديقك ! لماذا لم تخبرني بتلك الحقيقة ؟ بل ماذا كنت تفكر فيه ؟ إلام جعلتني يا طلال أحبك! هل كان هذا رهان لتكسر قلب أخت صديقك!! هيا أخبرني

ظل يتصل بها كثيرا ولكنها لم تجيبه فأرسل لها بجنون:

» ردي يا العنود »

اتصل بها مجددا فأجابته بصوتٍ باكي:

- ماذا تريد يا طلال
- لم أخبرك بأني صديق خالد خوفا من أن تفهميني بشكل خاطىء ! خوفا من أن تظني بأني أريد اللهو معك !
- كاذب يا طلال ، كاذب !! الآن فقط عرفت لما لم تخبرني حين سألتك كثيرا كيف كنت تضع الرسائل لي وكيف كنت تراني !! لأنك خشيت من الحقيقة أن تفتضح!
- والله أحبك يا العنود ! حقا أحبك وأريدك زوجة
- لن أقبل برجل مخادع لم يخبرني بالحقيقة
- ها أنا أخبرتك !

- وماذا كنت تفعل يا طلال بجانب سيارة أخي حين رأيتك؟! هل كنت تضع له هو أيضا الرسائل !!

أجاب بتلعثم:

- كنت أبحث عن سيارتك أنتِ لأضع لكِ رسالة جديدة ، لتشعري بالإطمئنان

- لا أصدقك كيف تجرؤت على إقتحام حياة صديقك الخاصة وأحببت أخته دون أن تخبره أو أن تخبرني !!

- العنود، انسي بأني صديق أخيكِ ، ولكن أحلف لكِ بماذا بأني أحببتك صدقا !!

- كلكم مخادعون !! كلكم كاذبون ، لم أعد أصدق أحد!! ها هي والدتي اكتشفت كم هي مجرد قناع لذئب يختفي وراء سيدة مجتمع !! وأبي قناع لرجل عاقر بالأخلاق ! زاهد بأبنائه !! لم ينجبنا سوى للزينة والمظاهر .. وأنت طعنت صديقك من ظهره وإقتحمت حياته الخاصة وسمحت لنفسك أن تحب أخته ! هل تقبل هذا لأختك ! أخبررررني !؟

- لا لن أقبل ولكن ..

- وأنا لا أقبل أن أكون بعصمة رجل يقبل لي الإهانة ولا يعاملني مثل معاملته لأخواته البنات !!

وأغلقت العنود الهاتف وإنهارت بكاءا على حظها التعيس وظلت تصرخ:

- هيا يا مرام تعاااالي ، أريدك يا مرام ! كفاكِ بعدا كفاكِ يا مرام

*****

خرج طلال من الملهى الليلي وفي يده فتاة آسيوية يرقص معها ويضحك وفمه مليء برائحة الخمر النتنة ، وما إن فتح باب سيارته حتى وجد الشرطة تحاوطه ، نظر لهم بإستعلاء:

- نعم؟!
- إفتح سيارتك
- لماذا ؟
- قلت لك إفتحها !
- هل جننت ؟! ألا تعلم مع من تتحدث ؟!
- لا تتحدث كثيرا وأفتحها سريعا

نظر خالد للشرطي بكل غرور وفتح حقيبة سيارته وبدأ يهاتف والده وما إن فتح الحقيبة حتى صُدم من المخدرات التي تخرج من حقيبة سيارته ، نظر لهم برعب:

- تلك الحقيبة ليست ملكي!
- وماذا تفعل إذن بسيارتك!
- لا أدري
- هيا تعال معنا سنصحبك إلى قسم الشرطة وهناك نعرف كل الحكاية

*****

نصف ساعة وخالد يجيب على كم هائل من الأسئلة ويحاول بكل قوة أن يصمد أمام بزخ الاسئلة المنهارة عليه ! وبعد مرور النصف ساعة وجد والده ومعه أكبر محامي البحرين يركضان سريعا إليه :

زمجر الوالد وقال للشرطي:

- ألم يقل لك هو إبن من ؟!
- القانون فوق كل الحسابات يا سيدي !
- ستحاسب على تلك الكلمة !
- بل سيحاسب إبنك على جريمته ! هنا لا مجال للعبث ! الخطأ خطأ على

الجميع يا سيدي ، لقد أرسلنا إلى الطب الشرعي ليأتي ويفحص تلك المواد !! وبعدها سنتخذ الإجراءات اللازمة..

*****

وعندما شقشق النهار عاد عبد الله العاني إلى المنزل وهرعت إليه نجود وهي تبكي:

- أين خالد؟!

لم يتحدث ، نظر لها برعب :

- إبنك متورط في قضية حيازة كمية هائلة من المخدرات ! هل تعلمين ما معنى هذا !!

أومأت رأسها بالنفي وهي تبكي:

- معناه بأن مستقبلي كرجل مهم في الدولة إنتهى !! الآن الخبر يصل إلى الصحافة وتقوم القيامة !!

- وأين نفوذك !!

- مهما علت نفوذي ، الصحافة لن تتركنا يا نجود !! لقد أضاع ولدك الصعلوك كل ما بنيته لأعواما مضت !! أضعتيه أنتِ الاخرى بأهمالك للمنزل!! هيا انظري من تبقى لنا ؟! مرام ورحلت وتركي وماااات وخالد وضاع وصهيب وردمناه حيا !! الله أعلم ماذا فعلتِ بالعنود!!

هبطت العنود وهي تبكي من على الدرج وأخذت تصفق كالمجنونة:

- الآن فقط تذكرتم أبنائكم !! الآن إلتفت لنا يا أبي ! الآن صحوت على زوجتك هذه !! إنها سرطان خبيث يقتلنا ويسحقنا واحدا تلو الآخر .. وأنت أين كنت ؟ كنت في الاجتماعات والمجالس والسفر هنا وهناك وإقتناص الصفقات الرابحة ونسيتنا يا أبي !! الآن تبكينا ؟ ولماذا ؟ حتى وأنت تبكينا

في قمة انانيتك ، كل ما يهمك هو نفسك وإمبراطوريتك الملووثة هذه .,
فهنئيا لك ما صنعه إهمالك يا والدي !!

*****

في اليونان ، وفي حجرة ماجد ومرام تحديدا نظر ماجد برعب وهلت ريم مسرعة إلى داخل الحجرة:

- ماذا حدث يا ماجد

- خرجي الآن يا ريم من الغرفة واتركينا

نظرت له مرام بإنهاك ووجه شاحب وظلت تصرخ كالمجنونة:

- إبتعـــــــد عني ، إبتعـــــــــــد

ثم دفعته بعيدا وأخذت حقيبتها وركضت إلى الخارج تبكي ، وتلتفت خلفها تارة وتلتفت يمينا ويسارا تارة ، كان الذعر يملأ قلبها ، وجسدها كله يرتجف وما إن وصلت إلى عيادة الطبيب النفسي حتى هرعت دون إذن إلى حجرته وعندما رأته وقعت على الأرض مغشيا عليها .,

*****

كنت جالس مع حذيفة نتحدث سويا ، حتى رن هاتفي ، لقد كان طبيب مرام يتصل ! فقد منحته رقمي وطلبت منه أن يوافيني بأخبارها دائما وأن يهاتفني حين يحدث معها أي شيء .., أجبته بلهفة:

- نعم

- نبراس ، مرام أصيبت بإنهيار والآن أنا معها بالمشفى ، تعال بسرعة وحاول ان تتصل بزوجها !

لم أصدق أذني ! ماذا ؟؟ إنهيار عصبي ولكن لماذا ؟ ماذا حدث؟ لقد تركتها في

أروع حالتها ؟! لا لن أجلس هنا في حيرة .. غيرت ثيابي وركضت إلى المشفى ولكني لم أجدها ، بحثت كالمجنون ولكنني لم أجدها بالمشفى كله ! ماذا حدث في مرام قلبي ؟! أين أخذها هذا الطبيب! أولم يقل لي بأنها هنا ؟! وجدته يخرج من إحدى الغرف ، فركضت كالمجنون إليه:

- أين مرام ؟ ماذا حدث؟ أين هي ، أخبرني سريعا أيها الطبيب

- إهدأ يا نبراس ، بالفعل ، أتت لي مرام وهي في حالة مزرية جداا ، ثم وقعت مغشيا عليها وأتيت بها إلى هنا ، منحتها الإبر المهدئة ، وحين صحت ، قصت لي كل ما حدث معها ! لقد عادت الذاكرة من جديد لها ولكنها رفضت البقاء في المشفى ، فهي لا تريد أن يجدها زوجها ، فحجزت لها غرفه بفندق هنا قريب وأعددت الغرفة طبيا لها ، كما أرسلت ممرضة معها إلى هناك ، وطلبت مني أن أرسلك إليها حين تأتي وتبحث عنها ..

- امنحني العنوان سريعا .,,,,

وما إن منحني الطبيب حتى ركضت إلى الفندق وصعدت إلى غرفتها ، فتحت لي الممرضة باب الحجرة وخرجت وتركتني معها .. رأيتها جالسة على الفراش كأميرة من أميرات الزمن النقي ، عيناها ترقصان بنظراتهم في الملكوت الواسع فوقها ، ملامحها بريئة جدا ومصعوقة جدا وكأنها طفل حديث الولادة صُدم بالدنيا حين خرج من كهفه الآمن ! نظرت لي حين فاقت من صحوة غيبوبتها وابتسمت لي بدموعٍ غزيرة:

- كان القلب يشعر ، كان يحدثني ! ولكن .,,,,,

ركضت نحوها ووضعت إصبعي فوق شفاهها الناعمة :

- شششش ، لا تتحدثي كثيرا يا مرام القلب

وكأن الكلمة التي تفوهت بها كانت مفتاح يفتح بابا لشلالات دموع مرام

التي إنهمرت دون حساب:
- مرامك غاب وسط غابات الحياة الشابكة ، تعلق فوق صخرة تسكن بأعلى الجبل وحين آتته رياح الفراق العاتية هوى من الأعلى للأسفل ومحق ودهسوا ضلوعه وتهشم !
مسك نبراس أناملها وقبلها بشغف:
- لن أتركك لكل هذا ! سأصحح كل شيء
نظرت له بيأس:
- وهل تغير شيء! اليوم نفس البارحة ، نفس الغد ، أنت أنت وأنا أنا وهم مازالوا كما كانوا
- اليوم نحن ذقنا وذاقوا هم معنا الإحتضار ! والآن عدتِ وعادت معك الحياة ! سأتشبث بها وستتشبثين بأعماقي ولن يفرقوا بيننا
- ولكن الوضع إزداد سوءا ، تلك الحفرة بيننا إزدادت إتساعا
- حبنا سيردمها ، سيعالج جميع الندوب .,, لا تحاولي يا مرام لقد قصت لي حوراء ما فعلته معك ! إنسي تلك المشاجرة .,, سيبقون أهلي وستبقين كل أهلي ولن أخسر أحدا منكم ولكن عليهم تقبل الأمر عنوة .,,
أغمضت عيناها بإستسلام:
- أنا تعبة جداا ، رأسي زخم بالصور الكثيرة وأصوات تأن ولا تصمت بداخلي !
ربت فوق شعرها بحنان:
- نامي حبيبتي ، نامي قريرة العين
بدأت تنام وقالت بضعف شديد:
- لا تتركني يا نبراس

- معك وبجانبك ..,

*****

اتصلت الشرطة بعبد الله ، الذي ركض سريعا ومعه المحامي لإتمام الإجراءات :

- يبدو أن هناك شخصا أراد اللهو مع إبنك سيد عبد الله ، فالطب الشرعي أثبت أن تلك المواد البيضاء مزيفة

- من الذي أبلغ عن خالد؟

- مجهول اتصل من رقم الهواتف العامة التي توضع بالطريق ، لذلك لا يمكننا تعقبه ..,

- سيحاسب الجميع على فعلته هذه ..,

ثم خرج عبد الله مع خالد وبالسيارة نظر عبد الله بجفاء وبوجوم لخالد:

- ستسافر لتكمل دراستك أيها الفاشل بالخارج ، لن تبقى بالبحرين ، الله أعلم من أنقذك من تلك الورطة التي كدت على مشارفها . كنت ستقضي علي وعلى كل ما بنيته .

لم ينطق خالد ببنت شفه وانصاع للأوامر دون أن يتحدث ..,

*****

اتصلت نجود بهتون بعدما حلت قضية إبنها خالد ، الآن تستطيع محادثة الجميع مرة آخرى بكل غرور وتمارس غطرستها بحرية من جديد..,

- كيف حالك يا الهتون

- نجوود ، أين أنتِ ، خشيت كثيرا عليك! إتصلت بك مرارا وتكرارا ولم تجيبني خشيت أن تكون تحدثت فتاتك مع أبيها في شيء

ضحكت نجود بسخرية :
- هههه تضحكيني يا هتون ، أنا هنا سيدة المنزل ، لا أحد يعصي أوامري ، كل ما في الأمر أردت أن أريح عقلي قليلا ، لنعود للعمل بكل نشاط .
- وإبنتك معنا؟
- لا لست مجنونة لأجازف مرة آخرى ، ولكن يمكننا إستخدام فتياتك
غضبت هتون من فشل خطتها التي تحاول رسمها وتعللت إنها يجب أن تغلق الخط الآن ..
أغلقت الهاتف وقذفته بكل عصبية بعيدا عنها وهاجت بصوت عالي:
- كنت أريد تلك الفتاة المتعجرفة ! كانت ستصنع لنا عالما آخر ، كنت أريد تلويثها ودهسها يا نجود حتى يصبح حالك مثل حالي ! أريد تحطيمك وتحطيم غرورك هذا وكسر رأسك ! ولكن أين ستذهبين مني يا نجود أنتِ وإبنتك !!

*****

كانت العنود ذاهبة إلى حجرة صهيب وسمعت حديث نجود مع هتون وتأكدت أن والدتها لن تكف عن الخيانة ولن تكف عن كسب الأموال بتلك الطريقة البشعة وإنها على أتم الاستعداد لبيع نفسها من أجل حفنة من الأموال زائدة ! عادت إلى غرفتها تبكي ، ضعفت كثيرا وأرادت أن تتحدث مع طلال تشكو له حالها ولكنها أصبحت تخشى منه هو الاخر ، أصبحت وحيدة مؤخرا جدا وشعرت بمعاناة مرام ! ولكنها أسوا من مرام فوالدتها مازالت حية ومع ذلك تشعر إنها يتيمة الأم والأب وتذكرت كيف كانت تعامل مرام بقسوة وتعجرف وظلت تبكي .. ثم نهضت ومسحت دموعها وقالت:

- لن أصمت يا أمي كثيرا ! تالله لن أصمت

*****

بين أحضانك ولدت وبين حروف «أحبك» من
شفاهك الناعمة سأموت !!

الفصل العشرون

ظل ماجد يبحث عن مرام في كل المشافي باليونان بحثا عن مرام ولم يجدها وكاد يجن جنونه ، أهمل عمله وضاقت بحاله أخته ريم التي صرخت به:

- مثلك مثلهم ، جلبتني لأكون ديكور بالغرفة

- الا ترين وضعي ؟! الا ترين بأن زوجتي ضاعت

نظرت له بسخرية:

- وهل صدقت نفسك ! إنها ليست زوجتك ، بل أنت من اقتحمت حياتها وهي في أضعف أحوالها ، لم تتردد أبدا في سرقتها !! أعلم بحبك لها منذ كنا صغارا !! أنت لم تترك حاسوبك يو

رما إلا في وجودها ! كنت أرى نظراتك كيف تلتهما حين تضحك لك وحين تتحدث معك! وكأن لم يخلق الله بشرا سواها

إصطكت أسنان ماجد بعضها البعض وتوترت عضلات جسده وبدأت تتشنج:

- كفاك يا رييييم لا تلوميني في بحثي عن نقطة تحييني وأنتِ مثلي !! تموتين كل يوم ولا يلتفت إليك احدا !! سلكت طريق التشبه بالرجال لتلفتي الأنظار إليك !! هااي أنا هنا ، إنظروا ماذا أفعل بنفسي؟! إنظروا كيف أقتل أنوثتي !! هيا ، هيا تعالوا وإسرعوا في إنقاذي من بحر الهلاك .. هيااا !! أنا أيضا كنت أصرخ مثلك ولكن بصمت ، كنت أحتضر من الوحدة

ومن الفراغ الدائر حولي .. وجدتها ، نعم وجدت مرام الحب الذي بحثت وإنتظرت كثيرا من أجله تضيع من يدي .. ثم فجأة عاد الأمل ووجدتها وحيدة تصرخ تعاني هي الآخرى من الفراغ ، ولكني لم أتركها تضيع .. أخذتها لي ، بين أحضاني !!

إبتسم ماجد بطريقة مخيفة وهستيرية وظل يدور في أرجاء الشقة كالمجنون:

- شربت من رحيقها ، وتنعمت ببشرتها الناعمة مثل الأطفال ، كانت طفلة تحيا من جديد ، إبتعثها الموت لي هدية فلماذا أهجرها

- تهجرها لأن قلبها ليس ملكك ، ليس لك من الأساس ، أنت تعلم جيدا إنها لنبراس

جحظت عيناه واتسعت إبتسامته المخيفة:

- لا ، هي لي أنا .. أنا أحق منه ، أنا مثلها سُنيّ ، وعمري مثل عمرها ووالدها صديق والدي المغفل عنك وعني وعن سلطان مدمن المخدرات وعن سعود الباحث المعروف ، أنا من أحببتها الأول ، أحببتها منذ ان كنا صغارا ، أنا من رأيتها وهي بذرة ورويتها بأنظاري حتى غدت زهرة في بستان عمري ويأتي غيري ويقطفها بكل تلك السهولة ؟؟

- ومنذ متى الحب يفكر في عقائد او طوائف أو قيود ! لا تضحك على نفسك يا أخي ! أنا وأنت قليلي حظ في هذه الدنيا .. تسخر من حالتي ، نعم أنا أتشبه بالرجال ، أرغب بالإهتمام ولكن أمقت الرجال ، لا أريد الحب من الرجال ، أريده من البنات !!

صعق ماجد لاخته وما تتفوه به بكل وقاحة:

- لا بد أن أعرضك للطبيب

ضحكت ريم بصوت عالي وبسرخية شديدة:

- هههههه طبيب ؟ وأنت ؟
إرتبك ماجد ونظر يمين ويسار بنظرات زائغة:
- ماذا ؟
- أنت أيضا مريض نفسي
- لست مريـــــــــض
- للأسف يا ماجد هوسك بمرام وما فعلته بنفسك وبها يأكد لي بأنك مريض ، لا يوجد شخص عادي يفكر في جريمة مثلما فعلت أنت ..
- الحب يحلل لي كل شيء
صرخت به ريم بقوة:
- الحب لا يقتل الأبرياء ! الحب لا يدهس أحلام الآخرين ! انت مريض بها ولست تحبها
إحتقنت عروق ماجد وتحولت إلى اللون الأزرق:
- قلت لك أحبـــــها ، إنها لي أنا .. أنا وحدي وسأبحث عنها وأجدها وأهرب بها إلى عالم بعيد بعيد جدا عنكم ..
- لن تستطيع
كاد أن يهجم ماجد عليها ، أن يفترس ريم ، يريد أن ينهشها بأسنانه ، يدق عنقها في الأرض فهي تضع يدها فوق الجرح وتغوص داخله وتألمه عندا وقسرا ..

*****

راقبت العنود والدتها وكل تحركاتها وكانت تسجل كل الأرقام والرسائل المرسلة لوالدتها حين تأخذ هاتفها ، في البداية وجدت صعوبة لوجود رقم سري للهاتف ولكن بعد تفكير طويل مع صهيب ، إستطاعت ان تعرف

ماهو الرقم السري للهاتف ، إنه رقم عيد مولد خالد .. طعنها وطعن صهيب هذا الشيء ، دوما خالد هو من يحظى بكل الإهتمام ، وكأنها لم تنجب سواه ! غارت كثيرا العنود ولكن داوى صهيب جروحها .. أخبرها بأنها لديها الكثير من يحبها ولن تحتاج إلى حب مدلل قد يفسدها مثلما أفسد خالد ، أما خالد فسافر إلى لندن يكمل دراسته هناك ولكن الكل يعلم بانه فاشل ولا أمل في إصلاحه ولكن تعمد عبد الله إرساله للخارج حتى لا يؤثر بمصائبه على نفوذ عبد الله !!

كانت تنتظر العنود كل ليلة أن تغفى والدتها وتسلل هي إلى حجرتها وتسرق الهاتف وتأخذ منه كل ما تريد ثم تضعه في مكانه مرة آخرى ، يوما بعد يوم والعنود ترسم خطتها بكل جدارة وفي كل مرة كان كرهها لوالدتها يزداد أكثر ويحرقها ألما !!

*****

كانت مزنة في حجرتها تحضر الدرس الجديد التي ستقوم بشرحه للطلاب في اليوم التالي ، سمع طرقات خفيفة عقبها دخول والدتها ووالدها وهم مبتسمين ، نظرت لهم بتعجب :

- ماذا لديكم؟

فابتسم الاب وقال:

- جئنا لإبنتنا لنقول لها كل عام وهي بخير ، اليوم عيد مولدك

ضحكت مزنة برقة وقامت بإحتضان والديها وقبلت رأس أمها وأبيها ثم نظرت لهم بحب:

- كم أنا فخورة بكم دوما ! فحمد الله لم تنسوا أبدا يوم مولدي ، على الرغم من انشغالكم وعلى الرغم من انشغال أمي هذه الفترة بالانتخابات ..

ضحكت شجون وقالت:

- لن أنجح ولن أصبح يوما ناجحة إن أخفقت في منزلي ومع أبنائي وزوجي ! نجاح المرأة ما هو إلا نجاح بيتها ، وأنتم دوما فخرا لي ..

داعبتها مزنة بمزاح:

- حسنا أيتها النائبة ، لقد بدأت من الآن بالشعارات

- هههههه ما أشقاك !

نظر الاب بحنان غامر وبحب ثم قال:

- لدي خبر آخر

نظرت له مزنه بتعجب:

- ماهو ؟

- هناك شابا رائع تقدم لخطبتك اليوم

دق قلب مزنة من الخوف والرعب :

- من ؟

نظر لها بخبث وابتسم:

- هل تريدين القول بأنك لا تعلمي عن من أتحدث ؟

نظرت مزنة بشك وبخوف مجددا:

- لست أدري يا والدي

- حسنا لقد أتى صهيب وتقدم لخطبتك ، في البداية لا أخفي عليكِ يا ابنتي خشيت من حياتك معه ، الولد جيد جدا بل أكثر من الممتاز ولكن تلك الحاسة التي فقدها خشيت أن ترهقك في المستقبل ولكن عندما حدثت والدتك وفكرنا سويا أثلجت قلبي وقالت لي بأن الولد من أكفأ الناس ومن أكثرهم إحتراما كما إنه بدأ في مشروع خاص له كما قال لي وعلمت ..

قالت مزنة سريعا مدافعة عنه:

- نعم يا أبي ، لقد راق المشروع كثيرا للجمعية ، إنه مشروع عظيم سيخدم أبناء وطني والجمعية ستموله وهو سيديره ..,

نظرت الأم للأب بنظرات متفهمة:

- ألم أقل لك ، لدينا هنا قلب عاشق

نظر الأب بحنان لمزنة:

- هل ستستطعين تحمل المسؤولية يا مزنة ؟ الأمر ليس بالسهل

- نعم يا أبي سأتحملها ، لا تقلق ..,

- جيد جدا فليبارك الله لكم زواجكم .., سأخبره لنتمم هذه الزيجة

قفزت مزنة بمرح ثم خجلت وضحكوا ثلاثتهم معا ..,

*****

صحت مرام ، وحاولت النهوض من فراشها ولكنها شعرت بدوار ، جعلها تجلس مرة آخرى بالفراش ، نظرت يمينها فوجدت نبراس نائم على الكرسي بجانبها .., ابتسمت بحب ورق قلبها .., نادته بكل حنان:

- نبراس ، نبراس ، استيقظ

قفز نبراس من مكانه قلقا واتجه إليها سريعا :

- هل بكِ شيئا؟

- لا تقلق ولكني أريدك أن تذهب إلى منزلك وترتاح قليلا

- هذا منزلي

- هيا يا نبراس

- لن أتركك ، مجنون أنا !

- هههه

- «فديت الضحكة يا عيوني
- «أحبك يا بعد هالدنيا
- « يا عين لا تنامين هالليلة
أسمع حبيبي هناك ناداني
قلبي علمني ولازم أمشي له
مو أخليه يسهر ليلة وحداني
بريء من قلبي ومن روحي
«إن كان لحظة أتركه يعاني
- إشتقت لكاظم منك !
- إشتقت لجمال أغانيه حين أتغنى بها لكِ وحدك !
- خائفة كثيرا يا نبراس ، أن تذهب عني الروح مجددا ، خائفة من الحرب الناشبة بيننا تحرقنا ، خائفة من العمر يسرقك مني ..,
- لعنة الله على تلك الوساوس التي أصابتك بالهذيان ، أنا أحبك ، أريدك ، عاشقا لكِ و سأبقى معك العمر كله ، فلا تلتفتي لهذيانهم ، نحن من نعيش عمرنا ، هم فقط إن أرادوا النصيحة فليقولها ثم يرحلوا ..,
- ولكن أخاف أن تكون منبوذا في طائفتك
- مرام ، لا تلقي ما حدث بيني وبينك على طوائفنا ! الله حلل لنا الزواج ، نحن مسلمين ، لا تقسمين الاسلام بيننا !! الله واحد ونحن الاثنان نعبد الله الواحد الأحد فلا تهذي مثلهم وتقولي لي ولكني سنية وأنت شيعي !
بكت مرام فاحتضنها بكل قوة نبراس ، أحتضنها داخله وكأنه يريد حمايتها من كل وجع وألم :
- هدئي من روعك ، أنت لي ، بأذن الله ، شاءوا أم باءوا فالله كتبك لي ..,

وساجعل ذلك الحقير يطلقك ويرحل من حياتنا للأبد
إشمئزت ملامح مرام على ذكر ماجد وقالت وكأنها على وشك التقيؤ:
- لا أريد أن أسمع شيئا عنه ! كلما أتذكر ماذا كان سيفعل بي أشعر بأني أريد التقيؤ ، إنه مجنون
- سأجعله يدفع ثمن جنونه
- لا أرغب في مقابلته يا نبراس ، أرجوك
ونظر نبراس إلى جسد مرام الذي بدأ يرتجف فهمس في أذنها بحب ولهيب عشقه يجتاح شراييننا بالدفأ:
- لا ترتعدي مرام قلبي انا معك ، وانتِ بين احضاني ولن يمسك أي شيء من هذا العالم

*****

في البحرين وعند عائلة نبراس كان الأب مجتمع مع اخوته ، فتحدث اخيه الكبير:
- قلت لنا بأن نبراس سيعود وسنتمم زيجته مع خديجة والآن أنا سأقول لك ، خديجة لن تتزوج نبراس ما حييت ! من يظن نفسه هذا الصبي الجاهل ! أنا من أخطأت حين ظننته بدأ يعقل وبدأ يتبع نهجنا ..
قال حسن مدافعا عن نبراس إبنه:
- الولد لم يخرج عن نهجنا يا أخي ، فلا تهذي بحديثا غير صحيح
- من يتزوج من خارج طائفتنا فهو خرج !
- ديننا لا يقول هكذا ولم يحرم علينا الزواج من الطائفة الآخرى
تدخل الاخ الصغير وأيد كلام حسن:
- نعم يا أخي لا تجعل وجعك على فتاتك يجعلك تهذي

فصرخ جعفر بعصبية:
- إنه سيتزوج من فتاة عجوز تكبره وليس فقط هذا ، إنها إبنة أحد أعدائنا ! إبنة من حاول زجي بالسجون وعلل إني خائن للوطن !!
فصرخ حسن قائلا:
- لم يخطأ يا جعفر ، أنت سلمت عقلك و غريزتك الطائفية لأطراف تريد هدم الوطن ! أنا ضد ما فعله إبني ولكني ضد من يحاول أن يخرب وطني
فأجابه جعفر بتهكم:
- هه طبعا يجب أن تقول هكذا أولست أنت مواليا للحكومة !! قل لي وأخبرني ماذا دفعوا لك!
نهض حسن بكل غضب وعيناه مليئة بالشرار:
- لم يمولني أحدا أيها الصبي ، ولكن حب الوطن وحقه عليّ فالدفاع عنه هو من يجعلني أتحدث ، بينما أنت وأمثالك من سلموا عقلهم لأطراف أخرى إستطاعوا اللعب بعقولكم بأسم الدين ، الدين ديننا دين سلام وأرضنا البحرين أكثر من يشهد بسلامنا فلا تنزع أنت وأمثالك إستقرارنا وتخلط الحابل بالنابل ..
- إذا أنت موافق على ما فعله بأختي !
- لست موافق وأشهد بأنه خذلني في هذا الموقف ولكن لا تشكك أبدا في وطنيتي أنا وأبني
ثم نهض من مكانه ووقف:
- انتهى النقاش
فتوعد جعفر وهدد:
- لن أترك حق أختي خديجة يضيع هباءا ..

*****

في الطرف الأخر كانت حوراء عند خديجة في منزلها ، لأنها طلبت كثيرا أن تزورها ولكن خديجة كانت تعلل دوما بأنها مشغولة لذلك قررت أن تذهب إليها وتقتحم عزلتها :

- أعلم بأن أخي خذلك

ابتسمت خديجة بوهن:

- لا لم يفعل ، أنا من خذلت نفسي يا حوراء ، أنا التي أردت أن أدخل محرابه ولم أأبه أنه فقط لها

- ولكن ، صدقيني يا خديجة أخي في الآونة الأخيرة قبل أن تظهر مرام مجددا كان حقا صادق في وعده لك.,

- أعلم ، قالها لي ، ليست بكل سهولة ! ولكن صمتت على المقامرة بغرامي وبقلبي وخسرت كل ما أملك

- ستجدين القلب المناسب قريبا لك يا خديجة

- لست حزينة على فقداني لنبراس ، أنا حزينة على قلبي المسكين حين ظن بأنه قادر احياء ما حدث من خراب تركته له مرامه هذه .,

صمتت حوراء لأنها لم تجد ما يسعفها من حروف ، تعلم إن خديجة على حق واستسلمت لمطالب اخيها ورغبته في الزواج من مرام .، إن كان هذا ما يحيه فليتزوجها ! هكذا حدثت نفسها .

*****

كنتِ هدفي حين ألتقت ترانيمنا في صدع الحب
.. وستظلين دوما مرام القلب

الفصل الواحد و العشرون

هجمت الشرطة على أحد الشقق الفندقية في إحدى العمارات لممارستها للرذيلة وكانت نجود وإحدى بنات الهتون ممن تم القبض عليهم ..

صرخت الهتون حين علمت بما حدث وركضت إلى عبد الله تخبره ليفعل أي شيء قبل تكبر الجريمة ولكنه حين علم صعق وشلت حواسه فوقع أثر الصدمة .. ركضت الهتون إلى قسم الشرطة وهناك صرخت بها إبنتها:

- أريتني جشعك ماذا فعل بنا ! قذفتيني إلى الجحيم والآن تبكيين !! إفعلي شيئا لي ، أخرجيييني من هنا وإلا أخبرتهم عنك ..

نظرت لها نجود بتعالي وأمرتها:

- ألم أخبرك أن تحادثي عبد الله

نظرت لها الهتون بكره:

- لست خادمة عندك ! تحدثي جيدا معي ! ثم أنا أخبرته وتركته ينازع الموت حين علم !

دق قلب نجود رعبا حين سمعت ما قالته الهتون فأرتعبت وبدأ تبكي وتقول:

- والآن ماذا سنفعل !!

نظرت لها الهتون بكره ومقت:

- تحدثي عن نفسك ، سأبحث لفتاتي عن منقذ

صرخت بها نجود متوعدة:
- لن أتركك تتنعمين بحرية بينما أحبس أنا خلف القضبان !هل سمعتي
صرخت بهم إبنة الهتون:
- كفا شجاراااا واخرجوني من هنااا ، أنتم من أهلكتوني ، حسبي الله عليكم وعلى إبليسكم ، الله ياخذكم

*****

خرجت العنود من حجرة الإنعاش لوالدها بعدما أخبرها الطبيب إن صحته في خطر ، لم تبكي وظلت جامدة كذلك صهيب كان جالس يهدأ روعها .,
نظرت له بحب:
- لا تقلق يا أخي دمت أنت بخير ومرام بخير لا شيء يزعجني في هذه الحياة الآن
وابتسمت برضا حين تذكرت كيف أرسلت كل الدلائل التي سجلتها عن والدتها طيلة الفترة الماضية إلى الشرطة وأخبرتهم بالموعد الذي ستتواجد به والدتها بالشقة الفندقية حين سمعتها تتحدث بالهاتف .,
دقائق ورأت طلال قادم من بعيد تجاهم وأشار لها من بعيد أن تذهب إليه ، فذهبت .,
- ماذا تريد يا طلال
- أحبك يا العنود ، أعلم إنه ليس الوقت المناسب ولكن لن أتركك تضيعي مني ، أحبك منذ زمنا طويل وخشيت ضياعك فلم أجد طريقة للدخول إلى عالمك سوى هذه الطريقة ! ولكن أقسم بربي بأني أحبك
دق قلب العنود ورق ، ربما هي غضبت منه حين خشت أن يكون يلهو بقلبها ، نظرت له:

- إن كنت تريد الزواج بي عليك طلبي من أخي صهيب
- ووالدك؟
قالت بعدم إكتراث:
- ربما لن يجد له مساعا في دنيانا هذه
ثم تركته وقلبه يرقص فرحا وعشقا ، وحمد الله بأنه لم ينتقم من خالد ، فبعدما ما حدث خشى من فقدان العنود ، فبدل حقيبة المخدرات التي وضعها بحقيبة آخرى بها مخدرات زائفة وجعل البلاغ بلاغ كاذب ، أراد فقط أن يلقنه درسا وأن يبعده تماما عن طريقه وفي نفس ذات الوقت لم ينتقم ولم يجعل الحقد يملأ أرجاء قلبه ، منذ أن سكن حب العنود قلبه والحقد يتلاشى رويدا رويدا ..

*****

قابل ماجد نبراس في إحدى المقاهي بناء على الثاني .. إتجه ماجد إليه وقلبه مليء بالضغن :
- أين زوجتي
نظر له نبراس بنفور:
- ترغب في الإنفصال عنك
- لن أطلقها إن لم أراها ! من يدري ، ربما تكذب
- هههه هل تظن أن جميعنا مثلك ! سارقوا القلوب ومحطمينها
- لم احطم قلبها ، لقد كنت انت فقط عالق بيننا ، كان بإمكاني جعلها نسيانك ..
- لم تستطع ، لقد كانت فاقدة للذاكرة ومع ذلك لم يرغب قلبها بك..
إحتقن ماجد بالغضب:

- قلت لك إجعلني أراها
- هي لا ترغب في ذلك
- يجب أن أرها أولا وإلا ضاعت كل أحلامها هباءا ! إنتهى النقاش

*****

تركني ذاك الحقير وعدت إلى مرام قلبي ، رأيتها جالسة بالشرفة تحلق مع الفراشات بعيون المها التي تمتلكها .. أخبرتها عن طلب ماجد فوافقت :

- ولكن أخشى أن تتدهور حالتك النفسية؟
- أنا أسير وفق العلاج الذي كتبه لي الطبيب وأدوام على الجلسات ، لا تقلق يا نبراس
- حسنا سأخبره

كنت قلقا عليها وكنت أشعر بالغيرة ، فمنذ أن عادت مرام لي وأنا بت مذعورا لكل من حاول الإقتراب منها ، يكفينا شتاتا وضياعا ، يكفينا ما أصابنا من فراق .. ولكني أخبرته أن يأتي ليمنحها حريتها وينتهي فصله إلى الأبد!

*****

هاتفني سارق حب عمري وأخبرني أن مرام وافقت على مقابلتي ، آآآخ يا مرام لو تعلمي كم أحببتك ، كم أضنيت من التعب وكم أنهكني عشقك يا سيدتي .. مثلك سيدة ناعمة تخترق جدران قلبي بكل رشاقة ودون أن تترك بصمات عبثها فيني لابد أن أغرم بها ! سيدة في رقتك وجمالك تلعب أناملها بلحن الصفاء لابد الوقوع في حبها .. آآآخ يا مرام ، كنت أريد الإنجاب منك ، أن أحتفظ بقطعة طبق الأصل في أحضاني إلى أن ينتهي بي خريف

العمر وأحتضر !! لم تتركي لي مجالا واحد يا مرام ودوما كنت تفضلينه هو عليّ.. ذهبت إلى الشرفة التي تجلس بها ووجدت وجهها شاحب وجسدها يرتجف حين رأتني ! يا الله ألهذه الدرجة أصبحت أخيفك !! هل لأني مجنون بكِ ؟! نظرت لها داخل عيناها ولكنها أشاحت بنظراتها بعيدا عني وقالت بنفور:

- ماذا تريد يا ماجد؟
- أريدك
- ألم يكفيك إختطافي قرابة العامين الآن ؟!
- أنا من وجدتك هنا غارقة وعالقة في الفراغ الأجوف

نظرت لي بكره:

- فنسجت خيالاتك المرضة حولي!! أخبرني كيف فعلتها ولماذاااا
- حين قدمت إلى اليونان بعدك بيومين كنت أبحث عنك كالمجنون ، وحين علمت بمسكنك ، وجدت الشرطة تأتي وتسأل عن أحد معارفك ، فذهبت معهم ووجدتك بالمشفى ، لم أخبر أحدا من أهلك .. ولكني اتصلت بصهيب والذي أخبرني بأن تركي توفي ، ربطت الأحداث معا وقلت لربما هذا هو سبب الحادث .. إنتظرتك تستيقظين ورأيتيني ، في البداية أخذتي وقتا للتتذكريني وعلمت من الطبيب بعدها بأنك ربما ستعانين من فقدان ذاكرة ولكنه سينتظر قليلا حتى تتحسن صحتك ثم نرى ..
- ثم ماذا فعلت أنت ؟ رغبت في رسم جريمتك حولي!
- ظللت أتحدث معك ولكني لم أتحدث عن نبراس ووجدتك لا تتحدثين عنه ! تعجبت وإندهشت ، ثم حدثتك عن أسرتك ولكنك أيضا لم تأتي بذكر تركي ، فذهبت للطبيب وأخبرته أن هناك بعضا من المعلومات أنتِ

لا تذكريها وأخبرني أنه احيانا يقذف المريض بعض الاحداث من ذاكرته إلى الأعماق لرغبته الشديدة في مسحها من شدة الألم وعدم سيطرته في تحمل الوجع ..

- فتعمدت في نسج صرح من الهوى حولي فهوّى !!

- الطبيب نفسه أخبرني أن المريض يحتاج أحيانا إلى راحة من ذكرياته المؤلمة وعلمت أن فراقك عن نبراس وموت اخيك الصغير ألم ووجع لك ، فقلت إن تلك فرصتي ! فرصتي أنا

- مخادع وكاذب

- أنا الاحق من نبراس في إحتضانك ، في شم عبيرك ، في أن أحدق بكِ وحدك !

- لهكذا كنت دوما تريد الهروب معي إلي بعيد ! لهذا خشيت من أن أظهر للعالم بأزيائي ! كنت تريد دفني

- نعم ، أخبرت عائلتك بأننا تزوجنا عن حب وأنك تريدني بعدما اكتشفت أن نبراس ليس سوى خطأ عابر مر بحياتك وأخبرتهم أن حالتك من بعد الحادث أصبحت صعبة وأنه قد يصيبك الانهيار إذ تحدثوا معك عن شيئا في الماضي ..

- يا إلهي !! كيف فعلت هذا بي !!

إقتربتُ منها رغم علمي بأن كل ذرة بداخلها ترتجف رعبا:

- لأني أحبك !! لأنك ملكي أنا ،، نبراس لديه العالم كله ولكن أنا لدي أنتِ فقط .. أنا وحيد ، شريد ، تائه من دونك ..

بكت حبيبتي ، بكت بشدة وصرخت بوجهي:

- أنت مريض ، انا اكرهك ، أكرهك ، إتركني وحدي ، لا أرغب في رؤيتك

دخل سارق قلبي وهجم علي وهددني:
- طلقها وإلا سجنتك !!
لم أتحملهم ، لم أتحمل ألمها ووجعها ، لم أتحمل قربه مِنها ، لم أتحمل ضياعي فنطقتها وكل حرف خنجر يزيد من ضربات جنوني :
- أنتي طالق .. أنتي حرة
وركضت إلى العالم الخارجي أنزف جراحا وأتلقى سعير جفائه فاتحا ذراعي بكل هوس للموت !!

*****

البحرين ـ ٢٠١٥/١٢/١٦

عدت انا و نبراس معا إلى البحرين ، وما إن خرجت من المطار حتى بكيت كثيرا كالطفلة التي تعود إلى أحضان والدتها بعد غربة وعناء وضياع ..
- عودة حميدة إلى وطنك
- إشتقت إلى الوطن كثيرا وإشتقت إلى حياتي الطبيعية ، ولكن أين إخوتي ، ظننت بأنهم في إنتظاري
- أخبرتهم بأني سأقلك بنفسي إلى المنزل فهناك الكثير من المفاجأت تنتظرك !
إبتسمت له بوله وأمسكت يده بكل قوة وثقة ، فما عاد هناك فراقا ينتظرنا عدت إلى منزلي ووجدت الظلام يبتلعه ، ناديت العنود وصهيب ولكن لم يجيبني أحدا، وجدت نبراس يلف ذراعيه حول أحضاني ويهمس من خلفي :
- كل عام وحبيبتي بخير ، اليوم ذكرى مولدنا وذكرى عيد وطننا
ثم وجدت الأضواء في كل مكان تُضيء ورأيت فتاة نحيلة بشعر ناعم بني

تركض نحوي بكل شوق وقوة :

- مـــــــــــرام

إرتمت في أحضاني بقوة كدنا نقع على الأرض سويا:

- إشتقت لكِ كثيراا كثيرا يا مرام كثيراا

- وأنا إشتقت لأختي الفتاة المطيعة العنود

- لم أكن هكذا بالسابق هل تذكرين؟ ولكن الحب والزواج غيرني كثيرا ، وقبلهم حُبك يا أختي ! وحضنك الدافيء الذي لطالما حاولتي ضمي بداخله ولكني كنت أبعدك عني .. آآخ كم كنت غبية ، ساذجة

بكيتُ لكلمات العنود الصادقة ثم وجدت مزنة تركض هي الآخرى نحوي وتقول:

- كفاك يا العنود ، أريد أن ألقى ببعض من أحضان حبيبتي !! لا أصدق ثلاثة أعوام وأنتِ بعيدة !! آآه حمد لله على سلامتك ، حمد لله بأنك سوف تحضرين زفافي !! لم يفوتك الكثير ، فقط خطبتي

فمازحتها العنود:

- حمد لله إنه ضاع عليكِ

أتاني صهيب وبكل حرارة إحتضني ، آآه يا صهيب ! مازلت أذكر كيف كنت أهدهدك حين كنت رضيعا ، أنت لست فقط أخي ، أنت إبني الذي لم يولد من أحشائي .. إشتقت لحنانك وأمانك ، إشتقت إليك كثيرا .. أحتضني صهيب بقوة ، كاد يهشم ضلوعي محبة :

- كم أضناني الشوق إليك يا مرام ، كيف فعلتِ هذا بنا

فأيده نبراس قائلا:

- قل لها !! أخبرها كيف أصبحنا وكيف كان مسائنا حين فارقتنا !!

قل لها كيف ذبل العمر بنا وأردفنا إلى خريف شاحب جاف وقاتل لأي شخص يقترب منا.,

أدار رأسه نحو نبراس وابتسم بهدوء:

- هي ذاقت البعد عنا ولن تحب أن تذوقه مرة آخرى ، أعتذر بأني وقعت في شرك ماجد مثلكم !

تفوهت العنود دون قصد:

- توقعت عودتك بعد وفاة أبي فورا

حدقت مزنة بالعنود بنظرات تريدها أن تصمت فأجبتها بعفوية:

- لم يكن والدي العقبة فقط يا العنود ، لأعود للوطن .,, ما جعلني أهاجر هو شعور بالغربة إعتراني داخل الوطن .,

قاطعتني مزنة سريعا:

- لا مجال لأحاديث الحزن الآن .,, الآن سنحتفل بعودتك وبـــ

لم تكمل حديثها ونظرت إلى نبراس ، الذي قام ووقف أمامي وأخرج علبة أعرفها جيدا !! يا إلهي أبعده يحتفظ بهذا الخاتم !! نظر لي بكل رومانسية ولامس بكف يده الدافىء أناملي الباردة:

- هل تقبلين الزواج مني يا «بعد هالدنيا «

لم أجبه ، فقط نظرت داخل عيناه بقوة وجلست أبكي ! بكيت حتى أخرجت كل العناء ، بكيت وأخرجت كل فراق الأعوام التي مضت .,, بكيت والدتي التي ماتت وأنا صغيرة ، بكيت حرماني طول الليالي ، بكيت أبي الذي مات ولم يخبرني هل أحبني حقا يوما من الأيام أم لا ، بكيت نبراس الذين أرادوا خطفه من أحضاني من أجل عوائق خلقوها بأيديهم لنا .,, بكيت أخي تركي الصغير الذي مات ضحية نجود ، بكيت إخوتي الذي عادوا إلى أحضاني .,

غمرني نبراس وكأنه يريد أن يتأكد بأني حقيقة وليست خيالا ، ثم نظر داخل عيناي مجددا:

- لا تبكي ، فالعمر أمامنا ، يمنحنا الفرصة ، فقط إشكري الله وحده الذي جعلني لا أفقد الأمل يوما مثلك فكنا سنصبح في عداد الأمواتا ..,

ضحكت له ، ضحكت وكأن كلماته أبدلت الحزن وتلاشى سواد عمري وتحولت الحياة إلى ألوان مبهجة .., اليوم يدي في يد نبراس ، أثبت لي مجددا أن الوطن بحبه يجمعنا ، وأن من يفرقنا عن بعضنا البعض فهو ناقم كاره للوطن فقط ! أثبت لي أن العمر لا حقيقة لوجوده بيننا ومن يحكي غير ذلك فهو عاشقا للخراب وللهذيان الغير مجدي .., أثبت أن الحب الحقيقي لا يموت بالفراق ، ولا يستطيع أي فيضان جره إلى الهاوية وأنه يعيش رغما عن أنف كل الكارهين .., اليوم أصبحت لك يا نبراس ، أصبحت لك داخل وطني ، وطني التي بدأت جروحه تلتئم مرة آخرى .., وطني الذي عاد فيه أهلنا لا يفرقون فيه بين الطوائف ، وطني الذي لا يفرق بين هذا وذاك ويلعن كل خائن أين كان من !

*****

اليوم ليلة زفافي أنا ومرام قلبي ، أراها قادمة بثوبها الأبيض ملكة ربيعية الندى ، إبتسامتها تشع نورا وضيها يشعل جمرات الهيام داخلي ،، بعدي لا أصدق بأنني أخيرا وبعد عناء إنتصرت وكسبت قلبها لي للأبد .., اليوم سأنعم برائحة العنبر والمسك التي تفوح من مسامها .., أشفقت قليلا على ماجد بعدما علمنا بإنتحاره ، مثله لا يحيا ، مثله يموت دوما ، إنسان عاشق للسواد ، أضاعته والدته بسبب خوفها الشديد ، فأخفقت في تربيته وأوصلته لدرجة مريضة بأنه يريد إمتلاك مرام بشكل مرضي وذلك لأنها

وحدها من إستطاعت أن تقرب إليه في أوج وحدته .. إنتحر وترك رسالة إلى مرام يخبرها بأنه لا يقوى على العيش مجددا وحيدا ، وأن الهواجس تطارده ليلا وتخنقه لذلك إختار أن يكتم تلك الأصوات التي تهاجمه إلى الآبد، فأختار الموت .. بكت مرام ولكني طمأنتها بأنها ليس لها يد فيما حدث وأنه مريض نفسي كان يجب معالجته .. ما دهاني لماذا أتذكر كل هذا الآن وأنا على مقربة دقائق من فرحة العمر !! دقائق وسأخلو وحدي بمرام ، سيلتحم لهيب قلبي بلهيب نجواها ، سنلتحم لآخر العمر .. اليوم سيقبض قلبي على جمر مرامه للأبد .. لبعد هالدنيا..

تمت

بتكتب روايات .. قصص .. شعر أو مقالات
بتكتب عربي أو انجليش ..
أو حتي بترسم .. تواصل معانا و هنساعدك
تلاقي مكان لابداعاتك

تواصل معنا:-
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
website : www.fasla.org
E-mail :- Fasla.Pub@Gmail.com
FB: فصلة للنشر والتوزيع -Fasla
Publishing
للتواصل مع الكاتبه:
FB.Com/Fatima.Talal